AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

370.1
H15t A

CAIRO UNIVERSITY LIBRARY

التربية الأخلاقية

تأليف

ابا دير حكيم
الافوكاتو بالاستئناف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٩٢٢
سنة

28550

طبع بمطبعة اليقظه بشارع الفجاله نمرة ٤٨ بمصر

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

أقدمه

لروحَيْ والدتي وقرينتي العزيزتين الغاليتين

اللتين

تمثلت فيهما الاخلاق التي أنشدها في هذا الكتاب

فهرست الكتاب

صحيفه

تقدمة الكتاب

مقدمة الكتاب ح

الفصل الاول ١

معنى التربيه

تمهيد — ضرورة التعادل فى تربية قوى الانسان — تعريف سبنسر للتربيه — تعريف بستالوزى لها — وجوب التفريق بين التعليم والتربيه — نقص التربيه بمصر ونتائجه — شهادة مصرى فاضل بنقص تربيتنا الدينيه

الفصل الثانى ١١

الطفولة

الانسان شرير بالطبع — تأثير التربيه في الطفولة أشد منها في غيرها — التربيه التي يحصل عليها الطفل بحركاته البسيطة — الخطوة الاولى في سبيل ادراكه وجوده الذاتى والاجتماعى — الخطوة الاولى في سبيل التنبه الفكرى — الخطوة الاولى في سبيل تكوين الارادة وتربيتها — رأى سبنسر في تربية الطفولة — نتائج البيانات السابقة — النتيجة الاولى وجوب السير مع قوانين الطبيعة وعدم معارضتها — النتيجة الثانية وجوب عدم التسرع في تربية الطفل قبل اعداد الطبيعة له لتلقى مايريده الولدان — النتيجة الثالثة الام هى المربى الاول فعليها القيام بعملها

الفصل الثالث ٢١

التربيه الاخلاقيه ☆

الاخلاق منبع السعادة — الاخلاق سر نجاح الافراد — التربيه الاخلاقيه أساس عظمة الامم — حاجة مصر الكبرى — نقائصنا الاخلاقيه

صحيفه

الفصل الرابع

٣٤

مبادىء عموميه فى طرق التربيه الاخلاقيه

غرض التربية الاسمى — رأى العلامه فروبل (Froebel) فى ذلك — العيوب الحقيقية والغير حقيقيه — تعريف العيوب الحقيقيه — وجوب العناية باستئصال العيوب الحقيقية من نفوس الاطفال — أساسا التربيه الاخلاقيه هما تربية الارادة الحرة وحسن القدوة — حرية الارادة وتربيتها — العقوبات الطبيعيه والصناعيه — رأى سبنسر في العقوبات واقتصاره على الاخذ بالعقوبات الطبيعية فقط — رأى المتأخرين وعدم الاقتصار على العقوبات الطبيعية — العقاب النافع وصفاته — العقوبات ونتائج الاخذ بها — معنى الطاعه الحقيقيه — حسن القدوة وتأثيرها

الفصل الخامس

٤٩

العيوب الحقيقيه وأسبابها وسبل اصلاحها

أسباب العيوب صحيه وعقليه وتقليديه — العيوب الناشئة عن أسباب صحيه — الغضب أسبابه ووسائل اصلاحه — شكاسة الخلق وسوء الطبع أسبابها وسبل اصلاحها — الخمول والكسل . أسبابه وطريقة اصلاحه — العيوب الوراثيه والتقليديه — الكذب . أسبابه وسبل اصلاحه — أنواع الكذب — الكذب التجنبي — الكذب السيامي — حب الذات أسبابه وسبل اصلاحه — الغيرة أسبابها وسبل اصلاحها — الوقاحة أسبابها وسبل اصلاحها — نظرة عامة الى سبل اصلاح العيوب السابقة — اضرار التأديب بالعصا — متى يلجأ الى التأديب بالعصا

الفصل السادس

٧٦

قانون الوراثة والتربيه

مبدأ التربيه — أثر قانون الوراثة فى تربية الانسان والحيوان والنبات — بعض المشاهدات المثبتة للتوارث البدني — بعض الحوادث الدالة على التوارث الاخلاقي والعقلي — الدليل العلمى على صحة قانون الوراثة — الفائدة العملية من معرفة هذا القانون — أمثلة تاريخيه وراثيه على ما كان للحامل من التأثير على مولودها — وجوب عنايتنا بهذا المبدأ — واجب العقلاء في مصر

صحيفة

الفصل السابع ٨٦

عدم المساواه الطبيعيه

أسباب عدم المساواه — التربية من أهم العوامل لتقليل هذه الفوارق — الاعتراف بقيمة النفس الانسانيه والمساواة بينها — وجوب العناية بالاقوياء لمصلحة الجنس وخير الافراد — مزايا التربية ونتائجها

الفصل الثامن ٩١

الامزجه

— سبب اختلافها وأنواعها وطرق معالجتها —

سبب تنوع الامزجه — أهمية اختلاف الامزجه في فن التربيه — أنواع الامزجه — المزاج الدموى — المزاج الصفراوى — المزاج العصبي — المزاج الليمفاوى — الامزجه المركبه

الفصل التاسع ١٠٢

تأثير الدين على الاخلاق الفرديه والاجتماعيه

فطرة الانسان الاصليه — تأثير الدين على الاخلاق الشخصيه — معنى الدين وأقوال فروبل فيه — كيف تتأثر أعمال الانسان بشعوره بالارتباط بالله — تأثير الدين على الهيئة الاجتماعيه وتاريخ الانسان السياسي — تأثير الدين على تاريخ الانسان الاقتصادى — دفع اعتراض

الفصل العاشر ١١١

التربية الدينية

كيف تغرس العاطفة الدينية في نفوس الناشئه — أحسن وسائل التربيه الدينيه — فصل تفيس منقول عن بستالوزى (Pestalozzi) في طرق التربيه الدينيه

الفصل الحادى عشر ١٢٦

(التعليم الدينى عندنا)

« هل يربى أخلاقاً »

صحيفه

اهمالنا الاخذ بأسباب المدنية الصحيحه — مقام المرأة في الهيئة الاجتماعيه وتأثيرها في التربيه — نقائص نظام التربية النسائية بمصر فى الوقت الحاضر — مبادىء التربيـة الصحيحة اللازمة للمرأة المصرية — نقص تعليمنا الدينى ونتائجه — ضرر تلقين الدين كدرس مدرسي — الفؤاد مستودع الاخلاق والقدوة ركنها المتين — وجوب التربية الاخلاقية للشبان

١٤١ الفصل الثانى عشر

(نقائص تربيتنا الاخلاقيه)

— وأسبابها —

نظرة عامة في العوامل الاخلاقية بيننا — وجوب نشر مدارس روضـة الاطفال — رجاء لوزارة المعارف ومجالس المديريات — فقد الحامعه القوميه بيننا — أسباب فقدان الجامعه القوميه — وجوب توحيد التربيه الاخلاقيه في مصر — لاارتقاء لامة دون تربية رأى عام لها

١٥٤ الفصل الثالث عشر

(نظامات التربيه الاخلاقيه)

« لدى الامم الاجنبيه »

نظرة عامة في النظام المصرى ونتائجه — لمصر فى الولايات المتحـده الاميريكيه والدولة اليابانية عظة وذكرى — المذاهب المختلفة فى نظام التربيه الاخلاقيه

١٥٩ الفصل الرابع عشر

(مذهب التربيه الاخلاقيه)

« بواسطة التعليم الدينى »

الانسان حيوان متدين — نظام التربيه الدينيه فى ألمـانيا — نظام التعليم الديني لطلبة المذاهب والاديان المختلفة بألمانيا — بروجرام التعليم الديني فى المدارس الابتدائيه الالمانيه — محاسن وسيئات التدريس الديني على هذه الطريقه — انتقادات كبار الالمان والانجليز — رأى مصرى كبير فى نظام التعليم الديني فى مصر

صحيفه

الفصل الخامس عشر ١٦٦

مذهب التربيه الادبيه

— سرعة انتشار هذا المذهب —

الفصل السادس عشر ١٦٨

(التربية الادبية في اليابان)

روح التربية اليابانية — رأى الوزير الياباني في فضل نظام التربية عندهم — الامر الامبراطورى الياباني في التربيه — درجات المدارس اليابانية وبرامج التربية الادبية في كل منها — التربيه الادبيه في المدارس الابتدائيه اليابانيه — الامر الامبراطورى في التدريس الابتدائي — تعليمات وزارة المعارف فى التربيه الادبيه — برنامج التربيه في المدارس الابتدائيه — برنامج التربيه الادبيه للسنة الاولى الابتدائيه — برنامج السنة الثانية الابتدائيه — برنامج السنة الثالثة الابتدائيه — برنامج السنة الرابعة — التربيه الادبيه في المدارس الابتدائيه العاليه — التربيه الادبيه في المدارس الثانوية اليابانيه — برنامج السنتين الاولى والثانية الثانوية — برنامج السنتين الثالثة والرابعة — برنامج السنة الخامسة ثانوية — المبادىء الادبيه العاملة في تكوين الاخلاق

الفصل السابع عشر ١٨٨

(التربية الادبية فى فرنسا)

تعليمات عموميه عن التربيه الادبيه وأغراضها ومميزاتها — واجبات المعلم — أغراض هذه التربيه وقيودها — طرق تدريس التربيه الادبيه — بروجرام التربيه الادبيه فى مدارس فرنسا — برنامج المدارس الابتدائيه — القسم الابتدائي للتلاميذ من التاسعة الى الحادية عشر من عمرهم — القسم الابتدائي العالي للتلاميذ من الحادية عشر الى الثالثة عشر من العمر — برنامج المدارس الثانوية — نتائج نظام التربيه الادبيه بفرنسا — أقوال العلماء ومشاهير الرجال فى ذلك — رأى المسيو جول ستيج — رأى المسيو الفرد رمباند — رأى ناظر مدرسة المعلمين العاليه بسان كلو — رأى المسيو جول پاپو — رأى المستر رجنالد بلفور

صحيفه

٢٠٣ الفصل الثامن عشر

(تقرير لجنة المؤتمر الانجليزى للتحقيق الدولي)

« فى التربية الادبية »

كيف بدأت الحركة — تشعب المسائل وصعوبة الحكم — المسائل الواجب تدبرها وبحثها — اجماع الرأى العام على عقد مؤتمر — تكوين المؤتمر — تكوين مؤتمر آخر بأمريكا — طريقة العمل التي جرى عليها المؤتمر — الاجماع على وجوب عناية المدارس بالتربية الاخلاقية — العوامل المختلفة لاهتمام الامم بالتربية الاخلاقية — العوامل الاقتصادية — العوامل الصناعية — الاجماع على وجوب ادخال التربية المدنية (Civil) في برامج التربية الاخلاقية بالمدارس — وجوب تحديد المثل الاعلى في التربيه — وجوب تحديد الوازع وصعوبة ذلك — المذاهب المختلفة في العلاقة بين التربية المدنية والتربية الادبية — وجوب اطلاق الحرية للمعلم ضمن دائرة التسامح واحترام العقائد المختلفة — وجوب التعاون بين العائلة والمدرسة فى سبيل التربية الاخلاقية — أثر التربية العقلية فى الاخلاق — صعوبة تعريف الشخصية — أهم أركان التربية الاخلاقية بالمدارس — شخصية المعلم — الوسط المدرسي — جمعيات متخرجى الطلبه — ما لبعض العلوم العقلية من التأثير الخاص في تربية الاخلاق — تعويد الطلبة مزاولة الامور العمليه — امتحانات المسابقه من أعظم آفات التعليم العقلي — نقد المؤتمر لاعمال التربيه الاجتماعيه والمدنيه والاقتصاديه — ملحق ببيان المواضيع التي وضعتها اللجنة التنفيذية للبحث والدرس — المواضيع الخاصة بالتعليم الابتدائي والتعليم الابتدائي العالي — المواضيع التي تحول دون مجهودات المدارس في تكوين أخلاق الطلبه — الوسائل العمليه لزيادة أثر المدارس فى تكوين أخلاق الطلبه — المواضيع الخاصة بالمدارس الثانوية والعالية — المواضيع الخاصة بمدارس المعلمين والمعلمات — المواضيع الخاصة بالمدارس الليليه — المدارس الصناعية والاصلاحيات

٢٣٤ الفصل التاسع عشر

« الخلاصه »

(ماهي أفضل نظامات التربية الاخلاقية التي تناسب الامة المصرية)

أهمية الموضوع ووجوب تبادل البحث والمناقشة فيه — لنا في اليابان مثل أعلى — نداء لزعماء وقواد الامة المصرية — خلاصة الامور المجمع عليها في التربية الاخلاقية — نظام التربية الدينية — وجوب العناية بحسن اختيار المعلمين ووضع كتب أخلاقية للمعلمين والتلاميذ — نظام التربية الادبية — شخصية المعلم ووجوب العناية بانتقاء المعلمين وسبيل زيادة كفاءتهم ومعلوماتهم

مقدمة

سبق نشر بعض فصول هذا الكتاب فى أواخر سنة ١٩١١ وأوائل سنة ١٩١٢ بجريدة مصر الغراء تحت عنوان «رسائل فى التربية الاخلاقية» عقب عودتى من زيارة سويسرا وفرنسا ، وما رأيته فيهما من دلائل التقدم والمدنية المرتكزة على الاسس المتينة لبناء الامم ، وهى روح التربية الاخلاقية الصحيحة التى تتجلى بارزه فى حياتهما الاجتماعية والصناعية والاقتصادية والسياسية ، فدفعنى ذلك أن ألفت أنظار أبناء الوطن العزيز الى الاخذ بأسباب المدنية من وجوهها الصحيحة ، واستقراء جوهرها ولبها دون اضاعة المجهودات والاموال والزمن فى الاخذ بظواهرها وقشورها ،

بدأت بمعالجة الموضوع من مبادئه الاولية وأزحت الستار عن بيان الفرق بين التربية الصحيحة الواجب توجيه الهمم اليها والتخلق بها ، وبين التعليم المجرد عن روح الاخلاق الذى ينقلب على صاحبه الى نقمه . وأردت بذلك أن أدفع عن أمتى ذلك الخطر الداهم من توجيه تلك الهمة العالية والتعطش الشديد الى الاقبال على العلم دون التربية ، منادياً الوالدين والقائمين بنشر التعليم أن يضموا الى مجهوداتهم النافعة السعى في مايؤدى الى تكوين الرجال والسيدات بتربية الاخلاق وتهذيب النفوس ، وجعل ذلك أساساً فى نهضتنا العصرية والا جرفتنا سيئات المدنية العصرية ومزقتنا أشواكها وقتلتنا سمومها فتكون آخرتنا والعياذ بالله أضل من الاولى .

رفعت هذا الصوت الضعيف فى ذلك الوقت فرأيت من التشجيع والتعضيد ما دفعنى الى المزيد من الكتابة المبنية على البحث والدرس حتى بلغ ما نشرت نحو الثمان رسائل هى جوهر الفصول العشرة الاولى من هذا الكتاب عدا الفصلين السابع والثامن

خاطبنى بعض الاصدقاء وجاءتنى بعض رسائل ممن لم يسعدنى الحظ بشرف صداقتهم داعين إياى الى نشر هذا الموضوع فى كتاب ثابت يرجع اليه ، فأجبت النداء وصرفت الجهد فى زيادة البحث والدرس وانتقلت من نشر الرسائل في صحيفة يومية الى الانقطاع للدرس والتنقيب والكتابة بروية وتؤدة كلما سنحت لى الفرص من أوقات فراغى حتى تم هذا الكتاب فى أواسط سنة ١٩١٤

ما بدأت بنشره حتى انفجر بركان الحرب العالمية فى النصف الاخير من سنة ١٩١٤ ، فخفت صوت النداء الى الاصلاح الاخلاقى ، والاخذ بمبادىء الفضيلة ومراعاة واجب الانسانية فى علاقات الافراد والامم ، لان تلك الساعة كانت للسيف وفعله حيث كان المدفع يحصد الارواح حصداً ، فاندفعت قوى الشر والفساد من معاقلها تلتهم فى طريقها كل فضيلة ، لاتعرف لها مقاماً ولا ترعى للعهود ذمة ، فدفنت مسودات كتاب كان لا يسمح ذلك الزمن بنشره ولا يجد من النفوس فى ذلك الجو اقبالا على مطالعته

وضعت الحرب أوزارها فأخرجت مسوداتى وبدأت بمراجعتها وتبويبها وتغيير مايدعو الزمن الى تبديله ، حتى رأيت ثورة فكرية اندلع نارها فى جميع انحاء العالم وأركانه الاربعه يرجع سببها الى ما تشبعت به النفوس فى سنى الحرب من مقت الظلم ، وما عاشت عليه آمال البشر من التمتع بالرخاء والحرية والانصاف بعد الحرب ، فلما تبين لهم أنها أضغاث أحلام ومجرد سراب لاحقيقة ارتفعت أصوات

نقمتهم ولجأوا الى استعمال وسائل العنف والقتال الذى اعتادوه في سنوات الحرب . فرجعت مرة أخرى بمسوداتى الى مخبأها حتى يقيض الله لها جواً صافياً ويخلق فى النفوس استعداداً لمطالعتها والاهتمام بالمواضيع التى أشرت اليها للاخذ بناصرها والتحلي بمكارمها والعمل على تحقيق مايستقر البحث والتفكير على نفعه لبنات وأبناء هذا الجيل في ذلك الشرق عموماً ومصرنا العزيزة خصوصاً

أما وقد نهضت الآن البلاد الشرقية عموماً ، ومصرنا خصوصاً ، من سباتها وبدأت بالاخذ بالصالح لها بعد البحث ، طارقة أبواب جميع أسس التقدم العصرى وأركانه من تربية وصناعة وتجارة وسياسة ، فرأيت الواجب يحتم علي بنشر هذا لاضم مجهودى الضعيف الى تلك المجهودات القوية التى تسير بهذه الامم الحية الى الامام لتتبوأ مركزها اللائق بها تحت الشمس في مجلس الامم فى كل فروع الحياة ، وأنا موقن أن أساس كل نهضة وركن كل تقدم هو الاخلاق الفاضلة والمبادىء المتينة وقد أشبعت الكلام في هذه النقطة في كثير من فصول هذا الكتاب وخصوصاً ما اعتور حياتنا من النقص وتسرب الى هيئتنا الاجتماعية من الوهن والضعف في جميع مرافق حياتنا من جراء ضعفنا الاخلاقى كما يجده القارىء فى آخر الفصل الثالث من صحيفة ٢٩ الى صحيفة ٣٣

لم أقصر بحثى على مبادىء نظرية عامة فى التربية الاخلاقية ، بل وضعت نصب عينى هدفاً عملياً رميت اليه في كل خطوة من خطواتى كما يرى القارىء فى كل فصل من فصول هذا الكتاب مما دعانى الى افساح مجال الكتابة في تبيان ما كان للحركات العملية والمجهودات الكبيرة فى سبيل التربية الاخلاقية لدى الامم المختلفة سواء بواسطة التربية الدينية أو التربية الادبية ، فبسطت نظامات التربية الاخلاقية في المانيا وفرنسا واليابان والولايات المتحدة الاميريكية وأردفتها ببيان النتائج العملية

لاتباع هذه النظامات ، ثم نقلت الى العربية بعد ذلك ملخص تقرير للتحقيق الدولي في أساليب ونظامات التربية الاخلاقية ونتائجها . قامت به لجنة استشارية من أساطين العلم والتربية والفلسفة والسياسة فى البلاد الانجليزية ، يرى القارىء من الرجوع اليه مقدار المجهود العظيم والاهتمام الكبير والبحث المستفيض فى هذا الموضوع فى بلد من أرقى بلاد الدنيا فى عصرنا الحاضر اشتهرت بقوتها المادية والاخلاقية ، وشعورها بوجوب المزيد ، مما يدفعنا الى اليقظة وتوجيه كل ما أوتينا من همة وذكاء ومال في هذا السبيل

لذلك توجت مباحثى ومجهوداتى بالفصل الاخير من الكتاب للبحث في وضع « أحسن نظام للتربية الاخلاقية ببلادنا » وهو بيت القصيد من عملى هذا راجياً كل من وقع هذا الكتاب بين يديه أن يطالعه بامعان وينزل ميدان البحث فى هذا الموضوع الهام الذى يتوقف على حله حلا صحيحاً صائباً مستقبلنا بل مستقبل الشرق عموماً ، وسيره سيراً حثيثاً في سبيل المدنية الصحيحة الخالية من شوائب العثرات ومواطن السقطات ومواضع الزلات التى تذهب بآمالنا ومجهوداتنا والعياذ بالله

هذا ولا يسعنى فى الختام الا أن أعبر عن مزيد شكرى لكل من عضدنى على اخراج هذا الكتاب الى حيز الوجود بكافة طرق التشجيع والتعضيد وأخص بالذكر جماعة من أفاضل الاجانب منهم الدكتور روبرت مكلانهن Dr. R. S. Mc. Clenanan المدير السابق لكلية الامريكان بأسيوط ومدير كلية العلوم والآداب بالجامعة الامريكية بالقاهرة الآن ، والاستاذ رسل مدير كلية أسيوط الامريكية الآن اذ فتحا لي أبواب مكاتبهما الخصوصية ومكتبة الكلية العمومية على مصراعيها والعلامه الاستاذ كروانا Prof. K. Kroita أستاذ التاريخ بجامعة توكيو باليابان الذى أرسل لي تقرير وزارة

معارف اليابان عن سنة ١٩٠٨ المتداخله فى سنة ١٩٠٩ وهو آخر تقرير كان قد صدر وقت أن خاطبته بشأنه فى ديسمبر سنة ١٩١١ بعد أن أسعدنى الحظ بالتعرف به فى مدينة الاقصر وكان قد جاءها موفداً من قبل حكومته لدرس المدنية المصرية القديمة وسر عظمتها .

ولن أنسى فضل حضرة محمد افندى نجيب سرى الذى صرف أوقات كثيرة فى مراجعة الفصول الاولى من هذا الكتاب وتهذيب بعض ألفاظها

فأترك هذا الكتاب بين يدى القارىء ولا غرض لي الا الفات الانظار وتوجيه الهمم الى العمل على الاخذ بأسباب المدنية الصحيحة التى لا أساس لها سوى الاخلاق وأنا شاعر بكثير من مواطن الضعف الذى يرجع نقصه الي راجياً أن يكون فى نشره دافع الى زيادة البحث ومضاعفة الاهتمام والعمل على تربية الاخلاق فأكون قد وصلت الى ما أصبو اليه من نشره . وعلى الله التوفيق

ابادير حكيم

أسيوط اكتوبر سنة ١٩٢٢

الفصل الأوّل

معنى التربية

تمهيد — ضرورة التعادل في تربية قوى الانسان — تعريف التربية — تعريف سبنسر للتربية — تعريف بستالوزي لها — وجوب التفريق بين التعليم والتربية — نقص التربية بمصر ونتائجه — شهادة مصرى فاضل بنقص تربيتنا الدينية

تعريف التربية عامة

تمهيد

يختلف الانسان عن الحيوان فى ظاهر الحياة الأولية ، فان الطفل يولد وقواه العقلية والجسدية فى غاية الضعف عند مقارنتها بقوى الحيوان البدنية

يولد الطفل وله عينان ولكنهما لا تكادان تميزان الاشياء وله رجلان لا تستطيعان السير إلاّ بعد زمن طويل بينما نرى معظم الحيوانات تعدو على الارض بعد ولادتها ببضع ساعات

يقابل هذا الخلاف فى ظواهر الحياة الأولية اختلافاً أعظم فى أدوار الحياة الأخرى . فقد أودع الخالق الحكيم بين جنبى ذلك الطفل الضعيف غرائز وملكات متى أحسن تعهدها وتنميتها وتدبيرها طبقاً لنواميس طبيعتها ووفقاً لاستعداد الطفل الخلقي والوراثى لبلغ ذلك الطفل الضعيف جباراً فى جسمه داهية فى عقله ملكاً فى أخلاقه ومكارمه تخضع له الاسود الكواسر وتفتح له الطبيعة كنوزها وأسرارها فيسبح بعقله فى عالم الكواكب فيحصيها ويعرف أسرارها ويستخدم الهواء والنور لقضاء

حاجاته والوصول لغاياته ويغوص البحار فيستخرج لآلئها ويسبر الارض فتفتح له كنوزها ويناجى ربه فيوحى له بما لم تره عين ولم تسمع به أذن

ضرورة التعادل في تربية قوى الانسان

وفى استطاعة الانسان الوصول الى درجة الكمال والجمع بين هذه الصفات متي صارت تربيته علي المنهاج الصحيح والسنن القويمة بتدريب جميع قواه وغرائزه وعدم اهمال احداها فى سبيل العناية بالأخرى . ولما كانت هذه الصفات من أمهات المسائل فى فن التربية وخصوصاً لأن أهميتها تكاد ان تكون مهملة فى ديارنا المصرية ، فمن الواجب تفصيل البيان فيها وإلفات النظر اليها حتى تأخذ نصيبها من عناية الوالدين والقائمين بأمر تربية الأطفال والمساكين بزمام إدارة التعليم . فعليها على ما أعتقد نجاح المجهودات التى تبذل في سبيل نشر الحركة العلمية فى البلاد وباهمالها تفشل هذه الحركة بل تنقلب على البلاد بأسوإ النتائج وأوخم العواقب كما سيأتي بيانه تفصيلاً فيما يلى :

ترجع قوى الانسان وغرائزه الى ثلاث : الجسم والعقل والنفس . ولا تصح تربيته ولا تكمل شخصيته الا باتمائها جميعها وعدم اهمال واحدة منها في سبيل انماء الأخرى وإلاَّ فسدت تربيته واختل توازن قواه وترتب على ذلك ما نراه ونُصادِفه فى طريق حياتنا من أفراد تتغلب نقائصهم على فضائلهم فيصبحون أسرى شهواتهم ومطامعهم الشخصية يضحون في سبيل ذلك شرفهم وحريتهم وكرامة عائلتهم وأوطانهم

لهذا التقصير يصبح الانسان ضربة على نفسه وعلى المجتمع الانسانى لان لا سبيل لحصوله على شهواته إلامن طريق الحاق الاذى بغيره وبذلك يبتعد

الانسان بسبب نقص التربية عن الكمال الانسانى الذي أعده الله له وجعل الوصول اليه من طريق التربية الصحيحة الكافلة لانماء جميع القوى على السواء

تعريف التربية.

هذا ما اتفق عليه المتقدمون والمتأخرون من علماء التربية وفلاسفة الاخلاق والاجتماع . ونذكر فيما يلى على سبيل التمثيل والتأييد تعريف التربية لاثنين من مشهورى هؤلاء العلماء :

بعض العلماء

قال أحدهما وهو « سبنسر » Spencer الفيلسوف الانجليز المعروف :

« انما المسألة الكبرى هى كيف يكون حسن القيام على العقل والبدن »
« والاشغال والعائلة وحسن السلوك مع العشراء والجمهور وحسن الانتفاع »
« بما شرعت لنا الطبيعة من مناهل النعيم وصرف قوانا فى اكبر الاشياء »
« عائدة وأجلها حاصلا أو بعبارة أخرى كيف نعيش اكمل عيشة . ولما كان »
« هذا أهم ما نحتاج الى معرفته وجب أن يكون كذلك أهم مقاصد التعليم »
« وأغراضه أي أن واجب التعليم وعمله انما هو اعداد أنفسنا للعيشة الكاملة »
(صحيفة ٨ من كتاب التربية لسبنسر ترجمة حضرة محمد افندى السباعى)

تعريف بستالوزي

وعرّف الاستاذ بستالوزى[1] Pestalozzi التربية بقوله :

« تمثل لى التربية بشجرة مثمرة بجانب جدول مياه جار . وما أصلها إلا حبة صغيرة »
« أودع الخالق فيها شكل هذه الشجرة وخواصها وأثمارها فلما غرست وتعهدها الزارع »
« بما يساعد الطبيعة على عملها ظهرت تلك الحبّة فى شكل نبات . ثم نمت وترعرعت »

(١) هنريك بستالوزى فيلسوف سويسرى شهير ولد فى سنة ١٧٤٦ وتوفي في سنة ١٨٢٣ واليه يرجع معظم الفضل في اصلاح فن التربية العصرية

«حتى كبرت وأينعت وأثمرت وماهي إلاَّ الحبَّة الصغيرة مكبرة نامية. وهذا هو الحال»
«في الطفل الذي أودع فيه الخالق تلك القوى التي تنمو وتظهر مع الزمن»
«بالتدريب فتنمو أعضاؤه وملكاته تدريجاً حتى يصبح من مجموعها وحدة»
«على مثال الله. فالمربي لا يهب الطفل قواه وملكاته. ولكن تنحصر وظيفته»
«في ملاحظة نمو قواه الطبيعية ومنع كل العوائق التي تحول دون سيرها»
«الطبيعي. وعلى ذلك يجب على المربي أن يساعد قوى الطفل البدنية والأدبية»
«والعقلية على النمو الطبيعي دون استعمال طرق صناعية. فيجب أن ينمو الطفل»
«بفضيلة الايمان لا بواسطة المناقشات العقيمة والكلام النظري في معنى»
«الايمان وماهيته بل بما ينشأ عليه الطفل بتصديقه الفعلي ورسوخ الاعتقاد»
«في نفسه. وينمو في فضيلة المحبة بممارستها لا بمجرد التحدث عنها ومدح»
«المتصف بها. وينمو الفكر بواسطة التفكير الذاتي واستخراج ما يجهله مما»
«يعلمه لا بمجرد حفظه معلومات الغير ومعارفه. ويحصَّل العلم بمباحثه الشخصية»
«لا بالتحدث عن مباحث الغير وما وصلت اليه العلوم والمعارف»

نتيجة

من هذا يتبين أن ما يتعلمه الطالب في المدارس من العلوم والمعارف هو قسط صغير فقط من التربية وينحصر في تربية العقل دون سواه وأنه ينقص مثل هذا الطالب لكمال تربيته تقوية البدن وتهذيب الاخلاق وبدونها تكون تربيته ناقصة ويظل عاجزاً في معترك الحياة التي تتطلب لمغالبة الدهر ومكافحة الحوادث قوة البدن والارادة وحسن الاخلاق وسلامة الذوق مع جلاء القريحة وبداهة العقل مما لا يتيسر للطالب ولا يؤهله ليكون رجلا مستقيما معتمداً على ذاته ونافعاً في الهيئة الاجتماعية الا بحصوله على قسط وافر من التربية الكاملة الشاملة لبدنه وعقله ونفسه

وجوب التفريق بين التعليم والتربيه

فيجب والحالة هذه أن نضع نصب عيوننا التفريق بين التعليم والتربية ونميز بين الرجل المتعلم أي المتنور بنور العلم فقط فلا نؤمل منه نفعاً كثيراً وبين الرجل المتربى أى الذى حصل على قسط وافر من التربية الصحيحة جسما وعقلا ونفسا فنؤمل على يديه كل خير لذويه ولبلاده

هذا ما استقر عليه رأي علماء الغرب وحكمائهم بعد الاستقراء والملاحظة والاختبار. فقد تنبهت أوروبا الى ما للانكليزي السكسونى من التفوق على سواه من ابناء الأمم الاخرى فرأت بعد البحث والتدقيق ان الفضل فى ذلك يرجع معظمه الى التربية الانكليزية السكسونية التى لا تقتصر على التعليم فقط بل تتناول التربية من جميع وجوهها فيخرج الشاب الانكليزى السكسوني من المدرسة مستكملا جميع مايؤهله للعمل فى معترك الحياة

مثال

يذكر القراء كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين تأليف المسيو أدمون ديمولان العالم الاجتماعي الفرنساوي الذى ترجمه الى العربية المرحوم فتحي باشا زغلول وما كان له من التأثير الفعال بفرنسا ومصر حيث أبان مؤلفه ان الفضل للانكليزى السكسوني على سواه من ابناء الأمم الاخرى راجع الى تربيته الاستقلالية المؤسسة على انماء ملكاته العقلية وتقوية عضلاته البدنية وتهذيب ميوله النفسية. وقد استشهد المؤلف المفضال على صحة رأيه بخطاب لامبراطور المانيا السابق (الامبراطور غليوم) ذهب فيه مذهب المؤلف الى ان عظمة الأمم وقوتها لا تقدر بعدد المتنورين بنور العلم فقط من ابنائها بل بما يتسلح به أفرادها من التربية الصحيحة. فقد ورد فى الفصل الثاني (تحت عنوان التعليم فى المدارس الالمانية) مايأتي:

« ومهما كان فى قوله (أى قول الامبراطور) من مواضع الانتقاد فانه أصاب »
« منشأ الضرر وحث على وجوب ملافاته فقال : وأرى من الواجب مداواة هذا »
« الداء فقد بلغ السيل الزبى أيها السادة . ولا قبل لنا على ترك الحال كما هي اذ تجاوزنا »
« الحد الذى ينبغى لنا الوقوف عنده وأتت المدارس بما فوق طاقة البشر وتخرج »
« منها من المتنورين مازاد على المطلوب زيادة لا تحملها الأمة ولا يطيقها الافراد . »
« هذا كلام يخالف رأى الذين يزنون عظمة الأمم وقوتها بقدر عدد المتنورين »
« من رجالها . قال الامبراطور « وقد أصاب البرنس بسمارك فى قوله ان لنا من »
« حائزى الشهادات صعاليك . لأن السواد الاعظم ممن رشحهم الجوع وعلى »
« الخصوص حضرات أرباب الجرائد من متخرجى المدارس الذين لم يفلحوا »
« أما قوله « ممن رشحهم الجوع » فجاف وأما قوله « لم ينجحوا » فصواب من بعض »
« الوجوه . قال: « وفى هذا من الخطر مالا يخفى لأن هذا الافراط الذى بلغ حده قد »
« جعل بلادنا شبيهة بأرض غصت بالمياه فلم تعد تحمل السقاية من جديد . لذلك »
« لن أسمح من الآن بزيادة عدد المدارس العالية الا اذا قام الدليل على ضرورة »
« تلك الزيادة . أما الآن فعندنا منها عدد يكفينا » . وهذا القول ايضاً يخالف رأي »
« الذين يزنون عظمة الأمم وقوتها بقدر عدد مدارسها . ومما هو جدير بالنظر ان »
« الذى يقيم هذه القيامة على المدارس ليس متبربراً ولا جهولا خرج من غابات »
« جرمانيا . بل هو ثمرة من ثمار أكبر تقدم وصلت اليه المدارس في الدنيا وناشىء »
« فى البلاد الالمانية التى اشتهرت بالاجتهاد والتمكن من العلوم والتعمق فيها . رد »
« الامبراطور الكلام فى آخر خطابه على مضار طريقة التعليم الحالية بأجسام »
« التلامذة فقال « وما الذى ترجوه من رجل لا يرى الاشياء بعينيه فقد قل الابصار »
« بين تلامذة المدارس حتى بلغ الاعشون منهم اربعا وسبعين في كل مئة . ومع ان »

« غرف التدريس فى مدرسة كاسل منذ كنت فيها كانت نقية الهواء اجابة »
« لرغبة والدتى ولم يزد عددنا على واحد وعشرين تلميذاً كان منا ثمانية عشر يلبسون »
« العيون الصناعية (نظارات) وقد تولانى الفزع من ذلك وأوكد لكم ان كثيراً »
« من العائلات قدمت عرائض لا تحصى شاكية من تلك الحال وراجية توجيه »
« أنظارى اليها . ولما كان أمر ذلك راجعاً الي لانى أبو الوطن فمن الواجب »
« علىّ أن أعلن للناس بان تلك الحالة لن تدوم . أيها السادة . لا ينبغي أن ينظر »
« الناس الى الدنيا بعيون من الزجاج بل بأعينهم الطبيعية . وأنا أعدكم »
« بأنى سأوجه الافكار نحو ما ذكر

« والذي يتلخص من ذلك كله أن المدارس لم تنجح فى التعليم العملى كما »
« حبطت مساعيها من الجهة العلمية »

نتائج نقص التربية بمصر

هذا المثل الأعلا في التربية معدوم عندنا فلو تطلعنا حولنا والقينا نظرة سطحية على نظام التربية فى ديارنا المصرية لتبين لنا أنه لا يصح أن نطلق عليه لفظ تربية بل هو نظام تعليم ناقص ينحصر فى حشو ذاكرة الطلبة بمعلومات لا تدركها عقولهم فيضطرون لحفظها ولو قسراً ليتسنى لهم النجاح فى الامتحانات العمومية . ولا يمضي زمن طويل على ذلك حتى تتطاير تلك المعارف السطحية من ذاكرتهم تطاير البخار فى الهواء لانها لم تتأصل فى عقولهم ولم ترسخ فى عقيدتهم ولم تختمر فى أذهانهم . وهذا هو السر فيما يلاحظ من الفرق بين الطالب المصري والغربى فان الاخير فضلا عما ينـاله من القسط الوافر من التربية الصحيحة فانه يتلقى العلوم بطريقة تنمي قواه العقلية وتنضج بواسطتها أفكاره فيخرج من المدرسة

وقد رسخت فيه ملكة الملاحظة والبحث والاستقراء وطبعت نفسه على حب العلم واستئناف الدرس والتحصيل فتزداد معارفه وتتسع مداركه وابحاثه العلمية والعملية فيفيد ويستفيد باختراعاته ومؤلفاته النافعة

يضاف الى ذلك أنه لم يلاحظ فى تقرير مواد التدريس وخصوصاً فى المدارس الأولية والابتدائية ما يوافق البلاد وحاجاتها ، فالديار المصرية كما هو معروف بلاد زراعية ، أكثر من تسعة أعشارها من المزارعين ، فالواجب اعداد أبنائهم لمزاولة أعمالهم الزراعية كما تقتضيه روح العصر وحاجات البلاد بالاكثار من الدروس الزراعية والعملية المرتبطة بالزراعة كتربية الحيوانات والطيور وطرف من الطب البيطري والصناعة التى يحتاج اليها الزارع كاصلاح ساقيته وادارة الآلات الرافعة للمياه وغيرها من الآلات الزراعية الحديثة التى يجب نشرها واستعمالها بين مزارعى مصر كبارهم وصغارهم اقتصاداً فى الوقت والمصروفات وانماء للمحصولات

أما التربية البدنية فلا نصيب لها من العناية فى مدارسنا الأهلية . وهى فى مدارس الحكومة على وجه تربو اضراره على فوائده اذ تحصر التربية البدنية فى بعض تمرينات والعاب رياضية يشتغل بها بعض تلاميذ يعدون على الأصابع ويشجعهم بعض نظار المدارس طمعاً فى احرازهم قصب السبق فى ميدان المباراة العمومية على طلبة المدارس الاخرى ، وهى طريقة تفسد فى مثل هؤلاء الطلبة تربيتهم العقلية والاخلاقية معاً اذ يغلب فى هذا الفريق من الطلبة الميل عن الدروس الى الاشتغال بالالعاب ويساعدهم على زيادة الاهمال ما يأنسونه من تساهل بعض نظار المدارس لتشجيعهم على احراز قصب السبق في ميدان الالعاب

أما بقية الطلبة فيهمل أمر تربيتهم البدنية اللهم الا (قضاء نحو ربع ساعة) أسبوعياً فى فصل الشتاء فى ممارسة بعض تمرينات بسيطة الغرض منها استعراضهم فى ميدان الالعاب فى الاحتفالات الرياضية السنوية

شهادة مصرى فاضل بنقص تربيتنا الدينية

أما التربية الاخلاقية فلا وجود لها فى المدارس المصرية أهلية كانت أو أميرية . وليس للتعليم الدينى أثر محسوس فى تقويم الاخلاق لأسباب كثيرة سيأتى ذكرها فى الفصول التالية . ويكفى أن نستشهد هنا على صحة ما نقوله بذلك القول المأثور عن ذلك المصري الفاضل فى احدى رسائله البديعة تحت عنوان « أسباب ونتائج » حيث قال :

« ونحن وأسفاه نكاد نكون مجردين عن الاحساس الدينى الذى يودع »
« فى الشخص تلك الكمالات ويربيها . ولست أتكلم عن أبناء المدارس »
« فقط بل وعن طلبة العلم الذين قصروا تعلمهم على ما يلقى فى الجامع »
« الازهر الشريف من العلوم الدينية وما يتبعها وامثالهم . لان هؤلاء »
« قد تعودوا ان يتلقوا احكام الشريعة كعلم يجب حفظه فى الذهن »
« مهملين مع ذلك كل ما ينتج تولد الاحساس الديني الحقيقى وتنميته »

نرى نتائج هذه النقائص فى التربية المصرية محسوسة فى كل فروع أعمالنا وحياتنا فالتعليم . الناقص يخرج من المدارس سنويا جيشاً من الشبان لاقدرة لهم على مكافحة صعوبات الحياة ومغالبتها ولا يصلحون الا للقيام بوظائف الحكومة على وجه يجعلهم آلة فى أيدى رؤسائهم حتى صرح صاحب المعالي سعد باشا زغلول يوم كان وزيراً للحقانية بقوله « ليس لنا الا قضاة ضرورة ومحامو ضرورة »

هذه النتائج السيئة يزداد ضررها أثراً بالبلاد ان لم نسرع الآن لتلافى الحال ونوجه عناية تامة ويقظة شديدة لاتباع أساليب التربية الصحيحة واعداد أبناء الاجيال المقبلة باتباع اساليب التربية الصحيحة جسماً وعقلاً ونفساً والا فالطامة كبرى والآخرة أضل من الاولى لان الجهل خير من التعليم الناقص الذى نسير عليه الآن كما هو مشاهد ومحسوس لمن تأمل ولو قليلا فى حالة أبناء الفلاحين الذين متى تخرجوا من هذه المدارس هجروا الزراعة واستخفوا بالتجارة والصناعة وظلوا فى القهاوى عاطلين انتظاراً لوظيفة فى الحكومة أو احدى المصالح الحرة. ولا يخفى ما فى هذا من الضرر الوخيم على زراعة البلاد متى ازداد عدد مثل هؤلاء الشبان، والزراعة روح مصر ومصدر ثروتها. ناهيك عما تصاب به البلاد من الفوضى الاجتماعية والاضرار الاخلاقية لوجود جيش عاطل من الشبان لا شك يزداد كل سنة متى أهملنا الداء ولم نبادر باصلاح الحال الذى ينذر بالويل والثبور

غرضي من هذا الكتاب الكلام على فرع واحد من فروع التربية الصحيحة وهو التربية الاخلاقية لأنى اعتقد اعتقاداً راسخاً أن الاخلاق هى سر نجاح الافراد وأساس عظمة الامم. وقد أصاب شاعر مصر في هذا العصر فى قوله

وإنما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

الفصل الثاني

الطفولة

الانسان شرير بالطبع — تأثير التربيـة في الطفولة أشد منها في غيرها — التربية التي يحصل عليها الطفل بحركاته البسيطة — الخطوة الاولى فى سبيل ادراكه وجوده الذاتى والاجتماعى — الخطوات الاولى في سبيل التنبه الفكري ـ الخطوة الاولى في سبيل تكوين الارادة وتربيتها ـ رأي سبنسر في تربيـة الطفولة ـ نتائج البيانات السابقة ـ النتيجة الاولى وجوب السير مع قوانين الطبيعة وعدم معارضتها ـ النتيجة الثانيـة وجوب عدم التسرع في تربية الطفل قبل اعداد الطبيعة له لتلقى مايريده الولدان ـ النتيجة الثالثـة الأم هي المربى الأول فعليها القيـام بعملها

الانسان شرير بالطبع

ثبت علماً من قانون الوراثة ، الذي سنشرح تأثيره تفصيلا فى فصل خاص فيما يلى ، ان الانسان جسما وعقلا واخلاقا هو نتيجة لازمة لما كان عليه أسلافه من قبل ولما شاءت والدته وقت الحمل أن يكون عليه ولما اتخذته من الطرق النافعة الموصلة لغرضها المقصود

الا أن تاريخ الانسان يعلمنا أنه لم يخلق فى العالم انسان كامل ، فالكمال لله وحده . ولا يمكن الوالدة أن تجمع فى نفسها كل الكمالات أو تتبع وقت الحمل كل الطرق الكافلة لكمال خلقة جنينها من كل الوجوه . فالنتيجة الطبيعية

المحتمة هى أن أسعد الاطفال حظاً يولد وفيه ميل الى الشر من بعض الوجوه وهذا ما يؤيد الشرائع الالهية ومن ذهب مذهبها من الفلاسفة ويسقط دعوى من يذهب الى غير ذلك من الفلاسفة وعلماء الاخلاق

تأثير التربية في الطفولة اشد من كل تربية

اذا كانت مدة الحمل هى الزمن الذي يوضع فيه أساس القوى الانسانية ويعمل فيه على ايجاد النسل الصالح وان ما يبذله الوالدان وخصوصاً الوالدة من العناية فى ذلك الزمن يوفر عليهما أتعابا كثيرة في سبيل التربية بعد الوضع عملاً بالمبدإ المشهور « الوقاية خير من العلاج » فان زمن الطفولة هو في المرتبة الثانية اهمية فى أمر التربية. لان العمل فى هذا الدور له أشد تأثير على الطفل عن كل ما يتلقنه بعد ذلك فى جميع ادوار حياته الباقية اذ تكون نفسه وملكاته فى هذا الدور رخوة لينة كالغصون يسهل تقويمها واصلاحها. وقد صدق الشاعر فى قوله :

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت
ولن يلين اذا قومته الخشب

ولكن مما يجب ملاحظته هنا أن الغصون مهما قومت فلا تستقيم بالعلاج والتقويم استقامة الغصون التي اوجدتها الطبيعة كذلك. بل يظهر للمتأمل أثر التقويم. وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه فيما سلف من أن للتربية الوراثية أعظم تأثير فى حياة الانسان. ويليها فى درجة الاهمية وعظيم التأثير التربية فى زمن الطفولة. يضاف الى ذلك أن قوى وملكات الانسان تكون فى طفولته اكثر استعداداً منها فى كبره للتعلم والأستفادة وقبول ما يعرض لها من المؤثرات. لأن ما يعرض له وهو فى

فى هذا الزمن يجد نفسا خالية فيتمكن من هذه النفس ويترك اثراً باقيا فيها. أما الانسان في كبره فتكون نفسه قد تأثرت بمؤثرات يصعب بل يستحيل نزعها وتكون اخلاقه قد رسخت واستقرت على حالة يشق عليه تبديلها مهما ادرك بعقله مقدار ضررها ووخامة عاقبتها على مستقبله. ولذلك قال صاحب المثل المشهور « العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر » وهو مثل لا يصدق على العلم فقط بل على كل ما يكتسبه الانسان من الصفات والاخلاق والمعارف. لذلك يجب على المربى الحكيم الذي يراعى الاقتصاد فى أعماله ويهتم بمستقبل أولاده وسعادتهم أن يوجه جل عنايته لتربية أولاده وهم غصون يسهل تقويمهم وتعديلهم. والمربى المقصود هنا هو الوالدة لانها هى التي هيأتها الطبيعة وأودعت فيها الكفاءة الواجبة للقيام بهذا العمل الخطير

عرفت المرأة الغربية الحكيمة ذلك فاصبحت تعتبر دور الطفولة دوراً تكميلياً تتمم فيه ما بدأت به من تربية طفلها وهو في دوره الاول حينما كان جنيناً وفيه تتلافى ما فاتها من القيام به فى الدور الماضى فتغرس فيه من الملكات والفضائل ما فاتها معرفته أو غرسه وتقوى فيه ما بدأت به فيساعدها ذلك على انماء تلك القوى والملكات والغرائز التي غرستها حتى تصير ملكات راسخة وفضائل ثابتة فى نفسه لا تؤثر فيها الحوادث ولا تزعزعها الطوارىء فتنمو مع الايام وتكمل مع السنين وتتهذب بالاختبار فيصل ذلك الطفل فى كبره الى ما قدرته له تلك الأم الفاضلة الحكيمة من الكمال والنجاح

واذا ذكرنا هنا أن درجة تربية المرأة المصرية لا تساعدها على مباراة من ذُكرن من السيدات الغربيات وجب علينا أن نطالب الرجال وخصوصاً

العقلاء والمتعلمين منهم أن يعاونوا زوجاتهم على ذلك وليعرفوا أن هذا أقدس الواجبات المفروضه عليهم وأشرف الاعمال التى يقومون بها خدمة لأنفسهم وعائلتهم ووطنهم . على أن تعاونهم لا يكلفهم مشقة كبيرة لأن المرأة مهما كانت جاهلة بواجباتها فى هذا الصدد فقد خصتها الطبيعة بمواهب لاداء ذلك الواجب المفروض عليها لا يستطيع الرجل نيلها فيكون مقام الزوج والحالة هذه مقام ارشاد واشراف لا يضيع عليه وقتاً كبيراً . ولا يكلفه من المشقة شيئاً كثيراً

وهنا نذكر على سبيل الملاحظة العرضية ما يراه القراء من الاهمية العظمى لتربية البنات وما على الجنس اللطيف من الواجبات الخطيرة وما لها من المزايا الجليلة فى سبيل تربية النوع الانساني . ففى يد المرأة رفعه الى السماك الاعزل لو أحسنت تربيتها أو خفضه الى الدرك الاسفل لو أسىء اليها وأهمل أمر تربيتها وتغذية نفسها وعقلها بالمبادىء العالية والعلوم النافعة . ولهذا قال أحد فلاسفة الفرنسيس : يكون الرجال كما يريد النساء فان اردتم أن يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا المرأة ما هى العظمة وما هى الفضيلة

التربيه التى يجعل عليها الطفل بحركاته البسيطة

يخطيء الناس كثيراً فيما يزعمون أن ليس للحركات البسيطة التي يأتيها الطفل معنى ولا فائدة وانها لا تقدم خطوة ولا تؤخر أخرى فى سبيل تربيته . ولذلك لا يهتمون بأمر تربيته الا فى السن المدرسية فيجنون بذلك على الطفل أعظم جناية ويضيعون عليه أحسن سني حياته وأفضلها للتحصيل والتربية

رأى علماء التربية وفلاسفة الاجتماع بالاختبار ولاحظ مشاهير الاطباء

بالتجربة أن تربية الطفل بعد الوضع تبدأ من أول لحظة يتنسم فيها الحياة وان لهذه الحركات البسيطة معنى كبيرا فى سبيل نموه البدنى والاخلاق والعقلى وبنوا على ذلك بعض القواعد التي متى روعيت جاءت بالفوائد الجليلة وساعدت على نمو الطفل وتربيته التربية الحقة النافعة والى القراء بعض البيان :

الخطوة الاولى في سبيل ادراك الطفل وجوده الذاتى والاجتماعى

يلاحظ أن جسم الطفل مع ضعفه وعجزه عن التحول من جانب الى آخر تحرك أطرافه حركة دائمة . وهذه الحركة الدائمة ضرورية لنموه البدني وسير دورته الدموية . فمتى أحسنت الوالدة فى الاسبوع الرابع من عمر الطفل تدريب هذه الحركات نبهت الطفل الى وجوده وارتباطه الاجتماعى مع الغير فى هذا الوجود . فتخطو به الخطوة الاولى فى سبيل التربية الاجتماعية . ولذلك وضع فروبل (١) القواعد التي يحسن بالوالدة اتباعها عند لعبها باطراف ولدها للوصول الى هذه الغاية وأشار عليها بوضع الطفل على فراش وهو مكشوف اليدين ومداعبته وهو يحرك رجليه فتتركه تارة يرفس برجليه وطوراً تقاوم هذه الحركة بامساكها أو بتعريض صدرها لرفسها ليحول جسمها دون امتداد رجليه وهى فى كل ذلك تضحك وتغنى وترنم فيتنبه شعور الطفل بذلك الى وجود غيره وبالتالى يدرك وجوده الذاتى

---

(١) فريدريك فروبل Froebel ولد بالمانيا سنة ١٧٨٢ وتوفي سنة ١٨٥٢ وله الفضل الاول في درس طبائع الاطفال وملكاتهم ووضع المباديء الاولية لتربيتهم مما أدى أخيراً الي انشاء الكندرجارتن (روضة الاطفال)

الخطوات الاولى في سبيل التنبه الفكري

تكون رأس الطفل عند الوضع أفقية على مستوى واحد مع جسمه وهو فى هـذه الحالة يشبه جميع الحيوانات التي تظل طول حياتها بهـذا الشـكل فيبتـدىء بارسال نظرات من عينيه فيما حواليه ليتعرف ما يحيط به من الاشياء. وحالما يقوى على رفع رأسه يحركها ويجتهد فى رفعها ليتمكن من توسيع دائرة ما يراه مما يحيط به. ويعتبر علماء علم النفس (البسيكولوجيا) هـذه الحركات العقلية من الدلائل المميزة للانسان عن الحيوان وان هـذه الحركات هي الخطوة الأولى فى ذلك النمو العقلي الذي يبـدع العجائب والغرائب فى ميدان السياسة والتجارة والتأليف والاختراع وغيرها من الأعمال الانسانية

الخطوة الاولى في سبيل الادارة وتربيتها

يلاحظ ان يدي الطفل عقب وضعه تكونان دائماً متجهتين نحو وجهه وكثيراً ما تصل أصابعه صدفة الى فمه فيمتصها ويشعر عند ذلك بهذا الامتصاص. وبعد قليل يدرك أنه هو الذي يمتص الأصبعين فيرغب لما يحصل له من لذة الأمتصاص أن يمتص، أصابعه فيوجهها نحو فمه وقد لا يستطيع فى أول مرة أيصالها فيغضب وبعد تحريك يديه عمداً نحو فمه تتصل أصابعه بالفم. وهذه هى الخطوة الاولى فى سبيل تكوين الارادة التى هى السعي والعمل على تحقيق رغبة من رغائب هذه الارادة. وكلما أراد الطفل أن يعمل عملا من الأعمال بعد ذلك كامساك شيء من الاشياء تنمو ارادته من جهة وتنمو ملكاته العقلية من جهة أخرى بما يتعلمه من ملامسة هذه الأشياء ومعرفة شكلها وتركيبها وصلابتها ونعومتها وخشونتها اذ ينتقل ما يدركه بالمس الى دماغه بواسطة أعصابه فتنمو مداركه العقلية

لأن اليد هى الواسطة الوحيدة لتعليم الأطفال كما أنها تكاد تكون الوحيدة لتعليم الكبار الفاقدى البصر الذين متى أحسنوا استعمال أيديهم أمكنهم تعلم كل شيء ووصلت مداركهم العقلية الى درجة كبيرة من الرقى بالمحسوسات التي تدركها الأيدى فتنتقل بواسطة تلغرافات الجسم (الأعصاب) الى الدماغ فتنمو ملكاته العقلية . وفى تاريخ حياة هيلين كيلر Helen Keller تلك السيدة الأمريكية الشهيرة دليل قاطع على ما يستطيع الأعمى ادراكه من العلوم والمعارف بواسطة يديه وما يصل اليه من الشهرة الواسعة وما لديه من الخير والنفع لبني جنسه . وتماما للفائده وتاييدا لما أسلفنا بيانه رأينا ان نورد رأى سبنسر فيما نحن بصدده حيث قال :

رأى سبنسر فى تربية الطفولية

«ان اول ما ينطبع فى ذهن الرضيع هو الاحساسات البسيطة (التي لاتتجزأ) »
«الناشئة من الضوء والمقاومة والصوت . وهذا أمر طبيعى وهو ان الاحساسات»
«المركبة لاتحصل فى الذهن قبل حصول الاحساسات التى تؤلفها فهذه الاشكال»
«لاتحصل صورتها فى الذهن حتى يكتسب شيئا من العلم بالضوء فى خواصه ودرجاته»
« وبالمقاومه فى قواها المختلفة لان من المعلوم أن الأشكال المنظورة انما تدرك »
«بواسطة انواع الضوء المختلفة والاشكال الملموسة بواسطة أنواع المقاومة»

«بناء على هذه القاعدة اي قاعدة التدرج من البسيط الى المركب يجب أن»
«نمد الطفل بوفرة من الأشياء المشتملة على اجناس المقاومة ودرجاتها المختلفة»
«وبوفرة من الاصوات المتباينة فى الشدة والمادة . واوضح دليل على أن غرائز الاطفال»

«تثبت صحة هذه النتيجة مايرى من شدة سرور الطفل عند مايعض لسانه ويلمس»
«ازرة أخيه اللامعة ويجذب شوارب ابيه وكيف أن الاشياء البهيجة الألوان تستفذ»
«ذهنه. وكيف يتلألأ وجهه سرورا عند سماع المداعبة من مربيته او طقطقة اصابع»
«الضيف واي صوت لم يكن سمعه قبل . ولحسن الحظ نرى أن ماتتبعه المربيات»
«مع الأطفال من الأعمال المعتادة يفي بجزء عظيم من حاجات التربية الاولية . على»
«أنه لاتزال بعض أمور مهمة تستوجب من الاهتمام اكثر مما يظن بادىء بدء .»
«والملكات اثناء ذاك النشاط المنعبث من ذاته التي يصحب زمن نشئها وارتقائها»
«تكون أشد تأثيراً بالمؤثرات منها فى أى زمن اخر . ولما كانت هذه المواد الأولية»
«مما يلزم اتقانه وبما أن اتقانها يستدعى زمنا ، اصبح من الاقتصاد فى الزمن ان يشغل»
«الطور الاول من الطفولة في اجادة تحصيل هذه المقاصد الاولية لاسيما وان هذا»
«الطور لايستطاع فيه سوى ذلك» (من كتاب التربية للفيلسوف سبنسر صحيفة ٦٨)

نستنتج مما سبق بيانه بعض النتائج العمليه المهمة التى يجب على كل من اراد ان ينهج فى تربية ولده منهج الصواب أن يتبعها وهى :

اولا وجوب السير مع قوانين الطبيعة وعدم معارضتها

ان من الخطأ الفاضح منع الأطفال عن امساك الاشياء وتمزيق الورق وكسر المواد البسيطة القليلة القيمة في مقابل ما يحصل عليه من التربية بالوسائط المذكورة . فالتعرض له جريمة لا تغتفر للوالدين لانهما بذلك يوقفان نمو الطفل ويكونان حجر عثرة في سبيل تربيته ويضعفان ارادته بالضغط على حريته والوقوف فى وجهه دون اتمام مقاصده الفطرية التى أودعها الخالق فيه لتساعده على التربية

فعلى الوالدة العاقلة ان تلاحظ حركات أطفالها بصبر وسرور وتساعدهم

على مزاولة هـذه الأعمال وتلفت أنظارهم لما يغفلون عنه من الأشياء التي قد يكون بها خواص جديدة لم يعرفوها . وان خشيت على بعض الأثاث المنزلى الثمين من التلف أو الكسر فلتبعده من طرق أطفالها أو ترفعه الى مستوى يصعب عليهم الوصول اليه . وبذلك توفق بين مصلحة اولادها وفائدتهم وبين المحافظة على متاعها الثمين من التلف أو الهلاك

ثانيا وجوب عدم التسرع في تربية الطفل قبل اعداد الطبيعة مايريده الوالدان

متى عرفنا أن الطبيعة اوجدت فى نفس الطفل غرائز تدفعه الى التعلم وتساعده على التربية يجب أن يقتصر عمل المربى الحكيم على مساعدة الطبيعة على عملها دون زيادة أو نقصان بتوجيه قوى الطفل ومداركه للسير في الاتجاه الذى رسمته له الطبيعة . فكما ان التعرض للطبيعة فى عملها جريمة لاتغتفر كما رأينا . كذلك التعجيل بدفع الطفل ومداركه لأنجاز أمر قبل اوانه جريمة لاتقل فظاعة عن سابقتها بل قد يكون لها من النتائج السيئة أضعاف جريمة التقصير . لذلك يجب أن يترك الطفل وشأنه فى سبيل نموه البدنى فينقل من الحركات البسيطة وهو مطروح على فراشه ثم ينهض ويجلس متى ساعدته الطبيعة ودفعته الى ذلك العمل ثم يدب على الارض ثم يتسلق ثم يمشى بدون اعانة او مساعدة لانهما يؤديان الى اضعاف جسم الطفل وكثيرا ما يؤديان الى تشويهه . وهذا هو السبب فيما يلاحظ من احديداب بعض الظهور وتقوس بعض السيقان . لان ساق الطفل تكون رخوة لينة لم تهيئها الطبيعة لحمل جسم الطفل . فاما يقف الطفل ويمشى باحدى الوسائط الصناعية تعجز الرجلان عن حمل البدن فتتقوس ثم تتصلب وهى على هذا الشكل فيصعب بعد ذلك ازالة ذلك التشوه الذى لم ينشأ الا من جهل

الوالدين وتسرعهما فى انماء الطفل قبل اعداد الطبيعة له بما يساعده على هذا النمو. وهذا هو الحال في الأسراع بالطفل لانماء قواه العقلية بطرق صناعية تخالف قوانين الطبيعة اذقد ينجح الوالدان فى تعليم الطفل امورا وكلاما بهذه الطرق الصناعية قبل أن يحين الوقت المناسب لتلقينها ولكن الطبيعة حاكم حازم لايتساهل ولا يتوانى فى توقيع العقاب لمخالفة قوانينه فتعاقب النمو المبكر بضعف وخمول مبكرين

ثالثا الام هي المربى الاول فعليها القيام بعملها

هذه هى كلمتنا الأخيرة في هذا الفصل نسوقها للأمهات لأن الطبيعة هيأت الوالدة لتقوم بتربية أطفالها فكل أمر تشتغل به الأم غير ذلك مهما عظمت أهميته لا يبرر اهمالها القيام باقدس الواجبات عليها فالطبيعة تقتص منها جزاء اهمالها. فالوالدة التى تهمل ارضاع طفلها وتكل ذلك الى المرضعات تعرض جسمها للأمراض البدنية الملازمة لهذا التقصير والاهمال ولا تقتصر الطبيعة على ذلك العقاب البدني بل تضم اليه عقابا أدبيا هو أقسى ما تحتمله والدة فى قلبها ذرة من حنان الامهات وتعلقهن بأطفالهن ذلك العقاب هو ما ينشأ عليه الطفل من الفتور نحو والدته وضعف علاقته بها وأنى لها أن ترى تعلق ولدها بها ومحبته لها نامية مزهرة وهى التى حالت بينه وبينها فدفعته وهو رضيع الى مرضع أجنبية ثم تركته وهو ولد الى خادمة أو معلمة يعلم الله والناس درجة أخلاقها وعاداتها من الرقى أو الانحطاط وجحود محبتها نحو ولد غير ولدها بل الى مربية لا تدرك للأمومة معنى لأنها ليست أماً ولذلك تجهل معنى محبة الأمومة وما تولده هذه المحبة من الصبر والرفق بالطفل وتمليه من الحكمة فى فهم أسرار الطفولية والسير به في طريق التربية الصحيحة النافعة

الفصل الثالث

التربية الاخلاقية

الاخلاق منبع السعادة ـ الاخلاق سر نجاح الافراد ـ التربية الاخلاقية اساس عظمة الامم ـ حاجة مصر الكبرى ـ نقائصنا الاخلاقية

الاخلاق منبع السعادة

أن للتربية الاخلاقية الفضل الأول والمقام الاعلا فى توفر السعادة الانسانية التي هى منتهى ما يرمي اليه الانسان والغرض الوحيد الذى يسعى اليه من طريق التربية الصحيحة . فالتربية الاخلاقية تصل بالنفس البشرية المطبوعة على الفساد والشر الى درجة الكمال الممكن

الاخلاق سر نجاح الافراد

على أن فضل التربيـة الاخلاقية لا يقف عند حـد تهذيب النفس بل لها المقام الأول فى سبيل نجاح الانسان المادى وعلو مكانته الشخصية وقوة شوكته وشدة نفوذه . وقد اتخـذها كانـنج (١) Canning السياسى والخطيب الانكليزي الشهير وهو فى فجر حياته شعاراً له حيث كتب فى مذكرته

(١) جورج كاننج ولد بلندن في ١٧٧٠ وهو أرلندى من جهة والده الذى كان فقيراً فادخله عمـه في المدارس فاظهر براعة في التحرير وأنتخب نائباً في مجلس النواب فى سنة ١٧٩٤ وصار من ذلك الوقت يتقلب في الوظائف السياسية حتى دعاه مليكه وامته لتقلد رئاسة الوزارة ١٨٢٧ وهي السنة التى قضى نحبه فيها

« سبيلي الى القوة انما هو فى الأدب . ولست بسالك سبيلاً آخر وهو ليس السبيل الأقرب ولكنه الاثبت » فنجح نجاحاً باهراً وقام بخدمات جليلة لوطنه يذكرها له مواطنوه بالاعجاب والشكر

فالتربية الاخلاقية الراقية وما تثمره من صدق واستقامة ونزاهة وعفاف وعزة نفس وصدق عزيمة واخلاص فى العمل ومحبة للوطن واستقلال فى الرأي وانكار للذات ولطف فى المعاملة هى صفات لازمة لكل من أراد أن يضرب بسهم صائب في الحياة أيا كانت حرفته ومهما كان مركزه فى الهيئة الاجتماعية . فهى لازمة للزارع والصانع والتاجر والحاكم وصاحب الحرفة الادبية والمتربع فى دست الوظائف الادارية أو القضائية أو الحربية وهى لازمة فى الرخاء والشدة فى السعادة والتعاسة فى السلم أو الحرب . فقد قال نابليون «ان نسبة فائدة القوى الأدبية فى الحرب الى القوى الجسدية كنسبة عشرة الى واحد»

التربية الاخلاقية اساس عظمة الامم

أشرنا فيما سبق الى ما للتربية من الفضل فى ارتقاء الأمم وعظمتها فما ارتفعت أمة فى تاريخ العالم القديم أو الحديث الا وكان سبب ذلك سمو أخلاق أفرادها وبساطة عيشتهم وانكارهم لذاتهم واخلاصهم فى عملهم لوطنهم وانتشار روح الاقدام بينهم وبعدهم عن التفاخر والتظاهر وترفعهم عن الدسائس ونفورهم من الانقسامات . وما انحطت أمة وأفل مجدها وزال سلطانها الا وكان لزوال تلك الأخلاق من نفوس أبنائها وانغماسهم فى الشر والفساد الأثر الفعال فى زوال مجدها وانحطاطها

اقرأ مطول جيبون (١) Gibbon المؤرخ الشهير عن رفعة وسقوط الدولة الرومانية القديمة التى أخضعت معظم أمم العالم القديم لسلطانها وامتدت شوكتها الى غالب ممالكه تر أن الاخلاق الفاضلة كانت سبب رفعتها وان الترف والفساد كانا سبب انحطاطها . وكل من ألم ولو بطرف وجيز من فلسفة التاريخ وحكمته أو بمبادىء العلم الاجتماعى يدرك تمام الادراك ويقتنع تمام الاقتناع أن الأخلاق الراقية هى السبب الوحيد فى سبيل رفعة الأفراد ومجد الأمم فى العلم والثروة والأختراع . وما الحضارة التي ينسب اليها السطحيون الفضل فى ذلك النجاح والتقدم الا أثمار الأخلاق . فالعلم ثمرة الاجتهاد والبحث والاستقراء والثبات وشدة العزيمة . والثروة ثمرة الاقتصاد والعلم بمناهل الثروة وموارد الرزق واستثمار المال والاقدام وحب العمل وحب التغرّب والمهاجرة والاختراع ثمرة الاجتهاد والملاحظة والاستقراء والثبات والصبر والاقدام وتضحية المال بل الحياة فى سبيل العلم . ولكننا لضعف تربيتنا وقصر نظرنا نغفل عن ادراك السر الحقيقي لعظمة الامم التى نغبطها مكتفين بالتفاخر بالجدود الذين يخجلون منا ومن فعالنا فنأخذ بالأسباب الظاهرة ناسين أن لهذه الظواهر أسبابا بعيدة لا قائمة لها بدونها وهى الاخلاق

كل من تصفح الكتب الاجتماعية الجليلة التى تستقصى أسرار عظمة أمة من الامم أو انحطاط دولة من الدول يرى أن الكاتب المفكر يسند ذلك الى الحالة الاخلاقية التى عليها تلك الامم والدول وربما ذكر القراء ذلك الكتاب النفيس الذى ترجمه من الفرنسية المرحوم أحمد فتحى باشا زغلول عن سر تقدم الانكليز السكسونيين ولاحظوا أن الاسباب

(١) جيبون مؤرخ شهير ولد في ١٧٣٧ وتوفي ١٧٩٢ وكتابه المذكور اشهر من أن يذكر

العديدة التي أبانها المؤلف وكانت سبباً فى تغلب الانكليزى السكسونى على الفرنساوي اللاتينى أينما التقى به كلها اخلاقية وترجع الى سبب اخلاق البير وهو الخلق الاستقلالي الذى طبع عليه الانكليزى السكسوني وعدمه كفرنساوي ومن كان على شاكلته من الامم الاتكالية

فالانجليز يضعون التربية الاخلاقية فى المرتبة الأولى من نظامهم الأجتماعى وتراهم يؤلفون الكتب العديدة في تكوين الأخلاق . ولهذه الكتب التي تحث على الفضائل الأخلاقية رواج عظيم عند الانجليز لايدركه المصريون فكتاب سر النجاح الذى ترجمه حضرات اصحاب المقطم والمقتطف لم يطبع على ما اعلم الا مرتين بينما أصله الانكليزى طبع مئات من المرات وكل مرة تطبع منه الاف من النسخ . وفى الأقبال على الكتب الجديدة المقومة للأخلاق دليل قاطع على الروح السائدة على قراء تلك الكتب وتقديرهم لصفات الرجولة والانسانية حق قدرها فلا غرابة اذا ذللوا الصعاب واخضعوا الامم

لذلك قالت التيمس اشهر الصحف الانكليزية وشيخة جرائد العالم:

« أن مايرفع البلاد ويقويها ويعظمها ويمد سطوتها المادية والأدبية ويجعلها »
« معتبرة مطاعة ويخضع تحتها أمماً وممالك هو الأدب آلة الطاعة وأساس »
« العظمة وتاج الرئاسة وعرش السلطة وصولجان القوة »

وقد أدركت ذلك مملكة الشمس المشرقة تلك المملكة اليابانية التي أدهشت العالم بأسره بسرعة تقدمها ونجاحها هذه الحقيقة الثابتة وعرفت كيف تأخذ بالصحيح النافع من المدنية الغربية وتقف على السر الحقيقي لارتقاء الأمم فاخذت بتلك الأسباب فقطعت شوطاً بعيداً في ميدان

المجد والقوة وأثبتت للعالم أن القوة والمجد والعظمة ليست وقفاً على جنس من الأجناس أو أمة من الأمم بل طريقها مفتوح لكل من أراد من الأمم والشعوب لا فرق بين الشرقي والغربي والأبيض والأسود والأحمر والأصفر ، لأن الكل سواء أبوهم آدم والأم حواء ، وان اختلاف أديهم الناشىء عن اختلاف مناطق سكناهم لم يغير من ملكاتهم الانسانيه الطبيعية التي اودعها الخالق فيهم على السواء ولكن الخلاف في درجة مدنيتهم يرجع الى اختلاف تربيتهم وعوائدهم واخلاقهم وانهم قادرون على الارتقاء بواسطة التربية الصحيحه والتخلق بالاخلاق اللازمة لهذا الارتقاء

النفس اليابانيه

ظهر فى عالم المطبوعات العربيه من بضع سنوات كتاب صغير مترجم عن اليابانيه احسن مؤلفه اختيار اسمه للدلالة على موضوعه « النفس اليابانيه » لأنه أظهر فيه سبب نجاح أمته وسر انتصارها على الروسى فى الحرب التي حصلت بينهما وانتصارها على الصين من قبل وما هو الا الاخلاق التي طبع عليها الياباني . أراد المؤلف كشف الستار عنها فى كتابه فاظهر أثرها فى احساس اليابانى واقواله وأعماله بطريقة مؤثرة نافعة نقتطف منها ما يأتى . ومع كون جيشنا « الجيش الياباني » شديد النظام ولكنه يوجد تآلف بين الدرجات العالية والواطية فيه وكانت الجنود تغبط بعضها على تقديم أنفسهم على هيكل وطنهم فروح انكار النفس كانت منتشره بينهم بدرجة عاليه وهذه هى غريزة جيش « ياماتو » الفطريه وقد ظهرت روح الامه الرفيعه هذه وهي محاصرة بورت

أرثور خصوصا بكل قواها فاذا حصرنا التلف المادى الذى لحق جيشنا المحاصر لها لوجدناه هائلا ولكن لو لاحظنا أيضاً النشاط الروحانى الذى استمر فيه لوجدنا تاريخنا عظيما اذ انها ضمت فخراً جديداً الى تاريخ جيشنا وإنك كنت ترى أقل جندى يحارب فى الميدان ببسالة فائقة مقابلا الموت كأنه متوجه الي أهل بيته وكان يصحب هذه الشجاعة حنو وانعطاف وكانوا يتبعون ما يملى عليهم الشرف والواجب معا فى جميع خداماتهم صارخين بانزاي « هتاف دعاء » الى جلالة الامبرطور في وقت موتهم فعمل روح الساموراي « المحارب اليابانى القديم » هذا هو مخالف بالمره لسلوك روح الجنود الروسيه التى تظهر فى ميدان القتال ناظرين فقط الى النياشين والدراهم التي أمام أعينهم (صحيفة نمرة ٥ من كتاب النفس اليابانيه ترجمة اليوزباشي احمد فضلى)

ومما يذكر بالاعجاب لهذه الامه اليابانيه العجيبه وحكومتها الساهرة على مصالحها انها مدة الحرب اليابانيه الروسية سعت فى حفظ آداب جيوشها البريه وابعادهم عن المفاسد والشرور التى تندفع اليها عادة الجيوش المحاربه فرأت أن خير وسيلة لذلك هو انشاء اندية لافراد الجيش والضباط تلقي فيها الخطب الادبية والدينية والعلمية فاصدر قائد الجيش أمراً بانشاء أنديه على أمثال الانديه الغربيه المعروفه « بجمعيات اتحاد الشبان المسيحيين » التى أفادت كثيراً فى حفظ الطلبه اليابانيين فى بلاد اليابان من الاندفاع فى تيار المفاسد الاديبه والاجتماعيه لأن شعار تلك الانديه « العقل الصحيح والجسم الصحيح والقلب الصحيح » فتعمل لتحقيق الغرض الأول من هذا الشعار بانشاء مكتبه وغرفه للمطالعة والقاء خطب تهذيبيه وعلميه وتعمل لتحقيق الغرض الثانى بانشاء قسم خاص للألعاب الرياضية وتعمل لتحقيق

الغرض الثالث بالقاء الخطب الادبيه والدينيه . واستخدام الجيش اليابانى لذلك الغرض مديرين من الامريكان واليابانيين ذوى المام وكفاءة لأدارة هذه النوادى وتحقيق أغراضها فاتت بفوائد جليله وحققت الاغراض الشريفة التى دعت لانشائها مما دعا ميكادو اليابان والامبراطوره ورجال الحكومة أن يعلنوا سرورهم منها بما جادت أنفسهم من المال الوفير أوكلمات الثناء والتعضيد هذه الجمعيات في البلاد اليابانيه ، فتبرع أمبراطور اليابان والامبراطوره فى سنة ١٩٠٥ بمبلغ الف جنيه تعضيداً لهذا المشروع واقتفي أثره فى ذلك العمل كثيرون من أمراء اليابان وكبرائهم وأظهر الجنرال تروشى الذى كان وزيراً للحربيه في اليابان مدة الحرب الروسيه اعجابه وسروره من هذا العمل « بقوله » أود اظهار عجيب سرورى وتقديري لعمل جمعية أتحاد الشبان المسيحيين حق قدره فقد كنت فى مبدأ الحرب ضعيف الثقة بفائدة هذا العمل ظانا أنه كغيره من الحركات التي لا تجدي نفعا ولكنى أعلن الآن أن شكوكى وظنوني انقلبت اعجابا واضم الي صوتى صوت قواد الجيش وضباطه العاملين الذين يشاهدون باعينهم فائدة هذا العمل الجليل »

ولما رأت وزارة البحريه اليابانيه فائدة هذا العمل الجليل أصدرت أمراً بانشاء فرع للجمعيه فى بورت أرثر . هذا مثال واحد لما تاتيه هذه الامه وحكومتها من الاعمال التي تراها نافعة لها بدون نظر الى عنوان العمل أو جنسية القائمين به أو دينهم ذكرتها هنا لتكون ذكرى لمن يذكر

حاجة مصر الكبرى

المصريون كأمة من الامم خاضعون لهذه القاعدة التاريخيه وهى توقف الارتقاء على الاخلاق ، وتاريخ مصر القديم والحديث يؤيد ذلك. وضع العلامة فلندرس بترى Professor Flinders Petrie الأثري الشهير كتابا في فلسفة قدماء المصريين وأخلاقهم يرى منه القارىء أن الفضل في تقدم المملكه المصريه القديمة وعظمتها راجع الى تلك الاخلاق الادبيه والاجتماعية السامية التى كان عليها أسلافنا . ويرى ما نأسف له اليوم وهو أن مصر الوثنيه كانت أثبت قدماً وأعلا كعباً في أخلاقها من مصر التى تدعي اليوم أنها من أهل الكتاب

نعم إن من نظر الى الحركة الفكريه الحالية فى مصر يعجب بنهضة الامة المصرية وتنبهها ، فقد قامت كالبحر الذاخر اذا تدفقت مياهه نحو المدنية الغربيه لتختلط بها ولكن لا يسع المتأمل الذى ينظر اي دخائل الامور الا أن يأسف لما يراه من اندفاع هذ البحر الذاخر فى طريق كثير المخاوف وعسر المسالك لانه يرى قواد الرأي العام المصرى يسيرون في أعمالهم مدفوعين باحساساتهم مستسلمين الى شهواتهم وعواطفهم تحركهم رياح الاغراض وتقلبات الظروف لا يستقرون على حال ولا يرجعون الى العقل والحكمة فى تصرفاتهم وأعمالهم ولا يطرقون أبواب مصادر القوة الحقيقة التي تكون الامم وتعزز جانبها

يقولون من حين الى حين أنه ينقصنا العلم لمباراة الغربيين واسترداد مجد مصر القديم وهو قول فيه بعض الوجاهة فالعلم الصحيح الذى يثقف الذهن وينمى الفكر ويبعث العقل الى البحث والاستقراء والاختراع والاكتشاف قوة لايستهان بها ، ولكنهم لا يعملون على تحقيق

ما يقولون ، فضلا عن اهمالهم وعدم عنايتهم بما هو الزم لحياة الامم ورقيها من العلم وهو الاخلاق ، اذ لو عملنا علي تحقيق رغائبنا العلمية وأصبح المصريون عن بكرة ابيهم من العلماء الاعلام وهم على ماهم عليه من الاخلاق فلا تخطو الامة المصرية خطوة واحدة نحو العظمة الحقيقية للامم ولن تكون تلك الامة العظيمة التي يتوق كل محب لبلاده أن يراها عليه

قال مؤلف كتاب سر النجاح الذى أشرنا اليه فى هذا الفصل « الأدب قوة يصدق عليه هذا الوصف اكثر مما يصدق على المعرفة . والعقل بلا قلب والفهم بلا سلوك والاجتهاد بلا صلاح جميعها قوات ولكن كثيراً ما تكون قوات للشر وقد نستفيد من هذه القوات ولكن من يمدح من كان كذلك كمن يمدح اللص على خداعه وقاطع الطريق على فروسته »

فنحن ان نكن في حاجة الى العلم مرة فالى الاخلاق عشرين مرة . ومن تأمل مواضع الضعف فى الامة المصرية وجدها كلها أخلاقية . فالمصرى بما ورثه من مدنيات أصبح عنده من الذكاء الطبيعى والاستعداد العقلى ما يؤهله الى أعلا المراتب الفكريه ولكنه أيضا ورث من أجيال الاستعباد وحكومات المظالم الماضية أخلاقا كادت تميت من نفسه كل الفضائل

ينظر المتأمل حوله فيرى فى أخلاقنا الفرديه وأحوالنا العائلية والأجتماعيه دلائل النقص الأخلاقى الملموسه

اذ من النقص الأخلاقى أن يضحك الوالد عند سماع ألفاظ السب نقائصنا الاخلاقية

والشتم من طفله فرحا بقدرة ذلك الطفل على النطق جاهلاً انه خير للولد أن يعيش أبكم أصم من أن يكون سبابا نماما

ومن النقص الاخلاقى أن نهمل أمر تربية المرأة لاسباب وهمية ونهضم حقوقها فيقضى بذلك على نصف هيئتنا الأجتماعية بالجمود والشلل ونقضى على النصف الباقى بالتأخر والانحطاط لما للمرأة من التأثير العظيم على الرجال

ومن النقص الأخلاقى احتقار الزراعة والصناعة والتجارة حتي يظن من تخرج من احدى المدارس الابتدائية انه لحصوله على معلومات الدراسة الابتدائية أصبح أرفع من أن يشتغل بهذه الأمور مع انها مصادر الثروة ومناهل النعيم ومراكز الاستقلال والميادين الفسيحة التي تتبارى فيها المواهب والقرائح

ومن النقص الاخلاقى ندب النادبات ونواح النائحات على الشبان الذين يقدر لهم الحظ خدمة وطنهم فى الجنديه

ومن النقص الاخلاقى احتقارنا عوائدنا القديمه الا القبيح منها وتعلقنا بالعوائد الغربيه وخصوصا الفاسد منها

ومن النقص الاخلاقى هجرنا بساطة المعيشة وشظف الحياة وانغماسنا في الترف وتقليد الفقير منا للغنى ومناظرة الوسط للسرى

ومن النقص الاخلاقى المتاجرة بالزواج فيتطلع الشاب الى زوجة ذات تكليف (ثروة) تنفق عليه من مالها ليعيش فى عالم الخمول والكسل

ومن النقص الاخلاقى أن يسافر الوارث الى أوروبا فلا يستفيد سوى المظاهر الخادعة والعوائد الفاسده فيعود الينا وقد امتلأ دماغه من وسائل الترف وطرق الخلاعه مايقضي على ثروته ، ويقلد فى ملبوسه ومأكله أصحاب الملايين من الاوروبين والأمريكيين مع ان رأس ماله الذى يفنيه باسرافه لايوازي ايراد سنة مما يدخل فى خزانة ذلك الغربي الذى يسعي فى استثماره وزيادته

ومن النقص الاخلاقى أن نري السرى الكبير أو الموظف العظيم يجلس وحوله الملتفون من التابعين والمتملقين يعجبون ويضحكون ويقهقهون لما يقذفه لسانه من بذىء القول وقبيح النكات فيظن أنه أتى بمالم تات به الأوائل والاواخر من الفصاحة والذكاء وسرعة الخاطر

ومن النقص الاخلاقى أن يصرف الرجل منا لياليه علي مقاعد القماره فيقضى على صحته وأمواله ويترك زوجته وأولاده فى أحتياج الى ضروريات الحياة

ومن النقص الأخلاقى أن نرى الرجل يبيع عقاره أو يرهن أطيانه ويشترى به لقبا أونيشانا كما يشتري الاسهم فى الاسواق المالية ومع ذلك نرى وفود المهنئين وجماهير المباركين مزدحمين فى داره مهنئين له بما ناله من شرف يعرف ويعرفون أنه مشتري بالاموال فيخدعون أنفسهم ويثبتون على أنفسهم أنهم من عباد التماثيل ويقضون بصنعهم هذا على الشرف الحقيقي الذى لايشترى بمال ويفسدون آداب الامة وأخلاقها بذلك الشرف الموهوم

ومن النقص الأخلاقى أن نري المتصدرين للأنتخابات العامة من مجالس

نيابية او جمعيات اهلية قوما لا يهتمون بالمصالح العامة ولا غرض لهم الا بان يقال ان فلانا نائب وفلانا رئيس أو زعيم ومتى ادركو ذلك ناموا وسكتوا فيعطلون بذلك مصالح العباد

ومن النقص الاخلاقى ان نري محبة الحق ونصرة العدالة معدومة من نفوسنا فنرى الرجل اليوم يؤدى الشهاده كذبا لصديقه أمام المحكمة كدين عليه لشهادة أداها له ذلك الصديق بالامس بينما ترى الشاهد العدل والعارف بحقيقة الامر يتوارى عن الانظار ويمتنع عن الشهادة

ومن النقص الاخلاقى أن نري الصحافى يعرف موضع الداء ولكنه يجبن عن رفع صوته مناديا بالحق مرشدا وهاديا الي الصواب خوف تشويش المشوشين وسباب السبابين

ومن النقص الاخلاقى أن يري الصحافي صراخ المتهوسين متجه الى وجهة تضر بالوطن وتورثه العار ولكنه لا يقوى على نصحه بل يسير معه فى تيار يلقى بالوطن الى مواضع الدمار

ومن النقص الاخلاقى أن نرى القراء لا يقبلون الا على الكتابات السقيمة والجرائد السبابه والوريقات الساقطة والكتب الفاسده، ويضربون بالكتب الجديه والموضوعات النافعة عرض الحائط

ومن النقص الاخلاقى أن نرى موظف الحكومة الذى ياخذ مرتبه من مجموع الامة ليقيم العدل وينشر رايه السلام ويعمل على استتباب الامن ينسى واجبه فيدس الدسائس ويوقد نار الفتنة ويكون مع فريق علي فريق

ومن النقص الاخلاقى أن نرى النائب الذى انتخبته الامه لسن القوانين والسعي في صالح الاهالى على السواء يظن انه أقيم محاميا عن

فريق من الامة لينكل بفريق فتراه يأخذ باليمين الاموال من فريق ليعطيه بيساره لفريق

ومن النقص الاخلاقى أن نري التقلب وعدم الاخلاص في العمل فترى البك أو الباشا الفلانى انجليزيا مع الانجليز ووطنيا مع الوطنيين يحارب اليوم ما كان يدافع عنهم بالامس .ولا غرض له فى ذلك الا جرّ مغنم فانٍ لنفسه ولو باع فى سبيل هذا المغنم شرفه ووطنه

هذه بعض عوامل الأنحطاط فينا والمعاول التي تعمل كالفؤوس فى بناء امتنا المصرية وهى كلها كما يرى القارىء عوامل أخلاقيه لا دخل للعلم أو التعليم فيها بدليل أن القسم الاكبر منها هى أمراض الفئة المتعلمة منا

لكل هذا يحتقرنا الغربى ويطمع فينا الاجنبي ويسبقنا أقل الامم ذكاء وأفقرهم علما ومالا فكيف ونحن مطمع الطامعين وفى قبضة الاقوياء القادرين .

لكل هذا يرى القارىء أن حاجة مصر الكبرى هى الاخلاق الصحيحة المقترنه بالعلم الصحيح . ولكل هذا رأينا تنبيه الأذهان بهذا الكتاب الى العناية بالتربية الاخلاقية فهى الاساس الوحيد لنجاح الافراد وعظمة الامم

الفصل الرابع

﴿ مبادىء عمومية فى طرق التربية الاخلاقية ﴾

غرض التربية الاسمي ـ رأى العلامه فروبل Froebel في ذلك ـ العيوب الحقيقية والغير حقيقيه ـ تعريف العيوب الحقيقيه ـ وجوب العناية باستئصال العيوب الحقيقية من نفوس الاطفال ـ أساسا التربية الاخلاقية هما تربية الاراده الحره وحسن القـدوة ـ حرية الارادة وتربيتها ـ العقوبات الطبيعية والصناعية ـ رأى سبنسر فى العقوبات واقتصاره على الاخذ بالعقوبات الطبيعية فقط ـ رأي المتأخرين وعدم الاقتصار على العقوبات الطبيعية ـ العـقاب النافع وصفاته ـ العقوبات ونتائج الاخـذ بها معـنى الطـاعة الحقيقية ـ حسن القدوة وتأثيرها .

غرض التربية الاسمي : يقول علمـاء الدين ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله أي ذا نفس خالدة كامله ، ولـكن الانسان بميله الى الشر قد سقط فى الفساد وقضي عليه بالموت فاخرج من جنة الخلد الي هـذا العالم . الاّ ان الخلاّق الرحيم فتح له بابا لاسترداد ما أضاعه بواسطة التربية الصحيحة فيرتقي من درجة الي اخرى أرقى منها حتى يصل العالم بهذه الواسطة الى المدنيـة الصحيحة الخالية من كل مفاسد وشرور ومطامع الانسان ، فيعيش الكل أحراراً متساوين فى الحقوق لاسـيد ولا مسود ولا قوي يأكل مال الضـعيف

ذلك لايتم على مارأى علماء التربيـة الا بتربيـة العنصر الروحى أى بتربية الاخلاق فالغرض الاسمي اذاً من التربية هو تربية الاخلاق

رأى فروبل في اغراض التربية

ـ قال فروبل فى كتاب « تربية الانسان » مايأتي :ـ

« غرض التربية ينحصر فى الوصول بالانسان بصفته مفكراً عاقلاً ناميا فى الادراك الذاتى الي حالة نفسيـة نقية طاهرة حرة ، وتعليمه وتدريبـه بالوسائل الموصلة لهذا الغرض »

بناء على ذلك أوجب فروبل على المربى أن ينقش على صفحات قلب الطفل ان كل فرد فى الوجود هو حلقة اتصال بين الماضى والمستقبل فى سلسلة الزمان وان الغرض من وجوده هو العمل على تحسين حال الهيئة الاجتماعية فتخطو خطوة الى الأمام فى سبيل المدنيـة الحقه وان ذلك لايتسني له الا بالتربية الاخلاقية الصحيحة التي تظهر آثارها فى نفسه متي كان سامى الغرض حميد الخصال

نستنتج من ذلك نتيجتين جديرتين بالاعتبار

الاولى * ان من كملت صفاته وآدابه ، وحسنت تربيته الاخلاقية أصبح ميالاً الى حب الخير والسعي فى اصلاح مايراه معتـلا فاسدا من وسطه أو من الهيئة الاجتماعيـة التي تحيط به . يعمل ذلك بعزيمـة صادقة ونيـة سليمة وغرض شريف لاهم له الا الاصـلاح ، لايبغي من وراء ذلك جزاءاً ولا شكورا ، غير طامع فى شهرة كاذبة أو صيت وحسن ذكر ، بل كثيرا مايضحى راحته الشخصية وينفق ماله ويقوم فى وجه من يعترضه فى سبيله من الاغنياء والأمراء والأقوياء وكثـيرا مايعادى أعز الاعزاء وأحب

الاصدقاء اذا رأى منهم اعوجاجا وميلا عن سواء السبيل . يبتعد عن الضوضاء فان ألجأه العمل لرفع صوته فهو يفعل ذلك لا للاعلان عن نفسه بل للاعلان عن غرضه الشريف لنشره وارشاد الناس اليه ، فيكثر مؤيدوه ويزيد معضدوه لما يشاهدونه فيه من الاخلاص ويرون فى عمله من النفع والخير . وهب ان معاصريه لم يدركوا غرضه ولم يفهموا مراده ولم تقدر عشيرته ووطنه آراءه وأعماله حق قدرها ومات دون أن يجني ثمرة أعماله ويبتهج فؤاده بمشاهدة آثار سعيه وثمار زرعه ، فان أعماله لا تذهب سدى وأفكاره لا تضيع هباء منثورا بل تقوم الاجيال المقبلة وأهل العصور التالية بتمجيده وتقدير أعماله والانتفاع بها

هذا هو حال كبار المصلحين وعظماء الرجال الذين أفادوا العالم وخطوا به فى سبيل التقدم والمدنية الصحيحة

وذلك يجرنا الى الكلام عن النتيجة الثانية وهى انه يجب على كل من تصدى للخدمة العامة وتحسين حال طائفة من الطوائف أو أمة من الامم ، أن يكون على خلق كريم . لان الاخلاق هى الصفة الجوهرية اللازم توفرها فى كل فرد يشتغل بالاصلاح ، والا فالنتيجة المحققة خيبة العامل وضياع كل تعضيد ومال فى سبيل تحقيق آماله . وهى النتيجة الطبيعية ومن ينتظر غير ذلك كان كمن يؤمل أن يجنى من الشوك عنبا ومن الحسك تينا

لذلك ترى الامم الرشيدة تعمل على ابعاد ذوى المطامع الشخصية والاغراض الذاتية من القيام بالاعمال العامه بل تنتقي لها الاخيار والافاضل من الامه . ذكر صاحب كتاب سر النجاح ما يعمله الانكليز

فى هذه الامور وما يتخذونه من الحيطه والعناية فى اختيار زعمائهم . فقال:-

« اننا نفتخر بذوى العقول الحاذقة ولكنا لا نتكل عليهم مالم نرهم أدباء »

ولقد أصاب اللورد يوحنا رسل (١) اذ قال « ان من طبيعة الاحزاب فى لندن أن يستعينوا بذوى العقول الحاذقة ويتبعوا ارشاد ذوى الآداب الحسنة »

فلا عجب اذا شاهدنا في مصر عدم نجاح أعمالنا العامة وخيبة مسعي مجتمعاتنا وحركاتنا الاجتماعية لاننا لا ندخل البيوت من أبوابها ولا نسير فيها سير الاخلاص والحكمة

ترى طائفة من طوائف هذه الامة الأسيفة أو حزباً من أحزابها يسعى للوصول الى غرض شريف أو للحصول على حق مهضوم ، ولكن لايلبث أن ترى قواهم قد وهنت وجامعتهم قد انحلت وكلمتهم قد تفرقت وأصبح شأنهم هشيما تذروه الرياح ، فيضيع اتعاب المخلصين وتذهب أعمالهم هباء منثورا فيرجعون باللائمة على الزمان وما اللوم الا عليهم ، لأنهم لم يتبعوا طريق النجاح بانتقاء ذوي الاخلاق الحميده والاغراض الشريفة حيث ارتجعوا من الفاسد صلاحاً واصلاحاً لحال الهيئة الاجتماعيه وانتظروا من المعوج سيراً معتدلا وسريرة نقيه تعمل لخير الهيئة الاجتماعية أو فوضوا لمن فسدت ذمتهم وسوغت لهم أنفسهم هضم حقوق الافراد أن يطالبوا بحقوق المجتمع

أما وقد فرغنا من بيان أهمية التربيه الاخلاقية فى كل فروع الحياة الفردية والاجتماعية فنتكلم الآن عن طريق الوصول الى التربية الاخلاقية الصحيحة

---

(١) وزير انجليزى شهير ولد في سنة ١٧٩٢ وتوفي سنة ١٨٧٨

العيوب الحقيقية

أبنّا فيما سبق ما للطفولة من الاهمية العظمي فى سبيل التربية على أنواعها والطفولة هى أهم دور لغرس المباديء الاخلاقية الصحيحة لمن أراد لابنه ولأجيال الامة المقبلة اخلاقاً شريفة . ولذلك فنبدأ بحثنا من هذه النقطة

كل من دقق النظر فى احوال الاطفال يرى أن للأطفال عالما آخر يختلف عن عالم الكبار في بعض الاميال والرغائب . فبينما نرى البالغ يغضب على من يقاطعه فى حديثه ويعيقه عن اتمام عمله ، ترى الصغير لايهتم ولا يبالى بذلك سواء قاطعه احد فى حديثه او حول نظره الى شيء آخر أو تركه فيما هو فيه

ترى الكبير يتألم ممن يشوش عليه ، والصغير يستمر في لعبه أو عمله وسط التشويش والضجيج

ترى الكبير يميل الى الترتيب والنظام فيختار لكل متاع مكانا ويحدد لكل عمل وقتاً ، والصغير يرى ان كل الاماكن والمواقيت سواء

ترى الكبير يميل الي التأنق وحفظ جسمه وملابسه من الغبار والاوساخ ، والصغير يجعل من الرمل أكواماً وأهراماً ، ومن الطين جسوراً وبيوتاً ، وهو فى ذلك مسرور سواء اتسخت ملابسه ويداه ، أو بقيت نظيفه كل هذه وكثير غيرها ناشئة عن أميال ورغائب أودعها الخالق فى نفس الطفل تستمر معه مدي الطفولة وتزول بزوالها لحكمة عالية ، فمن الخطأ الفاضح أن يحول الوالدان دون الطفل في أتمام هذه الرغائب بمعاقبته على ذلك فانهما بذلك يجنيان على أولادهما شر جنايه ويوقفان سير نموهم وهما يظنان خطأ أنهما يعملان على تربية أخلاقهم

لذلك وضع علماء التربيـة قاعدة عامة لأرشاد الوالدين والمربين الى ما يستحق التفاتهم ويجب عليهم الأهتمام ، به ومنع الطفل عنه واصلاحه واستئصاله من نفس الطفل قبل نموه واستفحال شره ، وبين مالا يجب أن يفكر فيه ويهتم به . هذه القاعدة العامة هى التميز بين العيوب الحقيقية والغير الحقيقية . فما هى العيوب الحقيقية ؟ عرف جان بول رختر (١) العيوب الحقيقية بأنها العيوب التي تنمو وتكبر بنمو الطفل كالكذب ، والنميمة ، والسب ، والحسد الخ فاوجب على الوالدين محاربتها وبذل المجهد فى اصلاحها واستئصالها من نفوس الاطفال بما يستطيعون اليه سبيلا من الحكمة وسداد الرأي

أما العيوب الغـير حقيقية فهى التى تزول وتضمحل بزوال سن الطفولة كالأميال والرغائب الخاصة بالاطفال التى سبق ذكر بعضها ، وهذه وان كان بعضها متعبا للوالدين الا انها لا تحتاج فى اصلاحها الا لمضى الزمن ، فهو الكفيل بازالتها . ولذا وجب على الوالدين عدم صرف قواهما وبذل جهدهما فى مثل هذه العيوب تاركين العيوب الحقيقيـة تخمر كالسوس فى نفوس الاطفال فتتأصل فيهم وتتسلط عليهم حتي تصبح غريزة راسخة يستحيل نزعها فتقضى على تربية الطفل الاخلاقية وسعادته ومستقبله . ولا سبب لذلك سوى جهل الوالدين اللذين اشتغلا بالعرض عن الجوهر فجنيا على ولدهما وعائلتهما ووطنهما

أساسان لا قائمة للتربية الاخلاقية بدونهما

أما وقد عرفنا ما هى العيوب التي تستوجب عناية الوالدين واهتمامهما فيبقي علينا معرفة الوسيلة لاصلاحهما

---

(١) جان پول رختر هو فيلسوف وكاتب المانى شهير اشتهر بوضع كتات نفيس في التربية ولد سنة ١٧٦٣ وتوفي سنة ١٨٢٥

تنحصر هذه الوسيلة فى مبدأين هما الاساسان الوحيدان للتربية الاخلاقية الصحيحة وهما :- (١) الارادة وتربيتها (٢) حسن القدوة

حرية الارادة وتربيتها

قد ينجح الوالدان فى منع الطفل من عمل أمر فردى ولكنهما لاينجحان فى اقناعه بهذه الواسطة بالعدول عن خطئه ، والاقلاع عن عادته . لانه من المستحيل ارغام انسان على عمل والقيام به خير قيام ضد ارادته ورغبته

لذلك وضع علماء التربية قاعدة أساسية للتربية الاخلاقية وهى ترك الطفل حراً فى ارادته وتصرفاته وغرس محبة الحق والواجب فى نفسه حتى يصبح القيام بهما أحب الامور لديه ، وتنفيره من الشر والفساد حتي يطبع على كرهها بمحض مشيئته وفرط اختياره

ولمعترض أن يقول ان محبة الحق وكراهة الشر هما الغرض الاسمي من التربية الاخلاقية فالمراد هنا معرفة طريق الوصول الي هذه الغايه . وهو اعتراض وجيه يحتم علينا بيان طريق الوصول لهذا الغرض السامي

الواسطة لذلك هى ترك الطفل ونفسه ، وملاحظته على بعد دون أن يشعر بمراقبة الوالدين له ، وكلما أخطأ اجتهد الوالدان فى جعل العقاب صحيحا وهو ما كان من جنس العمل

والعقاب الصحيح هو العقاب الطبيعي الذى فرضته الطبيعة على كل من خالف نواميسها ، وهو على الدوام من جنس العمل ونتيجة لازمة له ، فمتي رأى الوالدان ان الطفل يبعثر لعبه فتفرقت واحدة عن يمينه والثانية عن يساره والثالثة أمامه والرابعة خلفه وشاهدا منه التألم من ذلك فليتركاه في

غرفتـه أو ملعبه منفردا يسعى فى جمعها بنفسه دون مساعدة أحـد ومتى ذاق مرارة جمعها استفاد من ذلك درساً لاينساه في المستقبل ولا يعود الى ارتكاب هذا الخطأ مرة أخرى . واذا مزّق أوراقا ومـلأ الغرفة بها أمر بجمعها بنفسه . واذا اتلف لعبة أخيه أو صديقه أمر باعطاء لعبته لاخيه عوض ما أتلفه. فمتى عضه ناب الالم بحرمانه من لعبتـه فلن يعود الى عمـله هذا مرة أخرى

بهذا العقاب الطبيعى يدرك الطفل ان ما ارتكبه هو خطأ لانه عاد عليـه شخصياً بالضرر فيتعـلم من ذلك درساً نافعاً لن ينساه فى مستقبل عمره . أما العقاب الصناعى الذى يوقعـه الوالدان عادة كالضرب والزجر والغضب فله نتائج سيئة

نتائج العقوبات الصناعية

ينشأ من العقـوبات الصناعية اضرار شتى تلحق بالوالدين وبالطفل . ومن الغريب أن هـذه الاضرار أدبية تفسد أخلاق الطفل فكأن الوالدين يضران الطفل من حيث يريدان نفعه

أول هـذه الاضرار أن الطفل لا يدرك سبب غيظ والديه وغضبهما عليه . ولا يفهم من ذلك أن ما ارتـكبه خطأ فلا يستفيد الفائدة التي قصدها الوالدان بما أوقعاه عليه من العـقاب ويعود الى ما عاقباه عليـه المرة بعد المرة . وغاية ما يتخذه لاجتناب وقوع مثل ذلك العقاب المقوت أن يرتـكب ذلك العمل بعيداً عن والديه . وبذلك يرتـكب الطفل خطأين الخطأ الذى عاد اليه وخطأ أشـد ضررا عليـه وعلى مسـتقبله ذلك هو الخداع والغش . أما الخطأ الثانى فهو ما يتولد فى نفس الطفل من النفور

والكراهة لوالديه فهو لعدم فهمه أن ما ارتكبه خطأ يلحق الاذى بشخصه يتألم من ذلك العقاب الذي لا يرى له مسوغا بل يفهم انه اعتداء من والديه عليه وتضييق على حريته فتبدأ كراهته لهما ونفوره منهما وعدم ثقته فيهما . ومتى ضاعت ثقة الطفل فى والديه فقل عليه وعلى أخلاقه الف سلام

أما الضرر الثالث فهو إضعاف ارادة الطفل . لأن الطفل كلما أرغم بذلك العقاب الصناعى على عمل لايفهمه تنكسر بذلك شوكته وتخمد ارادته وتضعف ثم تموت بتوالي الانكسارات ، وخير للولد أن يقصم ظهره من أن تضعف ارادته ، لانه يشب رجلا ضعيف الارادة لا يثبت على حال . تحركه العوامل التي تحيط به وهو كبير . تدفعه هذه الى الامام وتؤخره تلك الى الوراء فيصبح ألعوبة فى يد الزمان لا مبدأ له ولا رأي يركن اليه . فتكون عوامل الخيبة والفشل محققة فى أعماله

أما الطفل الذى تقوى ارادته بما يتخذه والده من الحكمة والوسائل النافعه لنموها وتقويتها حتى يعتاد وهو صغير أن لا يعمل عملا الا اذا تفهم سببه ولو خالف فى ذلك رغبة والديه فيشب قوي الشكيمة ، ثابت العزيمة ، لا تلعب به حوادث الأيام ولا تتغلب عليه عوامل الشر والفساد لانه لايسهل على اخوان السوء وسماسرة الفساد اغواءه واستمالته

أما الضرر الرابع فهو ما يشب عليه الطفل من الانقياد الى والديه والارتكان عليهما فى كل اموره . فهب أن الطفل شب مطيعاً لوالديه يأتمر باوامرهما ويزدجر بزواجرهما فلا يستفيد من ذلك سوى الضعف ورؤية العالم بعينى والديه فيبلغ سن الشباب وليس لديه أفكار مستقلة تكونت فى دماغه باختباره الشخصي وتقديره الذاتى للاعمال غثها وسمينها ، والخصال حميدها وذميمها .

إنَّ شاباً هذه حالته أدعى الى الشفقة عليه من الاعجاب به ، فاذا ابتعد عن والديه ودخل فى ميدان العالم الممتلىء بالحبائل والشباك والمفاسد والشرور حار في امره واصبح سيره فى سبيل الفضيلة الذي رسمه له والداه أو انحرافه عنه ، امرا موكولا الى الصدفة والظروف المحيطة به لان الفضيلة لم ترسخ فى نفسه فيدرك قيمتها ويذود عن حياضها

هذا ما حققته التجارب فى حياة الكثير من الشبان . لاحظت شابا الى نهاية حياته المدرسية الثانوية اذ كانت عينا والديه ترقبانه وتحيطان به من وقت نهوضه من نومه الى وقت نعاسه . يذهب صباحاً الى المدرسة يرافقه الخادم حتى لايختلط باحد في طريقه . ومتى وصل هناك راقبه بعض المدرسين المكلفين بذلك من والده لابعاده عن كل المؤثرات السيئة . ومتى جاء وقت الانصراف من المدرسة عاد اليه الخادم ليرافقه الى المنزل في الغروب كما رافقه الى المدرسة فى الصباح . ومتى وصل هناك تولى رقابته وتعليمه بعض المدرسين المكلفين بذلك

أتم ذلك التلميذ دراسته الثانوية وهو فى الظاهر ساكن أديب وحصل على الشهادة الثانوية فارسله والده الى احدى المدارس العليا ورفع عنه الرقابة ظناً منه أن ما أراده له من التربية الاخلاقية العالية قد تم وأنه قد أصبح رجلا فاضلا يعرف الشر فيبتعد عنه ، ويرى الخير فيقبل عليه ، ولكنهُ مالبث أن رأى ولده سقط فى الفساد شر سقوط

تاريخ كثير من أمثال هذا الشاب درس نافع يستفيد منه الوالدان فى تربية أولادهم من صغرهم بخير سلاح وذلك السلاح هو تعريفهم ما هو الخير وما هو الشر وتقوية ارادتهم باطلاق حريتهم

ومتى تم للانسان ذلك كان بين جنبيه روح مطبوعة على الخير وقادرة على التغلب على عوامل الشر والفساد

نقد مذهب العقوبات الطبيعيه

كان لمذهب العقوبات الطبيعية الذى غالى الفيلسوف سبنسر فى فائدته التهذيبية تأثير محسوس على مبادىء التربية لما فيه من المزايا الجليلة

على أن علماء التربية وجهوا انتقادات وجيهة لمذهب العقوبات الطبيعية لا لغرض الرجوع الى العقوبات الصناعية والعقيمة، والاخذ بمبدأ استعمال العصا الذى له من الاضرار الجسيمة ما سيأتى بيانه بل، لتبيان ما يعتور الاخذ بمذهب العقوبات الطبيعية أخذاً مطلقاً من النقص الذى قد يضر بالاطفال وتنبيها للوالدين والاساتذه حتى يحذروا الافراط والتفريط ويستعملوا فطنتهم وعقولهم فى كل حادثة وظرف من الظروف، فيلجأون الى الشدة بل لاستعمال العصا في بعض الاحيان التي تدعو فيها الحاجة الى ذلك لاصلاح حال الطفل حالا قبل فوات الوقت

أما الانتقادات التي وجهت لمذهب العقوبات الطبيعية فتنحصر فيما يلي

أولا ان النتيجة الطبيعية للاعمال قد لا تأتى فوراً عقب العمل وكثيراً ما يمضي وقت طويل قبل ظهور أثره الطبيعي فمن الخطأ اذاً فى مثل هذه الاحوال أن ينتظر من الطفل القليل الخبرة، الضعيف الادراك، القصير النظر، أن يدرك أن هذه النتيجة البعيدة هى ضد ذلك العمل الذى ارتكن عليه من زمن بعيد. ولا يقتصر هذا الحكم على الاطفال والصبيان بل يصدق أيضاً على معظم الشبان وهم فى زهو شبابهم مدفوعين بقوة تيار الشباب وعوامله التى لاتترك لبعد النظر ودقة الفكر مجالا واسعاً للتفكير والتأمل

وعلى هذا استنتج المتأخرون من علماء التربية أنه لايجب الاعتماد على

العقوبات الطبيعية فى كل الاحوال لما ينجم عن ذلك من الاضرار وأوجبوا على الوالدين والمربين ضرورة استعمال الفطنة وعدم التقيد بالنظريات لدرجة الاستسلام الضار بآداب الاطفال والتلاميذ

ثانياً : ان الاخذ بالعقوبات الطبيعية وحدها وإن صح فى كثير من المسائل الفردية ضار بالطفل ومن حوله من الاخوة والتلاميذ . فمن الخطأ البين الاعتماد عليها وحدها فى أحوال الجماعات كالمدارس والجمعيات حيث يقصد من العقاب زجر المخطىء وعظة المرتبطين به والمختلطين معه ، لان الخطأ الذى يرتكبه المخطىء لايقع عليه وحده بل يتعداه الى كل من حوله من طريق القدوة . فمن العدل اذا ان لايقتصر على العقوبات الطبيعية البطيئه لاصلاح هذا الخطأ فان هذه العقوبه وان اصاحت شخص المخطىء فانها لاتؤثر على هذا المجموع الذى يكون قد تأثر بخطأه بانتقال القدوة السيئة اليه . وبذلك يتشجع افراد هذا المجموع على ارتكاب مثل هذا الخطأ فيزداد الشر وينتشر . وهناك الطامة الكبرى والضرر الأبلغ فيازم والحالة هذه ان يكون العقاب مصلحا لخطأ الفرد وزاجرا للمجموع وهذا لايتحقق بالركون الى العقوبات الطبيعية وحدها . لكل هذا يجب ان يكون العقاب كفيلا باصلاح خطأ الفرد وزاجرا للمجموع وهذا لايتحقق الا باستعمال منتهى الحكمة فى توقيع العقاب فلا يكون شديدا يقصم الظهور وينفر منه الاحساس، ولا يكون بطيئا لطيفا لايكترث له المخطىء ولا يشعر به المجموع

لهذا يجب ان يتوفر فى العقاب الشروط الآتية ليكون نافعا للفرد والمجموع معا

(١) ان تكون درجة الألم متناسبة مع الخطأ ، فالعقاب الناعم الملمس

لايفيد خلوه من عنصر الزجر الواجب لاقناع المخطىء بالاقلاع عن خطأه

(ب) ان يكون العقاب مرتبطا بالخطأ وقريبا منه، بحيث يشعر المخطيء بعلاقته السببية بين الخطأ والعقاب فيعتبر به المخطىء ويزدجر به من حوله

(ج) ان يكون خلوًا من عوامل الأنتقام ومن جميع النتائج المؤلمة التي لاتتناسب مع الخطأ. فكما ان العقاب الخفيف ضار بالمجموع فالعقاب الشديد ضار بشخص المخطىء، ومنفر للمجموع ولا خير فى الافراط أوالتفريط

الطاعة الحقيقية

يتضح مما سبق معنى الطاعة . فهى ليست الانقياد لاوامر ونواهى الوالدين والرؤساء سواء فهمها الطفل أو لم يفهمها، لان ذلك استسلام وجبن وضعف نفس يجب على الوالدين العاقلين محاربتها فى نفس الطفل

فالطاعة الحقيقية اذاً هى طاعة الضمير، والقيام بما يعتقده الانسان حقاً. ومتى كان الانسان أميناً لنفسه أصبح أميناً لغيره وبذلك تكون عدم الطاعة مخالفة الانسان لضميره واتيانه أمراً يعتقده خطأ فيكون ندمه في هذه الحالة على ما فرط منه شديد الوقع على نفسه أكثر بكثير من عقاب الوالدين، خصوصاً متى كان العقاب محسوسا يدرك الطفل أنه نتيجة ما ارتكبه من الخطأ

لذلك يجب على الوالدين مراقبة الطفل عن بعد وكلما ارتكب خطأ لاحظوا ما يحل به من العقاب الطبيعى أو أوقعوا عليه من العقاب ما يكفى لتنبيه نفس الطفل الى ادراك خطأه واقلاعه عنه، وزجر من حوله من اخوته واخواته وتفيد هذه المراقبة أيضاً بأن تمكن الوالدين عند الضرورة

من منع ما ربما يحل بالطفل من العقاب الشديد الذى يؤدي به الى التهلكة

لذلك يجب على الوالدين عدم التداخل فى أعمال الطفل وتصرفاته الا عند الضرورة القصوى لمنع ضرر لا يقوى الطفل وحده على دفعه عن نفسه . متى اتبع الوالدان ذلك وقللا ما أمكن من أوامر المنع والتحذير ، كان لما يصدرانه من الاوامر عند الضرورة التأثير المطلوب على ولدهما فيمتنع عن اتمام ما ينزع اليه لانه يدرك أن ذلك المنع النادر صدوره له انما لضرورة شديدة استلزمته

أما الوالدان اللذان يكثران من الانذار والوعيد والمنع فى كل الاحوال والاوقات ، فان تحذيراتهما تصبح لا قيمة لها ، ويعتاد الطفل اهمالها وعدم الاكتراث بها فتضيع الفائدة المقصودة منها عند الحاجة ، ويرمي الطفل بنفسه فى الهلاك يومياً رغم تحذير وتنبيه الوالدين اللذين عوداه عدم الاكتراث بتحذيرهما المتكرر

من ذلك نستخلص قاعدة يجب على الوالدين العاقلين نقشها على صفحات قلبيهما وهى اذا اردت أن تطاع فقلل من اوامر التحذير والمنع قدر المستطاع

حسن القدوة

وقد رأى فروبل ووافقه على ذلك سبنسر أن الافضل للوالدين أن يبدلا كلمات التحذير والمنع بكلمات الامر والحض على عمل الصواب والخير ، وان يكونا فى ذلك خير قدوة للطفل ، فالانسان والطفل على الخصوص من أشد الحيوانات تقليداً وأكثرهم تأثرا بالقدوة

يرى المتأمل فى حياة الافراد ان الانسان يتأثر بالقدوة دون أن يشعر

فهو يعمل هذا الامر ، ولا يهمل ذاك ، بعامل القدوة وبدافع التقليد وهو يتوهم انه يعمل بناء على أسباب قد يذكرها وما هى الا تعليل لما يعمل لا سبب دافع به الى ما فعل

ترى لما ذا ينشأ الطفل الانكليزى يتكلم الانجليزية والفرنساوي الفرنساوية والمصرى العربية اليس ذلك بعامل التقليد والقدوة ؟

لما ذا يتخلق أهل كل بلد بالعادات القومية اليس ذلك بعامل القدوة ؟

نكتفى بهذين المثلين لاننا لانحتاج لاثبات أمر بديهي لاينكره أحد لذلك كان من الواجب على الوالدين أن يتخلقا بافضل الاخلاق ويكونا مثال الكمال لان للطفل عينين تبصران وبين جنبيه فؤاداً خالياً يتأثر بكل ما يراه

فكيف يتسنى لهما أن يأمراه بالمعروف وينهياه عن المنكر وهما متخلقان بغير ما يقولان ؟ فهو ان لم ينطق لسانه بالاعتراض عليهما ليبين لهما وجه التناقض بين أقوالهما وأفعالهما فان عينيه الصغيرتين تتطلعان اليهما ولسان حالهما يقول

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

اذا ذكر الوالدان ذلك وذكرا المسئولية الكبرى الملقاة على عاتقهما نحو أولادهما ووطنهما وذكرا الحنان الوالدي الذى يدفعهما الى عمل كل ما يصل بذلك الولد الى اعلا مراتب الكمال الانسانى ، ذكرا الارتياح والسعادة الداخلية التي يشعران بها متى رأيا ذلك المولود فى حالة الكمال الذى يودانه له ، لهذبا أنفسهما وعدلا عن كثير من النقائص وامتنعا عن كثير من المعائب وعاشا عيشة الفضيلة والكمال . والخلاصة أن أساس كل تربية أخلاقية صحيحة هو تربية ارادة حرة قوية فى الطفل وقدوة صالحة تحيط به

الفصل الخامس

﴿ العيوب الحقيقية اسبابها وسبل اصلاحها ﴾

أسباب العيوب صحية وعقلية وتقليدية . العيوب الناشئة عن أسباب صحية . الغضب أسبابه ووسائل اصلاحه . ـ شكاسة الخلق وسوء الطبع أسبابها وسبل اصلاحها ـ الخمول والكسل . أسبابه وطريقة اصلاحه ـ العيوب الوراثية والتقليدية . الكذب . أسبابه وسبل اصلاحه ـ أنواع الكذب ـ الكذب التجنبى ـ الكذب السياسى ـ حب الذات أسبابه وسبل اصلاحه ـ الغيرة أسبابها وسبل اصلاحها ـ الوقاحة اسبابها وسبل اصلاحها ـ نظرة عامة الى سبل اصلاح العيوب السابقة ـ اضرار التأديب بالعصا ـ متى يلجأ الى التأديب بالعصا

أبنّا فيما سلف أن العيوب التى يجب على الوالدين استئصالها من نفوس أطفالهم فى أبان حياتهم هى العيوب الحقيقيه التى تنمو مع الزمان وتتأصل فى النفس بكرور الايام

فيهمنا هنا أن نعرف الاسباب التي ترجع اليها هذه العيوب لان هذه هى الوسيلة الوحيدة والطريقة الفعاله لمعالجتها واصلاحها فمتى عرف السبب أمكن الوصول لاقتلاعه واستئصاله فيزول المسبب وان استحال استئصال

أمكن تخفيفه واضعافه فتخف وطأته ويضعف أثر نتائجه
ترجع هذه العيوب الى أسباب صحيه أو وراثيه أو تأثر بالقدوة والوسط

« العيوب الناشئة عن الحالة الصحيه »

ليس من شأننا هنا أن نأتي بكل العيوب الناشئة عن حالة الشخص الصحية بطريق الحصر بل غرضنا الاتيان بأمثلة يحسن الاسترشاد بها وبيان قواعد عمومية للسير بمقتضاها اذ من المستحيل عمل احصاء بعيوب الانسان ونقائصه ووصف دواء لكل داء بل الواجب درس أحوال كل شخص والوقوف على ما يحيط به من الظروف وما يعمل فيه من المؤثرات فقد يكون العيب الواحد لدى شخصين راجعا الى سببين مختلفين ومتي علمنا هذه القواعد العامة ـ استرشدنا بها فى معالجة مختلف الاحوال ومتعدد النقائص .

فمن العيوب الناشئة عن حالة الشخص الصحيه الغضب او حدة الطبع وسرعة التهيج وشكاسة الخلق والكسل والخمول

« الغضب »

ـ أسبابه وسبيل اصلاحه ـ

ينشأ الغضب أو شده الانفعال وسرعة التهيج عن حالة الانسان الصحية كسوء الهضم أو شدة التنبه أو عدم النوم الكافى أو عدم استنشاق الهواء النقى أو الحرمان من التمرينات البدنيه .

على أنه قد ينشأ أيضاً من عدم معاشرة الاطفال لمن كان مساويا لهم فى العمر وصرف أوقاتهم مع من هم أكبر منهم سنا وأقوى قوة

وأكثر علماً اذ ينشأ عند وجود تلك الفوارق في القوى البدنية والعقلية اجتهاد الطفل الصغير فى مناقشة الوالد الكبير فيجهد قواه الى حد لا يستطيع احتماله فينتج من ذلك الاجهاد العصبى شدة التأثير وسرعة التهيج

ومن الجهة الاخرى فان الطفل فى هذه الحالة يستحيل عليه مباراة الكبير للفوارق العظيمة الكائنة بينهما فيعمد الى الغضب والانفعال لسد ما نقص من عجزه الطبيعي الناشيء عن صغر سنه كمن يلجأ الى المسكرات لتعويض ماينقصه من الشجاعة عند الاقدام على عمل يقتضي الجراءة والاقدام

أما وقد عرفنا الاسباب الدافعة الي هذا النقص الاخلاقى فيسهل علينا وصف الدواء الشافى وذلك بازالة سبب ذلك العيب بالمعالجة الطبيعية لتقوية بدن الطفل بالتمرينات البدنية والرياضية في الخلاء وفى أعالى الجبال وترويض الفكر بالمناظر الطبيعية المختلفة فتنتظم حركة أعصابه الدموية ويملك قياد نفسه ولا يستسلم لثائرة غضبه

بقي علينا بيان طريقة معاملة الطفل عند قيام ثورة الغضب فى نفسه وسقوطه فريسة فى مخالب الانفعال النفسانى الذى يسطو عليه من وقت لآخر

الدواء لذلك هو العزله والهدوء. فمتى ترك الطفل فى حالة انفعاله منفردا فى وسط هادىء محاط بأسباب تسلى النفس وتطربها كحديقة غناء أو غرفة مزينة بالرسوم الجميلة مرتبة ترتيباً بديعاً، وبها بعض أدوات الألعاب التي تصبو اليها نفسه والكتب التي تلذله مطالعتها هدأت ثائرة غضبه وزالت

عنه اسباب الحمق وسكنت اعصابه فيثوب الى رشده ويرجع عن غيه ويشعر بخطأه . وفي هذه الحالة يرى كثيراً أن الطفل يلتمس من والديه الصفح عما ارتكبه من الخطأ فيفتح بذلك لوالديه باب نصحه وارشاده لما يجب عليه عمله وبيان مايلحقه من ضرر الاستسلام لعوامل الغضب والحماقة ووخامة العاقبة على نفسه وجسمه ، ويجب ان يلاحظ انه اذا كان الطفل متلافاً فلا يترك وهو في ثورة غضبه في غرفة بها من الأثاث والرياش مايسهل كسره واتلافه ، وان سها على الوالدين هذا الأحتياط وسمعا كسر الأواني واتلاف الأثاث فليمتنعا عن التهديد والوعيد ، فأن ذلك يزيد نيران غضبه اشتعالا وثوران نفسه انفعالا بل يجب عليهما تركه حتي يهدأ غضبه ومتى عاد الى رشده وادرك قيمة ما أتلفه وطلب الصفح عما فرط منه من الخطأ ارشدوه الى ما يجب عليه عمله لتعويض ما اتلفه

ولايخفى مايصيب المجموع العصبى من هذه الثورات النفسيه وما يتركه الغضب في الجسم من اثر التعب ، فترى الطفل بعد زوال العاصفة يميل الى الراحة والنوم . فيجب على الوالدين فى هذه الحالة اراحة الطفل وعمل الوسائل الكافلة لانعاشه ، فانه بذلك يعوض كثيراً مما اصابه من ضعف القوى وانتهاك البدن الناشيء عن الحدة والانفعال النفسانى

يتزايد هذا الضعف البدنى وتشتد وطأته على الأنسان كلما تعددت هذه النوبات فيضعف بذلك المجموع العصبي وتضعف معه الارادة وقوة المقاومة بتوالى العواصف العصبيه

ولذا يجب على الوالدين بذل ما فى وسعهما لمنع كل الاسباب التي تثير هذه العواصف النفسية ومنع رفاق الطفل من اغاظته واهاجة عواطفه

ولكن يجب مع ذلك الاحتراس من عدم ادراك الطفل لذلك الامر لئلا يتخذه ذريعة لقضاء أوطاره منهما وزيادة مطاليبه ورغائبه الصبيانية التى قد يرى الوالدان في اجابتها ضرراً عليه فيمتنعان اجابة عن الطلب فيثير عاصفة غضبه عمداً ليرغم والديه على اجابة طلبه وبهذا الصنيع يقضى الطفل على نفسه من وجهين أولهما تمكن الحدة والغضب من نفسه وما ينشأ عن ذلك من ضعف قوة بدنه وارادته وثانيهما نيله أموراً تلحق به اضرارا أدبية وبدنية وتسلطه على والديه الى حد لا تؤمن معه العواقب ولا يعلم مصيرها وسوء أثرها فى نفسه وعائلته الا الله

« شكاسة الخلق وسوء الطبع »

أسبابها وسبل اصلاحها

ينشأ هذا الخلق الذميم عن ثلاثة أسباب بعضها صحي وهو مرض الكبد وضعف المعدة ، وفى هذه الحالة يعالج بتخفيف الطعام والاكثار من أكل الفواكه والخضروات وتدريب البدن على الالعاب الرياضية وترويض الجسم فى الخلاء واستنشاق الهواء الطلق النقي

وقد ينشأ أيضا من حرمان الطفل وسائل السرور ومسرات الطفولة وألعابها ، فيعتاد النظر الى العالم بعين سوداء لا بهجة فيها ولا سرور ، وبذلك تمكن فى نفسه روح الكآبة وينشأ عن ذلك شكاسة الخلق وسوء الطبع

لذلك يجب على الوالدين توفير كل وسائل الفرح والسرور للطفل والفات نظره لما يحيط به من دواعى السرور والابتهاج وتقوية فكره

ببديع المناظر الطبيعية والصناعية ، والفاته للحوادث التي تقع تحت نظره والاشياء والاشخاص المحيطين به ، فيمتاد بصره وفكره الاشتغال والعمل وبذلك تنجلى عن صدره الهموم ويعيش على الدوام في سرور

وقد يأتى هذا الخلق الممقوت أيضا بطريق الوراثة أو بعدوى الوسط السيء الذي يحيط بالطفل وفى هذه الحالة يجب على الوالدين المبادرة بابعاد الطفل عن كل المؤثرات السيئة التى تحيط به وإيجاده فى وسط يخفف من وطأة هذا الخلق الذميم حيث تتوفر فيه كل موجبات الفرح والسرور

« الخمول والكسل »

اسبابه وطريقة اصلاحه

يرجع الكسل والخمول الي سببين عامين احدهما طبيعي ناشىء عن حالة صحيه يمر فيها كل فرد فى الوجود وهو فى دور المراهقه حوالى السنة الثانيه عشرة الى الخامسة عسرة من العمر اذ يكون الانسان فى هذا الدور من الحياة ميالا الى الراحة يفضّل السكون على الحركة والنوم على الصحو ، ساهى البال ، بطىء الحركة ، غريب الاطوار ، فاذا ماأرغم على اجهاد قواه البدنيه او العقلية شعر بضغط زائد على حركات القلب

كل ذلك ناشىء عن حركة الانتقال التى يمر فيها الجسم الانساني فى هذا الدور من الحياة حيث تنمو جميع وظائف جسمه. وبذلك تنصرف كل قوى الأنسان لأتمام هذا العمل الداخلى العظيم وتنشأ عن ذلك تلك الحالة التى وصفناها والتى يكون معها كل اجهاد بدنى أو عقلي مضرا بالصبى وموقفا لحركة نموه التى تتوقف عليها سعادته وكفاءته فى مقتبل عمره

لذلك يجب على الوالدين والمعلمين مراعاة هذا الامر وعدم اثقال كاهل الصبيان والبنات فى هذا الدور بالعمل الشاق الموقف لحركة نموهم بل يختارون لهم من الاعمال ما يلذ لهم ويناسب نموهم البدني والعقلي ، وافضل ما يوافقهم فى هذا الدور هو ما يتعلمونه بالملاحظة والمشاهدة من الآثار والعاديات والتجارب العملية والصناعية فى المعامل والحدائق والحقول وما يمكن لذوى الثروة واليسار منهم تعلمه بالسفر والتجوال . فبهذه الوسائط النافعة يتمكن الوالدان من التوفيق بين نموّ الطفل البدني والعقلى ، فينمو صحيح الجسم سليم العقل ، رضي الاخلاق ، متوازن القوى ، دون أن يضيع عليه ذلك الزمن هباء منثوراً مع ملاحظة عدم التفريط فى ذلك خوف اعتياد الطفل الاهمال والتفريط

أما من يعارض الطبيعة فى عملها ويكلف الطفل فى هذا الدور ما هو فوق طاقته ، ويتطلب منه أكثر مما تؤهله الطبيعة لاتمامه ، فانه بذلك يجني عليه جنايتين ربما قضتا على مستقبله وسعادته ، أولهما إيقاف سير نموّ الطفل وفي ذلك من الاضرار الوخيمة العاقبة ما لا يخفى . والثانية خيبته فى ترغيب العمل الى الطفل فتتولد فى نفس الطفل سآمةً وكراهةً للعمل يتركان أثراً باقياً فى نفسه فيعيش بقية حياته وهو مطبوع على الكسل والضجر وسآمة العمل

على ان ذلك الكسل الطبيعي لاينحصر فى دور المراهقة فقط بل يداهمه كلما أصاب قوى الانسان الجسمية ما أصابها في دور المراهقة . فقد عرفنا مما سبق ان سبب الخمول فى دور المراهقة هو التغيير الداخلى الذى يطرأ على الانسان بنموّ جميع وظائف الجسم وهو فى هذا السن . ومن ذلك

نرى جليا أن نفس هـذا الخمول يصيب الأنسان فى حال النمو السريع ولو قبل دور المراهقه أو بعده لأن الأسباب الواحدة تؤدى الى نتائج واحدة فينتج من كل ما سبق نتيجة جديرة بالتفات وعناية الوالدين والمربين وهى اجتناب السرعة الزائدة فى تربية الاطفال بل ينبغي ان تكون وسيلة تربيتهم التؤدة والتعقل والثبات فكل التجاء الى السرعة يترتب عليه ضررا بالطفـل اكثر من النفع لان السرعة هى نتيجة اجهاد عصبي شديد يضعف الأعصاب يعرض المجموع العصبي لانفعالات نفسانية مختلفة تضر به وتؤثر على اعماله

وقد يرجع الخمول الى اسباب غير طبيعيه ناشئة عن امراض جسمية ففي هذه الحالة يكون عرضا من اعـراض ذلك المرض ويزول بزواله وفى هذه الاحوال يجب معالجة المرض الناشىء عنه الخمول

ترجع هذه الامراض الى ثلاثة انواع ـ (١) ضعف البنية (٢) فقر الدم (٣) الاعراض الاولى لاحد الامراض ـ اما ضعف البنيه فأعراضها فقد شهية الطعام ونحافة البدن او السمن المفرط . والشهية الزائدة الغير طبيعية والنمو البطيء ، وضعف الأعصاب ، ولين العظام ، وعدم نمو الأسنان ، وفى هذه الحالة يجب عمل الوسائل الطبيعية التى يشير بها الطبيب بتقوية البنية ـ اما فقر الدم فأعراضه الاولى معروفة عند العامة وما يخفى على العامة لا يخفى على الاطباء . وفى هذه الحالة يجب معالجة الطفل معالجة طبيه تزيد كرات دمه الحمراء فيشعر حالا بنشاط وحياة جديدة تدفعه الى العمل والاجتهاد

فان كان الكسل فى غـير سن المراهقة او فى حالة النمو السريع المبكر وليس راجعا الى احدى الحالتين الصحيتين السابق ايضاحهما فمرجعه الى مرض يكون الخمول والكسل أول أعراضه وفى هذه الحالة يجب المبادرة باستدعاء

الطبيب لمعرفة الداء ومعالجته ومتى شفي من مرضه رجع الى نشاطه وجده

« الكذب . أسبابه وسبل اصلاحه »

تعريف الكذب

كل قول يخالف الحقيقة الواقعة التي يعتقدها القائل وكل رواية تختلف عما سمعها أو شاهدها وكل تعبير يغاير احساسه وشعوره فهو كذب

هذا هو الكذب بمعناه التام لفظا ومعنى

على أنه قد توجد بعض الحالات التى لو طبقناها على هذا التعريف بحروفه لكانت كذبا وهى ليست فى الحقيقة والواقع كذلك

الكذب الخيالى

مثل هذه الحالات يقع تحت ما يسميه علماء البسيكولوجيا (علم النفس) والتربية الكذب الخيالى لانه ينشأ عن قوة الخيال ويكثر عند من تقوى فيهم ملكة الخيال حتى يصبح ما يتخيلونه يقينا

هؤلاء هم الطبقة التى ينشأ منها الشعراء وكتاب الروايات والنقاشون والمصورون . فهذه الحالات ليست اذاً بعيب أدبى ناشئ عن نقص فى الاخلاق بل هى نتيجة حالة عقلية وجهتها الخيال لا الحقيقة . فمن الضرر البين والجهل الفاضح فى مثل هذه الاحوال أن يعاقب الوالدان من يرون فيه هذا الميل الخيالى من أولادهم لان هذا قد يؤدى الى قتل تلك الملكة الخيالية وهى فى مهدها مع انهم لو وجهوا عنايتهم واستعملوا حكمتهم فى تهذيبها وتدريبها وارشاد الطفل في استعمالها لجانب الخير والفضيله لأصبح الطفل وهو رجل من كبار الكتاب والشعراء الذين اذا تحرك يراعهم على

قرطاس حرك العواطف وشدد العزائم وبدد ظلمات الجهل وهدم معاقل المظالم وقضى على عتيق العادات وفاسدها ونشر مبادىء الفضيلة

تهذب هـذه الملكة وتدرب بانماء ملكة الدقة لدى الطفل وتنبيهه الى حقائق الامور. واعظم هذه الوسائل واكفلها للوصول الى النجاح المطلوب هو الاعمال كالأشغال اليدوية والمنزلية للبنات وكالتجارة والزراعة والصناعة للأولاد . وقد ثبت بالاختبار فى الامم التى ادخلت هذه الاعمال ضمن مواد التعليم فوائدها ومقامها السامي فى سبيل التربية العقلية وما نجم عنها من المزايا المحسوسة حتى انتشر تعليم الصنائع فى المدارس الابتدائيه فى امريكا وانجلترا والمانيا واصبح من المفروض على كل تلميذ فى هذه الامم تعلم حرفة من الحرف العملية يختارها لنفسه

نكتفى فى هـذا المقام بالاشارة الى ما ينشأ عليه الطفل بممارسة هذه الاعمال من الدقة ومعرفة حقائق الامور فتنصرف ملكته الخياليه الى غرض عملى يجعل لخياله حدا ينتهى الى دائرة الوجود اليقينى فيشتغل بالمنظور وفى ذلك من الفائدة له وللانسانيه مالا يخفى . فكل تعبير مخالف للحقيقة فيما عدا مايسميه العلماء بالكذب الخيالي هو نقص اخلاقى ذميم وجريمة ادبية تحط بالنفس الى منتهى دركات الرذيلة لأنها تسهل له ارتكاب كثير من النقائص الاخلاقية ارتكانا على التخلص منها بالكذب وفى ذلك من النقص الذى لايرضاه لنفسه الا كل من عدمت نفسه تقدير النفس وكرامتها وما يجب أن تتحلى به من الشرف الذاتي الخالى من الأوهام والظهور الكاذب

فالكذب نوعان . كذب تجنى لانه ناشىء عن الرغبة فى اجتناب ضرر

وكذب سياسي لان سببه الرغبة فى نيل غرض يرى الكاذب سهولة الوصول اليه بادعاء أمر كاذب

« الكذب التجنبى »

أما الكذب التجنبي فيلتجىء اليه الطفل عادة كلما ارتكب امرا يعلم ان والديه يعاقبانه عليه فينكر وقوع الامر منه أو ينسبه الى غيره اجتنابا لوقوعه تحت طائلة العقاب وهذا العيب لايظهر الا اذا كانت العلاقة بين الطفل ووالديه أو معلمه غير ودية متينه ، لان تبادل الود يربى الثقة لدى الطفل وهذه تشجعه على الاعتراف بالواقع ، فكلما زاد الجفاء واشتد قلب الوالدين أو المعلم غلاظة ، ابتعدت مسافة الخلف بينهم وبين الطفل فيشتد تحفظه لأخفاء ما يأتيه من الأعمال عن عيون والديه هرباً من عقاب يقع عليه أو غضب يحل به ، فعلى الوالدين معالجة ذلك بأفهام الطفل أن الطريقة المثلى والواسطة الوحيدة لنجاته من العقاب هو الاعتراف بخطأه ، وتشديد النكير عليه كلما انكر عملاً أتاه ، واعفاؤه من العقاب كلما اعترف به ، واتخاذ سبيل الرفق به واهداؤه الى سواء السبيل باللين والارشاد كما ابنا ذلك عند كلامنا على القواعد العامه فى التربية الأخلاقية

فبهذه الوسيلة يأمن الطفل جانب والديه وتتولد عنده روح الثقة فيهما وتنمو فى فؤاده عاطفة المحبة والاطمئنان اليهما ، ويقبل بقلبه ولسانه قاصاً عليهما ما يعمله ، مسترشداً منهما عما يجب عليه عمله وما يجب تركه والاقلاع عنه

على ان ذلك النوع من الكذب قد ينشأ عند الأطفال ويوجد لدى الكبار رغبة فى الظهور بمظهر أعلا مما يستحقونه من أخلاق أو علم أو

ثروة أو نفوذ أو لنوال استحسان الوالدين والرؤساء واعجابهم . وفى هذه الحالة يجب على الوالدين استئصال شأفة هذه الرذيلة من نفوس أطفالهم وهى فى مهدها بتقوية روح الصراحة فى نفس الطفل وذلك بمدحه واطرائه كلما وقف عند حده أو اعترف بما وقع منه وبالاغضاء عنه واهماله بل واحتقاره وامتهانه كلما لجأ الى الادعاء بما ليس فيه والظهور بأكبر مما هو عليه

(الكذب السياسى)

هو أحط أنواع الأخلاق وأسوأ الرذائل ينزل بصاحبه الى أسفل دركات الرذيلة ويهبط بالأمة التى ينتشر بين بنيها الى احط درجات المدنية والضعف ، وهو أشد أنواع الكذب جرماً لأنه يدل على تأصل روح الشر والفساد فى نفس مرتكبه واستعمال الوسائل الساقطة للوصول الى غرضه . يجب على الوالدين بذل العناية فى تطهير نفوس اطفالهم منه لأنه ينمو مع الكبر فاذا أهمل الوالدان قطع شأفته من نفوس أولادهم من أول لحظة تظهر فيهم بوادره سرى فيهم بسرعة غريبة وتمكن من نفوسهم الى درجة يستحيل نزعه ، فيصبح غريزة تظهر فى أقوالهم وحركاتهم وأعمالهم ، حتى يخال الانسان ان ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء من أحب الأشياء اليهم وأرغب الأمور لنفوسهم ، لا يردهم عن ارتكابها ما يقابلون به من الامتهان ولا يرعوون عن غيهم مهما افتضح أمرهم وحل بهم من الخزى والخجل

مثل هؤلاء كمثل من اعتادوا الأجرام وما الاختلاف الا في شكل الجريمة ، فهذا اعتاد السرقة ، وذاك اعتاد الكذب لغرض الوصول الى ارتكاب

جريمة جنائية أو مدنية ، كالنصب ، والاحتيال ، والغش ، والتدليس ، حتى يصل به الأمر الى ارتكاب الكذب لمجرد الكذب فهو والحالة هذه تعيس يؤسف عليه ويرثى لحاله ويجب على من حوله التكاتف لأصلاح حاله ومحاربة هذه الرذيلة من نفسه كما يعامل الوالدان ولدهما لاصلاح حاله

يرجع الكذب السياسى فى الغالب الى رغبة الطفل فى الحصول على مراد يرى سهولة الحصول عليه بالكذب . وفى هذه الحالة يجب على الوالدين معرفة مراد الطفل ورغبته والاجتهاد فى انالته اياه بطريق مشروعه ، وحرمانه منه عند ارتكابه التلفيق والكذب ، ثم يوضحان له الطرق المشروعة والوسائل الشريفة التي تساعده على الوصول لأغراضه مع بيانهم له ان هذه الطرق ولو طالت ، نتائجها مؤكده وثمارها لذيذة وسيرها خال من الأخطار التى يقع فيها الكاذبون الذين يستسهلون الوصول الى أغراضهم بالكذب والتلفيق والتحايل وقد يرجع الكذب السياسى الى الاعوجاج الفطرى أو الميل الوراثى ، فأذا كان احد الوالدين على هذا الخال من الوصف الذي ابناه فيما سبق ولد الطفل مفطورا على هذه الرذيلة الذميمة ، فتراه مفطورا على الاعوجاج والكذب يسعى على الدوام للوصول الي اغراضه بطرق معوجه ، وسبل غير شريفة .

يجنح الطفل الي ذلك بميل فطرى ولوكان الوصول الى غرضه بالطريق المشروع سهلا بسيطا ، وفى هذه الحالة يجب على الوالدة التي لها الفضل العظيم فى سبيل تقويم النقائص الوراثيه لما سنفصله في باب الوراثة والتربية ، أن تدرس اخلاق والد الطفل واقاربه وتبذل الوسائل الفعالة فى استئصال هذه الجرثومة من نفس ولدها فى زمن الحمل والرضاعة والطفولة

على ان الطفل قد يصل الى درجة لاتفلح معها الوسائل التي أسلفناها

وفى هذه الحالة يجب على جميع افراد العائلة وذوى القربى أن يتكاتفوا على اصلاح حال الطفل باتفاقهم على عدم تصديقه واظهار عدم ثقتهم فى كل مايقول، فمتى رأى اقواله تقابل بعدم الاكتراث والتصديق، وأن تلفيقه وسيلة لانفع لها ولا تعود عليه الا بالخزى والخذلان، ارتدع عما هو فيه واضطر للرجوع الى الصدق. هكذا يجب ان يعامل الكاذبون من الكبار فان المجتمع الأنسانى لو عامل الكاذبين الملفقين المضللين معاملة الحذر وعدم التصديق والأهمال واظهر لهم عدم الثقة فى اقوالهم ورواياتهم واسقط مركزهم من المجتمع ارتدعوا عن غيهم ورجعوا الى صوابهم وساروا في سبيل الصدق والاستقامة

ولكن البلاء الاعظم أن يتفشي الكذب فى مجتمع الى درجة تخدر احساسه وتجعله غير حساس بضرر الأكاذيب والتضليل فيرفع الكذوب المحتال فى مثل هذا الوسط الفاسد المنحط، ويتدرج مدارج عالية بتصنعه وتملقه وتضليله، فيقضى على الفضيلة ولا غرابة فى ذلك فالنور والظلام لا يجتمعان والضلال والهدى لايتلاقيان

« حب الذات »

« أسبابه وسبل اصلاحه »

هو عيب ذوى الارادة القوية، فالطفل الذى لا يثنيه أمر فى الوجود ويصر على الوصول لغرضه مهما كلفه ذلك من العناء والكفاح يؤدى به الحال الى البطش بغيره للحصول على مراده، فيصبح ذلك المراد عزيزاً لديه لا لقيمته لذاته، ولكن لانه تمكن من الحصول عليه ونال بذلك بغيته

وتغلب على خصمه

مثل هذا الطفل لا يميل عادة الى الاشتراك والتعاون للحصول على الخيرات واقتسامها مع الغير بل يكون غرامه الوحيد التغلب على كل الصعوبات للوصول اليها

ومما لا يحتاج الى بيان ان هذه الرذيلة تنمو مع الزمان وتقوى فى نفس الطفل بكرّ الايام، فالطفل الذي يناضل عن لعبته أو الفاكهة التى بيده ويقاتل كل من يمسها أو يريد أخذها منه، قد يصبح متى ترك وشأنه بدون ملافاة هذا العيب الذي يتسرب اليه ويتسلط عليه بمرور الزمان رجلاً قاسياً غاصباً محباً لذاته لا يحول دون وصوله الى غرضه ما يلاقيه من الصعاب والشدائد

على ان هذه الرذيلة قد تتسرب الى نفس الطفل بدون أن تبدو آثارها في مبدأ أمرها بشكل محسوس، فقد يكون الطفل هادئاً ساكناً لطيفاً وفى أغلب الاحوال مطيعاً وغير مندفع فى تيار المخاصمات والمناضلات وفى مثل هذه الاحوال يكون اصلاح حال الطفل أشد مراساً على الوالدين لأن الرذيلة تنمو بين جنبيه وتتأصل فى نفسه وهى خفية عن الانظار لذلك يجب عليهم اليقظة وشدة الانتباه الى حركات وسكنات أولادهم لمعرفة غرائز الطفل وأمياله وأخلاقه لاصلاح كل عيب وهو رطب يانع يسهل تقويمه واصلاحه

على ان لحب الذات سبباً آخر وهو وحدة الطفل، فالطفل الوحيد لوالديه ينشأ فى وسط تنصرف فيه بطبيعة الحال كل عناية والديه وأفراد عائلته اليه دون غيره، فيعتاد اعتبار نفسه الكل فى الكل ويظن أنه متى كبر ينظر اليه الوسط الأكبر نظرة والديه وأفراد عائلته وخدمه وينتظر

مدارس روضة الاطفال وفوائدها الاخلاقية

من أفراد ذلك الوسط تقديمه وتفضيله على من سواه من الزملاء والأخوان

أما وقد عرفنا أسباب حب الذات فيسهل علينا بعد ذلك وصف الدواء الشافى، أو على الأقل المخفف له، ومن أهمها مدارس روضة الأطفال (١) لأن هذه المدارس والمعاهد بما هى عليه من المبادىء السامية وأهمها المحبة والعدالة، تقضى قضاء مبرماً على جرثومة حب الذات فى نفس الطفل لما بين حب الذات وهاتين الفضيلتين من التباين التام والتناقض العظيم

فأذا ما بدا من الطفل فى هذا المعهد العلمي الجليل والوسط الأدبى الراقى أى أمر يشعر بأثرة فى نفسه، رأى من زملائه وأقرانه اعتراضاً شديداً وحكماً قاسياً يرغمه على العدول عن خطته فيعود الى أقرانه نادماً مستغفراً فيضمونه الى جماعتهم بما فطروا عليه من سرعة التسامح والصفح غاضين الطرف عما ارتكبه

لهذا يجب على العقلاء من الوالدين وكل من يهمه مستقبل أخلاق هذه الأمة أن يبذلوا النفس والنفيس لأنشاء هذه المعاهد الجليلة بالبلاد المصرية وترويج هذه الفكرة بين أهل بلادنا بواسطة الكتابة والخطابة والعمل على إيجاد بعض المدارس من هذا النوع مستوفاة لكل النظامات والوسائط المؤدية لنجاحها لتقضي زمن التجربة بنجاح باهر يشجع على سرعة انتشارها فتجني البلاد منها الفائدة المطلوبه

وهناك طريقة أخري تعين الوالدين على استئصال هذه النقيصة من نفوس أطفالهم وهى انماء روح محبة الغير وتقويتها فى نفس الطفل لأن

---

(١) هي مدارس للأطفال من سن الثالثة الى السادسة وهي منتشرة انتشاراً كبيراً في أوربا وأمريكا واليابان لما لها من الفضل الأكبر فى وضع أساس متين للتربية

حب الذات ومحبة الغير لا تتفقان ، فمتى قويت محبة الغير في نفس انسان ضعفت محبة الذات ، ومتي آنس الوالدان فى الطفل ميلا الى بعض الحيوانات أو الطيور فلينتهزوا هذه الفرصة السانحة لتقوية روح محبة الغير في نفسه وذلك بترك العناية بذلك الحيوان أو الطير اليه وارشاده الى ما يجب عليه نحو هذا المخلوق الذي ترك له أمر العناية به فتقوى فى الطفل بهذه الوسيلة روح المحبة الى الغير وبذلك تضعف في نفسه محبة الذات

أما كبار السن فأكفل طريقة لأضعاف محبة الذات من نفوسهم هى كثرة اختلاطهم بالغير فى المجتمعات والأندية الراقية ، لأن زملاء الصبى أو الشاب لا يحتملونه متى لاحظوا عليه الانانية وحب الذات بل يظهرون له نفورهم منه وسخطهم عليه

ومتى رأى الجميع غير راضين عنه لغلوه فى حب ذاته أقلع عما هو فيه وضعفت بذلك من نفسه محبة الذات

« الغيرة . وسبل اصلاحها »

تميل الطفولة بطبيعتها الى الغيرة ، ولكن الوالدين بدلا من المبادرة باستئصالها وقطع دابرها من نفس الطفل يعملان على ما ينميها ويقويها وهما لا يدريان أن هذا النقص الأخلاقى ينمو مع الكبر حتى يصبح نقمة شديدة على الأنسان في كبره

يظهر الوالدان سرورهما وابتهاجهما عند ما يريان من الطفل غيرة على كل من اقترب من والدته لأنه يميل بفطرته أن يكون له المركز الاول لديها ويضحكون منه عندما يرون اعتداءه على من يقرب من والدته دون

أن يتدبروا عملهم فهم بهذا السرور والضحك يسيئون الى الطفل ويقوون فيه روح الغيرة التى اذا ماتأصلت فى نفسه استحال نزعها ونغصت حياته وأودت بجمال أخلاقه ومليح طباعه

فالواسطة المثلى لتطهير نفس الطفل من هذا العيب هى تطهير الوسط العائلى من المحاباة وميل الوالدين لأحد الأطفال أكثر من الآخرين لأن ذلك يوجد روح الغيرة لدى الأطفال ان كانت معدومة، والاستقراء وتاريخ العائلات يؤيد هذا القول، فلولا الميل الخصوصى والمحاباة الظاهرة التى كان يظهرها يعقوب الى ولده يوسف دون بقية اخوته لما انتهز هؤلاء الأخوة فرصة انفرادهم بذلك الأخ الوديع وباعوه الى النخاسين كما يباع العبد الرقيق يومئذ فأتى به هؤلاء الى ديارنا المصرية يتاجرون فيه كالأنعام حتى باعوه أخيراً الى عزيز مصر بثمن بخس دراهم معدودة

لذلك يجب على الوالدين العاقلين أن يجعلا العدالة المطلقة والمساواة التامة بين جميع أولادهما أساس الحياة العائلية فمتى ساد هذا المبدأ فى العائلة امتنع أقوى الاسباب التي تولد روح الغيرة بين الاخوة فتنمو معها الكراهة والشقاق العائلى الذى يقضى على العائلات الأثيلة فى المجد ويقوض أساس البيوتات العامرة

وقد تنشأ الغيرة أيضاً من عدم التوازن فى ملكات الطفل فتكثر عند من تقوى فيهم قوة الاحساس على قوة الفكر وفى هذه الحالة يجب على الوالدين الاجتهاد فى تقوية ملكة الطفل العقلية وتدريبه حتي يحوّل انفعاله النفسانى وتأثر احساسه الى الاشتغال بالأعمال النافعة ومتي انصرف همّ الانسان وفكره الي العمل واشتغل بامور نفسه انصرف عن الاشتغال

باحوال الناس وضعفت فى نفسه روح الغيرة

« الوقاحة . اسبابها وسبل اصلاحها »

ترجع وقاحة الاطفال فى الغالب الى سببين عامين :-

الأول: قصر النظر وعدم التبصر

الثانى : سوء القدوة

أما قصرُ النظر فلا غرابة اذا كان عاماً لدى الأطفال فما الطفل فى نظر الكبير منا الا كمتوحشى أواسط افريقيا بالنسبة الى المتمدنين فهو لا يراعى فى أقواله وأفعاله رقة القول وحسن التعبير ، وهو ايضاً بالنسبة لصغر سنه عديم التبصر فلا يبالي بعواطف الغير سواء تأثر من خشين أقواله ورعونته أو لم يتأثر

فالسبيل لتلافي هذا النقص الطبيعي الناشىء عن سن الطفل وعدم اختباره هو اولا غرس روح الشفقة وحسن القصد فى فؤاده بما يستطيع الوالدان الى ذلك سبيلا ومتى نجحا فى ذلك قطعا شوطاً بعيداً في سبيل هذا الاصلاح المطلوب لأن الطفل متى وجد فى فؤاده ذرة حنو وحسن قصد نحو الغير كان ذلك من أقوى الموانع الحائلة دون وقاحته مع الغير لأن الاطفال لا يوارون ولا يخفون ما يضمرون بل يصرحون بما تكنه ضمائرهم ويجول فى خواطرهم ، ويشعر به فؤادهم ، فمتى غرست فى نفوسهم محبة الغير وحسن القصد فيهم والميل للآخرين ، امتنع بذلك سبب من أقوى الاسباب لوقاحتهم مع الغير

لذلك نرى الاطفال عادة اقل وقاحة نحو اصدقائهم واحبابهم منهم نحو الاجانب

ثانيا : تدريب احساس الطفل على رقة الشعور ومراعاته لأحساس الغير فقد صدق من قال يوجد حسن الخلق أنى كانت رقة الشعور

وفى الواقع ان رقة الشعور تقوى لدى الانسان روح التبصر وتجعله على الدوام يحتاط فلا ينطق بلفظ أو يأتى عملا يجرح عاطفة الغير ويخدش احساسهم ولذلك ترى الانسان كلما زاد احساسه رقة وشعوره دقة ، حسن خلقا ، وازداد ادبا ، فتتسع بذلك دائرة احساسه ورقة عواطفه وكياسته

أما سوء القدوة

فمن اعظم الاسباب للوقاحة التي ينشأ عليها الاطفال وهذا السبب شائع شيوعا كبيراً وخصوصاً فى العائلات المصرية ويرجع هذا السبب فى الغالب الى جهل الوالدين بأمر التربية ولا نخطىء أو نلام اذا قلنا الى سوء تربيتهم ايضا

ترى الوالدين يلقنان طفلهما عند أول خطواته في النطق ألفاظ السباب ويضحكان ويقهقهان كلما نطق الطفل بأحد هذه الألفاظ

يفرح ويبتهج الوالدان لان الطفل تمكن من النطق غير ناظرين الى ما نطق به قبحت الفاظه أو حسنت ، ولا مفكرين في تأثير تلك الالفاظ على خلق الطفل ومستقبله

نعم ان الطفل فى أول أمره لا يفهم لهذه الالفاظ معنى ولا يقصد مدلولاتها ، ولكن يجب ان يعلم هذا الوالد الجاهل ان الطفل سيفهم معناها يوماً ما يكون لسانه اعتاد النطق بها فلا يستطيع الاقلاع عنها

ليت شعرى لماذا يجهد الوالدان انفسهما فى تلقين اطفالهما وهم فى هذا الدور الفاظ الوقاحة والشتم ؟

ولما ذا يخدشان سمعه ويدنسان فكره النقى ، ويلوثان لسانه الطاهر بالنطق بأقوال الوقاحه ؟

هل يرى الوالدان ألفاظ السباب أسهل على الطفل نطقا ، وأخف على نفسه روحا ؟

اللّهم ألهم الوالدين فى هذه البلاد رشاداً ليروا أنهم بذلك يوردون أطفالهم موارد الفساد ، وليعلموا ان ألفاظ اللطف والفضيلة سهلة النطق بديعة المعنى خفيفة الروح على الصغار والكبار على السواء

على ان سوء القدوة لا يقتصر على هذا الوجه الأسود بل قد يأخذ شكلا آخر عند كثير ممن يُظَنون أنهم رائعو الادب والظرف ورقة الاحساس مع الاجانب ، ولكنهم ينسون كل هذا فى معاملاتهم مع أطفالهم ، فيسمحون لانفسهم بالتكلم مع أطفالهم بلسان ناشف ووجه قاس ، بينما لا يسألون كبيرا أو أجنبيا قضاء أمر لهم الا ويشفعون ذلك بألفاظ الرجاء ومتى قضى الأمر شفعوا ذلك بألفاظ الشكر والامتنان ، وقد يصل الأمر عند بعض الوالدين اذا أمر الطفل بأداء أمر من الامور أن يوجها اليه الأمر بطريقة تهيج فى عواطف الطفل روح التمرد والعصيان

فمنشأ هذه الاحوال هو جهل الوالدين بفن التربية الذى يجب أن يكون اهتمامهما به عظيما ، ومعرفة أصوله وفروعه كبيرا ، وخصوصا الوالدة فانه أجمل شعار لها وأقدس واجب عليها ، اذ لو تذكر الوالدان ما عليه الطفل من السذاجة وخلو البال ، واستعداد عقله لقبول أول المؤثرات عليه ، لاجهدا أنفسهما فى غرس الفضائل والطفل فى أول عهده بالعالم والحياة ، ولعولا أن يعرضا على نفسه الخالية من الادب أرقاه ، ومن الأخلاق أشرفها ،

ومن الألفاظ أرقها ، ومن التحية أجملها ، موقنين بما سيجنيانه من الزهر اليانع

ينشأ الطفل مع ما هو مطبوع عليه من سرعة التقلب ، وخلو نفسه من كل أثر ، واستعدادها لقبول أول المؤثرات ، على هذه الاخلاق الكريمة والأدب الرائع حتى تصبح الفضيلة غريزة ثابتة فيه لاتهيج ثائرة غضبه ولا تخرجه عن جادة الحلم الا الحوادث التى تنوء بها الانسانية التى وصلت لدرجة الكمال الممكن فى هذا العالم الناقص

نعم قد يضايق الطفل والدته أو والده ويشاغلهما فى أوقات اشتغالهما بأمر مهم فينسي الوالدان كل هذه الاعتبارات الاخلاقية ويضيق صدر أحدهما فيتخلص من الطفل بزجره ورده بخشونة ووقاحة ، ولكن هذه الحالة لا تبرر عمل الوالدين لان ذلك فضلا عن كونه مغايرا للواجب الادبى نحو أنفسهما ، فانه أيضا مغاير لواجبهما نحو الطفل — هذا الواجب الذى يحتم عليهما مراعاة الكمال والادب والظهور أمامه بأرقى الأخلاق ، ينسج على منوالهما فهو مقتد بهما ومتأثر بأخلاقهما أرادا ذلك أم لم يريداه ، ورغب هو ذلك أو رغب عنه

وعلى كل حال فان انحرف الوالد عن جادة الكمال ، وفرطت منه كلمة خشنة الى الطفل ، فليعالج ذلك بطلب الصفح من الطفل عما بدر منه ، وعدم المؤاخذة عما ألجأه الطفل اليه بعمله الشاذ ، فطلب الصفح من الطفل ، له تأثير عظيم على آدابه اذ يتعلم درسا يبقى راسخا في ذهنه مدى الحياة ، وهو ان ما ارتكبه أحد والديه خطأ ، لايجوز اتيانه ، وانه يجب على المخطئ الندم على ما اقترفه وطلب الصفح ممن أساء اليه ، وبذلك يصبح الوالدان مثالا للطفل في مكارم الاخلاق ورفعة الآداب وعنوانا للفضيلة والحلم

فاذا ظن بعض الوالدين ان ذلك يحط من قدرهما فى عيون أطفالهما وانه تواضع زائد منهما للطفل ـ وقد يظن كثير من جهلاء الوالدين أن الواجب عليهما الظهور أمامه بمظهر المستبد القادر ـ فان الطفل ينتقم لنفسه من هذه الخشونة بارتكاب الشطط والوقاحة ، فما الشطط والوقاحة الا نتيجة طبيعية لاعتدائهما على شخصيته التي يجب المحافظة عليها واحترامها من جانب والديه ، وكل من أحاط به ، ليتعلم ان لغيره شخصية يجب احترامها وعواطف لا ينبغي مسها بأذى بأي طريقة من طرق الوقاحة القولية أو الفعلية

نظرة عامة

نقف عند هذا الحد فى بيان الوسائل النافعة لاصلاح بعض العيوب الشائعة لدى الاطفال مستلفتين الانظار الى أمرين جديرين بالملاحظة

الاول : اننا اقتصرنا على ذكر البعض من أهم العيوب الشائعة لانه لا يمكن حصر كل العيوب وبيان كل الوسائل فذكرنا ما ذكرنا على سبيل المثال والتذكير وتطبيقا للقواعد العامة التي ذكرناها سابقا

الثانى : ان هذه الوسائل التى أتينا على ذكرها ليست هى الوحيدة لأصلاح العيوب المذكورة ، بل قد توجد وسائل أدبية وعقلية تؤدي الى الغرض المقصود . ولا تكون الوسائل المتبعة نافعة للأصلاح المطلوب ومهذبة لنفس الطفل الا اذا اشتملت على الامرين التاليين

اولهما : انها عقاب طبيعي ، أى من جنس العمل ، حتى يدرك الطفل ضرر الرذيلة التي ارتكبها ونفع الفضيلة التي تناقضها

ثانيهما : انها تحمل الطفل على اجتناب الرذيلة لا خوفاً من العقاب بل كرهاً في الرذيلة ومقتاً لها ، وحباً فى الفضيلة ، لانه يعتقد اعتقاداً راسخاً ان فيها السعادة والطمأنينة والسرور

اضرار التأديب بالعصا

ومما يلاحظ فى كل الوسائل التي ذكرناها اننا لم نشر اشارة واضحة أو خفية الى استعمال العصا ، لان علماء التربية والاخلاق مجمعون على ان هذه الوسيلة لا تؤدي غالباً الى التربية الاخلاقية الراقية وقد يعترض قوم مستندين لقول سليمان الحكيم متخذين قوله دليلا على صواب العقاب البدنى ، دون ان يدري المعترض ان حكمة سليمان التي يستند عليهالا تفيد ما يذهب اليه من العقاب ، وان النظر اليها بهذا المعنى هو أخذ بتلابيب الالفاظ بدون امعان الفكر في معانيها وما انطوت عليه من الاستعارات اللفظية ، خصوصاً مع ما هى عليه حكم سليمان من المجازات والاستعارات ، فالقضيب الذى يشير اليه سليمان الحكيم الا ذلك العقاب النافع الذى يقع على الرذيلة المراد اصلاحها فيقضي عليها ويستأصلها من نفس الطفل

ويكفى على كل حال لبيان صواب رأي القائلين بعدم استعمال العصا وهم جمهور علماء التربية ان التأديب بالعصا يؤدى الى الاضرار الآتى بيانها

اولا : انه يولد تشويشاً أدبياً فى ذهن الطفل ينتهي به الى فقدان تقدير الاعمال ، فالطفل الذى يعاقب بالضرب اذا كذب ، وبالضرب اذا خالف أمر والديه ، وبالضرب اذا شتم ، وبالضرب اذا تأخر عن المدرسة ، وبالضرب اذا سرق ، ينتهي به الحال الى اعتبار كل هذه النقائص سواء ، لانه يرى ان جميعها تؤدى الى نتيجة واحدة ويعاقب عليها جميعا عقابا واحدا هو الضرب

بذلك يحدث للطفل ارتباك أدبى ويفقد ملكة تقدير الاعمال ، ومعرفة جوهر النقائص الأخلاقية ، وهذه فى حد ذاتها من أرذل النقائص ، لانه متي فقد الانسان ملكة تقدير الاعمال عجز عن اتباع سواء السبيل فى الحياة

فالعقاب بالعصا ينقصه أهم ركن للعقاب المنتج المؤدى للاصلاح وهو تنبيه الطفل المعاقب الى أن ما يعاقب عليه خطأ ، وهو بذلك يخالف العقاب الطبيعي تمام المخالفة لان العقاب الطبيعي ينبه الطفل الى أن الألم الذي يلحقه هو نتيجة محتمة لعمله لا يمكنه الفرار منها أنى ذهب ، وأما العقاب بالعصا فلا يفهم منه الطفل إلا أنه ألم يوقعه الوالدان عليه لمخالفته لأوامرهما فلا يجهد نفسه للاقلاع عن عمله بل لاخفاء عمله عن أعينهما

ثانياً — ان الضرب والعقاب بالعصا يربى في الطفل عاطفة الخوف من العقاب بدلا من تنفيره من الرذيلة وغرس روح محبة الحق والفضيلة فى نفسه ، ومن نتائج هذه العاطفة الممقوتة الجبن والخداع والحماقه ، وبذلك يقصد الوالدان الجاهلان نهى طفلهما المسكين عن أمر ربما لا يكون نقيصه أخلاقيه الا فى نظرهما المظلم فيولدان فى نفسه ثلاثة من أرذل النقائص وأدناها

وجوب عدم الافراط في عدم استعمال العصا

على انه مع صحة القاعدة السابق ذكرها وغيرها من الأدلة رأى كثيرون من علماء التربية والمشتغلين بها أنه ليس من الحكمة العمل بهذا المبدأ على اطلاقه بدون مراعاة أحوال الاطفال ودرس مواطن كل منهم ، فقد توجد حالات تخيب فيها كل الوسائل الفعالة لاصلاح حال الطفل من طبيعيه وغيرها ولا يبقى مناص من استعمال الشدة البدنية والالتجاء الى العصا ، ولذلك أجمع المتأخرون من علماء التربية وكبار المشتغلين بالتربية والتعليم ، على وجوب استعمال العصا في حالة عصيان الطفل واصراره على العناد وعدم الانقياد الى نصائح الوالدين والمعلمين بعد اسداء النصح واستعمال

كل طرق الترغيب والارشاد ، وفراغ جعبة اتخاذ الوسائل الطبيعية ، اذ يكون من الخطأ البين والحالة هذه ، الوقوف موقف العاجز امام طفل هذه حالته والاضرار به بحجة العمل بمذهب العقاب الطبيعى والامتناع عن الضرب بالعصا لان المربى يكون فى مثل هذه الحالة قائما بتطبيق المذاهب العلمية تطبيقاً أعمى ولذلك قال أحدهم

يجب معالجة المخالفات (Bagley's SChool Management-London P. 123)
الادبيـة الجسيمة كاهمال الطفل النصائح وعدم الاذعان اليها بتعهد مستمر بواسطة التأديب البدنى ، اذ من الضرورى وضع حد لمثل هذه الميول الشريرة وتحويل الطفل عن هذه الاميال المضرة الى جهة الخير ، وتنبيه ذهنه بطريقة شديدة فعالة كاستعمال العصا ، حتى يفيق الطفل من سباته واهماله الادبى ، الذي هو من أعظم العقبات في سبيل الاصلاح

وقال ثقة آخر من علماء التربية « خول المربى حق التأديب البـدنى ولـكن اوصه باجتناب استعمال هذا الحق بقدر الامكان »

لذلك اتفق العلماء على استعمال التأديب البدنى بالقيود الآتية :

اولا ـ لا يلجأ الى استعمال التأديب البدنى الا بعـد نفاذ كل طرق الارشاد والنصيحة واصرار الطفل على العناد رغماً عن معالجته بكل وسائل العقوبات الطبيعية المعروفة

ثانياً ـ لا ينفذ التأديب البدني فى الطفل الا بعد موافقة ناظر المدرسة وبحضوره أو بحضور بعض الاساتذة الآخرين

ثالثاً ـ يجب اجتناب ايقاع التأديب البدنى على الاجزاء الضعيفة والحساسة فى الجسم كالرأس وحول السلسلة الفقرية وبقرب الآذان أو العين أو القلب

ومن الواجب التنبيه اليه هنا ، ان الوسائل السابق بيانها ليست مطلقة ، وان طرق اصلاح العيوب الاخلاقية السابق ذكرها لم تذكر على طريق الحصر فهى أقرب الى التمثيل من الحصر ، بل هى مجرد أمثله ليسترشد بها الوالدون والمربون فى تربية الاطفال والتلاميذ ، والمعول عليه فى الواقع هو مراقبة الطفل والوقوف على العـوامل الخفية المختلفه التى تعمـل فى نفس الطفل والسير بما تقتضيه هذه العوامل ، والا قضى على مسعاهم بالخيبة والفشل ، وهذه لان الانسان ليس آلة من الآلات الجامدة الخاضعه لقانون واحد من قوانين الطبيعه ، بل يختلف تركيبه البدنى والنفسى عن تركيب الآلات الصماء ، وهو كما لايخفى مركب من عناصر دقيقه ، وتختلف هذه العناصر قوةً وضعفا باختلاف لاشخاص تبعاً لاختلاف الوراثة ، والامزجه ، والغرائز ، والقوى الشخصيه الكامنه فى نفس كل فرد ، فمن الواجب والحالة هذه على الوالدين والمربين ملاحظة كل هذه الاعتبارات والسير فى تربية كل طفل بما تقتضيه احواله الخاصـة ولهـذا وجب علينا هنا اتماما للفائده الكلام على العوامل المختلفه التى يجب مراقبتها ومراعاتها فى فن التربيه الاخلاقيه

الفصل السادس

﴿ قانون الوراثة والتربية ﴾

مبدأ التربيه – أثر قانون الوراثة في تربية الانسان والحيوان والنبات – بعض المشاهدات المثبتة للتوارث البدنى -- بعض الحوادث الدالة على التوارث الاخلاقى والعقلى – الدليل العلمى على صحة قانون الوراثه – الفائدة العملية من معرفة هذا القانون امثلة تاريخية وراثية على ما كان للحامل من التاثير على مولودها – وجوب عنايتنا بهذا المبدأ – واجب العقلاء في مصر

مبدأ التربيه

: سئل احد علماء التربية متي تبدأ تربية الطفل؟ فاجاب: «عشرون سنة قبل ولادته». ولا غرابة ولا مبالغة فى ذلك لمن تدبر وأمعن الفكر فى القوانين الالهية والطبيعية الخاضع لها كل حى فى الوجود

اثر الوراثة في المخلوقات

فالانسان والحيوان والنبات خاضعون جميعا لقانون طبيعي عام هو قانون الوراثة ومن المستغرب ان الانسان أسرع للاستفادة والعمل بمبادىء هذا القانون فى زراعة النبات والاثمار وتربية الحيوانات الداجنة، ولكنه اهمل العمل بها في تربية نفسه وترقية جنسه الا من عهد قريب

استفاد المزارعون في اوروبا وامريكا بتطبيق هذا القانون والعمل به لتحسين مزروعاتهم وأثمارهم، وتسمين أبقارهم ومواشيهم، بطرق التطعيم والتلقيح وغيرها من الوسائل التى لا مجال لتفصيلها هنا، فحصلوا على فوائد جليلة ونتائج مدهشة تثلج لها الصدور، وترتاح لها الخواطر، وتقر بها النواظر، وقد بدأ علماء الاجتماع والطبيعيات والاطباء يتعمقون فى درسه واثباته

بالطرق العلميـة حتى كاد أن يكون علماً مستقلا بما كتب فيه العلماء الباحثون والفلاسفه المفكرون من المجلدات النافعة، والابحاث الشائقة المؤيدة بالادلة العلمية، والملاحظات التاريخية، والمشاهدات اليومية، وبدأ المصلحون بالاستعانة به على اصلاح الهيئة الاجتماعية والاساتذة بتطبيقه فى التربيـة والمدارس.

لا يقتصر تأثير الوراثة على حالات الانسان البدنية فقط، بل يتمشى هذا القانون على ملكاته العقلية والاخلاقية أيضاً، وقد أثبت العلماء تأثير هذا القانون وخضوع الجسم والعقل والخلق له، بأمثلة واقعية وأدلة علمية نأتى فيما يلى على أهمها

بعض المشاهدات المثبته للتوارث البدنى

التوارث البدنى معروف ومشهور بما يشـاهد فى الأولاد من الشبه الذى يكاد يكون تاماً فى كثير من الاحيان باحد والديهم أو أحد أسلافهم وما يتوارثونه عنهم أيضاً من الاستعداد لبعض الامراض والعاهات، وقد درجت فى كل أمة الامثال الشائعه الدالة على رسـوخ هذه العقيدة فى النفوس فمن الامثال العربية المعروفة « الولد سر أبيه » « والعرق دساس »

ومن هذا القبيل ما اعتاده بعض العائلات العريقة النسب من الانجليز من المحافظة على صور آبائهم وأسلافهم من أزمان طويلة، وتعليقها جميعها على جدران احدى الغرف، حتى اذا ما رزقوا بولد كان بعيد الشبه بوالديه، رجعوا الى صور الجدود والجدات فيرون فى أحدها مثالا واضحاً لصورة مولودهم.

ذكر أحد الاطباء الامريكان فى كتاب نشره عن تأثير الوراثه وما

لانفعالات الحامل النفسانية من الاثر على الجنين، أمثلة قاطعة تؤيد قانون الوراثه

روى عن امرأة خباز كانت تبيع بدل زوجها فى الثلاثة الاشهر الأولى من حملها، وكان يشتري منها كل صباح صبى باحدى يديه ابهامان فأثر منظر هذين الابهامين على ذهنها تأثيراً قوياً، فوضعت ولداً باحدى يديه ابهامان، ومن هذا القبيل ان امرأة وضعت ولدا له يد واحدة وكان السبب فى ذلك ما بقي في ذهنها من الاثر لقطع احدي يدي صهرها الذى كان يسكن معها

نقتصر هنا على هذين المثلين مكتفين بما يذكره كل واحد من القراء بملاحظاته الشخصية من تأثير الوحم لدى الحامل وظهور ذلك فى بدن الطفل عند الوضع وبقاء الاثر فى جسمه طول الحياه

بعض الحوادث الدالة على التوارث الاخلاقى والعقلي

للوراثه على قوى الانسان العقلى والاخلاقى من الاثر الفعال ما لها على جسمه وبدنه، لان القانون الطبيعي الذى تخضع له جميع قوى الانسان ومداركه المادية والعقلية والادبية هو واحد، فالنتيجة الطبيعية واحدة لا تتغير

والامثلة التاريخية والادلة العلمية على صحة ذلك كثيرة، نذكر منها على سبيل التمثيل ما يأتى:

« كان الحكيم هوبس [1] يعلل ما فيه من خلق الجبن بما لاقته أمه من »
« الاهوال أثناء حملها به حينما كانت العمارة الاسبانيه المسماه ارماد الشهيرة »
« تهدد انكلترا وتطوف حول سواحلها وكان ما يتحمله أهلها من صورة »
« اغارة الاعداء عليهم يلقى الرعب في قلوبهم » (من كتاب التربية

(١) هوتوماس هوبس الفيلسوف الانجليزى الشهير ولد في سنة ١٥٨٨ وتوفى سنة ١٦٧٩ وكان من أنصار الفلسفة المادية ومن أنصار مذهب الاستبداد فى السياسة ومن الداعين لحب الذات في الاخلاقيات

الاستقلالية ترجمة حضرة القاضى المفضال عبد العزيز بك محمد - صحيفة ٥٠)

ويروى عن والدة ناپوليون انها وهى حبلى به رافقت زوجها فى بعض الحروب وشهدت بعض الوقائع الحربية دون أن ترتاع أو ترتعد ، بل كان يلذ لها مراقبة الموقعة فلما رزقت ناپوليون ظهرت عليه فى صغره بوادر الميل الى الحرب والصدام، وكانت لذته فى الصغر التحدث بالغزو والحروب

ومن غريب ما يروى فى هذا الصدد ان امرأة عضها ناب الحاجة الى المال وهى حامل ، فسرقت أموال زوجها، فلما وضعت ظهرت على مولودها ميول السرقة من ذوى القربى دون غيرهم ، فسرق من والدته ساعتها وسلسلتها الذهبية ، وسرق من والده ملبوساً جديداً ودبوساً من الماس

وروى أحد العلماء ان والدة فلاكسمان Flaxman النقاش الشهير كانت مولعة بالفنون الجميلة وخصوصاً النقش والتصوير ، وكانت مدة الحمل به تكثر من مشاهدة الرسوم والنقوش التى أبداعها مشاهير رجال هذين الفنين فلما رزقت ولدها Flaxman ظهرت عليه وهو صبى ميول فطريه الى النقش والتصوير ، ولما بلغ أشده أبدع صنع تماثيل يعتبرها أهل الفن من أرق وأجل النقش

ومن هذا القبيل ما نطالعه من وقت لآخر في الجرائد الافرنجية عن بعض الصبيان والبنات البارعات فى الموسيقي بدرجة تدهش العالم عموماً ومشاهير الفن خصوصاً ، فيحار الناس فى تعليل هذه العبقرية وماتعليلها ببعيد على من تتبع آثار قانون الوراثة على ملكات الانسان وقواه العقلية

الدليل العلمي على صحة قانون الوراثه

لم يكتف علماء الغرب بالامثلة الكثيرة التى ذكرنا بعضها ، بل اجتهدوا فى اثبات قانون الوراثه بطرق علمية لا يتطرق اليها الشك فأثبت أحد

علماء الامريكان وهو الاستاذ المرجانس : Professeur Elmer Gates: مدير معمل شيفي تشاز بواشنطون، ان حالة الانسان العقلية تؤثر على كل أعصابه وقواه، حتى يظهر ذلك المؤثر على تنفسه ،وتوصل بذلك الى الوقوف على حالة الانسان العقلية بتحليل البخار الذى يبقى على الزجاج بعد تنفسه، فيستدل من نتيجة تحليل التنفس على الحالة العقلية التى كان عليها ذلك الانسان عند تنفسه ان غضبا أو انتقاماً أو غيرةً أو فرحاً أو حزناً وغيرها من الانفعالات النفسية

توصل الاستاذ الى معرفة هذا السر الدقيق بواسطة الملاحظة ، فقد لاحظ ما لاحظه غيره من الأطباء، ان للأمراض المختلفة روائح مختلفة وان الحالات العقلية خاضعة لهذه القاعدة عينها ، وذلك لاجماع أطباء المستشفيات والسجون ان غرف مستشفيات المجاذيب لها رائحة خاصة تختلف عن رائحة المستشفيات والمبانى الاخرى ، وان هذه الرائحة الناجمة من تنفس المجاذيب لا تزول مهما بذل من العناية والجهد فى تطهير غرف المعتوهين ، كما أجمعوا أن لجو السجون رائحة خاصة تختلف عن جو مستشفيات المجاذيب ناشئة عن تنفس المجرمين

على هذا الاساس بنى ذلك الاستاذ أبحاثه وتجاربه حتى وقف على مميزات كل حالة من حالات الانسان العقلية ، وتوصل بذلك الى معرفة الحالة العقلية لأي شخص بتحليل ما يتركه تنفسه من الآثار على مادة زجاجية

الفائدة العلمية من هذا القانون

لا أهمية لاكتشاف علمي فى هذا العصر الا اذا كان من ورائه فائدة عملية ، وقد ترتب على تقرير مبدأ الوراثه فوائد عملية جليلة ، وخصوصاً في فن

التربيه واصلاح الهيئه الاجتماعية فقد بدأ أساتذة الغرب وعلماء الاجتماع والسيدات فى الاستفادة بهذا المبدأ والعمل بقانونه كلٌ في دائرة عمله

فالمدرسون الاكفاء استفادوا من قانون الوراثة ملاحظة كل طفل يعهد اليهم أمر تربيته ومعرفة ميوله الوراثية والسير في تربيته على المنهاج الذى تقتضيه هذه الميول القوية فيه ، والتنبه الى موضع الضعف والنقص فيه والعمل على تقويمه واصلاحه

أما علماء الاجتماع والمصلحين فى البلاد الغربية ، فيتخذون ذلك وسيلة لمطالبة حكوماتهم بوضع قوانين حديثة تضمن صلاح الخلف فى الامه وسلامته من كل العاهات البدنية ، والامراض العقلية ، بقولهم حيث أن لقانون الوراثة هذا التأثير الفعال على النسل ، فالواجب على الحكومات أن تسن القوانين لمنع ذوى العاهات والامراض العقلية والبدنية المعدية من الزواج ، وانه يجب قبل التصريح بعقد الزواج أن يكشف طبياً على الخطيبين ، ومتى ثبت سلامتهما من كل مرض بدنى أو عقلى ، سمح للسلطة الدينية أو المدنية باتمام عقد الزواج بينهما ، وقد انتشر هذا المبدأ فى البلاد الغربية واشتد ساعد أنصاره حتى أقرهم عليه بعض الحكومات فأصدرت السلطة التشريعية قوانين بهذا المعنى

أما الزوجة الغربية الراقية فقامت بتنفيذ قانون الوراثة فى دائرتها بتقدير ما لها من النفوذ على جنينها ، وما يترتب على ذلك من المسؤولية الواقعة عليها والواجب المطلوب منها القيام به ، فعمدت الى تغذية نفس ذلك الجنين فى دور تكوينه بأصح وأشرف المغذيات البدنية والعقلية والاخلاقيه لترزق مولودا يبتهج به فؤادها ، وتقر به نواظرها ، وتسهل تربيته عليها . تعمل

للحصول على مولود كامل الجسم، صبوح الوجه، بواسطة امعان النظر فى الاشكال الجميلة والمناظر البديعة، والتماثيل الأنيقة، كما تعمل لتقوية استعداده العقلي بتهذيب عقلها وتدريب وظائف دماغها وتقوية مداركها العقلية، وكثير من السيدات ينصرفن الي الانصباب فى دور الحمل على علم من العلوم أو فن من الفنون اذا رغبن أن يكون لمولودهن استعداد خاص لذلك العلم أو الفن. كذلك تعمل تلك السيده الغربية الفاضلة على غرس المبادىء الاخلاقيه الراقيه فى نفس جنينها وهو فى طور التكوين بدرس أخلاق عائلتها وعائلة زوجها وأخلاق ذوى القربى من عائلتيهما، ثم تعمد بعد ذلك الى تقوية الحميد من هذه الخصال فى نفسها بالعمل بها والارتياح الى آدائها واستئصال الرذيلة منها بكراهته والنفور منه، وبذلك تتكون نفس الجنين وفى طبيعته ارتياح واقبال علي الخصال الحميدة، وكراهة ونفور من الرذيلة

امثله وراثية تاريخيه

وفى الواقع فاننا لو بحثنا لرأينا فى التواريخ والأمثال ما يؤيد مذاهب العلماء فى تطبيق قانون الوراثه على هذا الشكل. ترى كيف يعلل العقل نفور موسى الكليم من المصريين وكراهته لهم، مع أنه نشأ فى قصر فرعونهم وتغذى بعلومهم وترعرع فى وسط مدنيتهم وأغدقت عليه خيراتهم، وهو في فى كل ذلك بعيد عن بني قومه؟

لا يرى العقل تعليلا عقليا مقبولا لذلك سوى أن والدته وهى حبلى به مع علمها أنها مضطرة بحكم ذلك القانون الجائر بتسليمه ان كان ذكراً لأيدى فرعون ورجاله الغلاظ القلوب ليهلكوه، تشبعت نفسها بكرههم والحنق عليهم، فكونت نفس موسى وهو جنين على كراهة المصريين وتغلبت

هذه العاطفه على كل المؤثرات المصريه التي نشأ موسى بعد وضعه فى وسطها

يمكن لمن دقق النظر فى التاريخ أن يأتى بأمثلة كثيرة من هذا القبيل ، ولكنا مضطرون هنا الى ترك ذلك لفكر القارىء لضيق المقام ونقتصر على نقل رواية عن احدى السيدات المهاجرات من أوروبا الى امريكا فقد سئلت هذه السيده فى الباخرة التي كانت تقلها من أوروبا الى امريكا عما تبغى عمله فى العالم الجديد فكان جوابها « انى أريد أن أقيم له حكاما من نسلى » . وقد حققت قولها فانها أورثت أطفالها السلطه والرئاسه والعمل على تحقيقها فنبغ من أولادها رجلان من مشاهير الولايات المتحدة هما الجنرال (Sullivan) سلفان رئيس قضاة احدى الولايات ، وجامس سلفان والى ولايةٍ كبيرةٍ بها

وجوب عنايتنا بهذا المبدأ

فاذا قام فى ذهن بعض القراء أن يعترض بأن السواد الاعظم من السيدات المصريات لا تساعدهن تربيتهن الآن على الاستفادة بذلك والعمل به كما تعمل المرأة الغربيه ، فجوابى على المعترض بأن المرأة ليست مخيرة فى العمل بقانون الوراثه أو اهماله ، لان قانون الوراثه مثله مثل جميع القوانين الطبيعيه نافذ عليها لا محالة أرادت العمل به أو العدول عنه ، فالواجب والحالة هذه أن نبذل الجهد في حمل السيدة المصريه أن تأخذ بالمؤثرات النافعه فيها وان كانت لا تساعدها درجة تربيتها فى الوقت الحاضر على النبوغ فى علم من العلوم ، إلا أنها قادرة على استحسان المليح من الفعال والكريم من الخصال والرغبه فى الممدوح من الامور ، والنافع من الاعمال ، والمفيد من المعارف والعلوم ، وفى هذا كله ما يفيد جنينها ويحسن درجة تكوينه عما

لو تركت نفسها للأوهام . وقد أثبتت الحوادث الاخيرة على استعداد السيده المصرية لتسنم ذروة المجد والكمال

يضاف الى ذلك، أنه يجب علينا أن ننظر الى المستقبل ونعمل له اكثر من الماضي والحاضر، فنذكر اننا بدأنا من عهد قريب بنشر المعارف والعلوم بين فتيات مصر وقد بدأت ثمار هذه النهضة المباركة بجلاء ووضوح تامّين فى الزمن الأخير، حيث ظهرت المرأة المصرية على مرسح الاعمال النافعة بانشاء الجمعيات الخيرية وغيرها، فعلينا أن نأخذ بيدها بتعميم وسائل التربية الصحيحة فنرى منها ثماراً أينع فيرتقى المجموع المصرى كله رجالا وسيدات الى ما تصبو اليه نفس كل مصرى محب لبلاده راغب فى تقدمها وارتقائها

واجب العقلاء في مصر

لكل هذا أرجو كل من يهمه راحة نفسه وعائلته، وأخاطب كل شاب وشابه ووالد ووالدة أن يحكموا العقل الصحيح فى اختيار رفيق الحياة أن لنفسه أو لبنته فيتقون الله في أنفسهم وعائلاتهم ووطنهم، ولا يتاجرون بالزواج، فهو أشرف النواميس متى نظر اليه النظرة الصحيحة المجردة عن روح المتاجرة والمساومة التى تحط من تلك الرابطة الشريفة، وتنزل بنفس الخطيبين الى درجة السلع فى الاسواق حيث يقدرونها بما يملكه أحد الخطيبين من أملاك ومتاع هذا العالم، مع أن الغالب ان حطام الدنيا تضعف النفس، وتطوح بالاخلاق الى مهاوي الهلاك، كالشوك الذى يحيط بالازهار والاثمار فيخنقها، فالواجب تقدير قيمة نفس أحد الخطيبين بفضائله الذاتية، فعلى الوالد العاقل الحكيم الا ينظر الى ثروة من يطلب الزواج بابنته

عشر معشار نظره الى سلامة ذلك الخطيب من الامراض البدنية والعقلية والاخلاقية ، فانه بذلك لا يعمل فقط على سعادة كريمته وفلذة كبده ، بل هو يعمل أيضاً على سعادة أولادها وسلامتهم وصلاحهم واعدادهم الى مستقبل سعيد ، ويقوم بواجب مقدس نحو وطنه والهيئة الاجتماعية فى العمل على ايجاد نسل صالح نافع . وكم أدت روح المساومة فى الزواج الى تكدير صفو العائلات بل القضاء عليها قضاء بدنياً واخلاقياً وعقلياً ، فالعقم ووضع الاطفال المصابين بالعمى أو الجنون أو التشوه الخلقي ، انما هي بعض نتائج عدم النظر الى أخلاق الشبان الذين لا يتقون الله فيقدمون على الزواج وهم يعلمون ان الاسراف أنهك قواهم وأفنى ماء حياتهم ونخر كالسوس عظامهم فلا هم يشفقون على من يتخذونهم شركاء لحياتهم ولا هم يخشون العواقب الوخيمة على عائلاتهم ووطنهم

الفصل السابع

عدم المساواه الطبيعية

أسباب عدم المساواه ـ التربية من أهم العوامل لتقليل هذه الفوارق ـ الاعتراف بقيمة النفس الانسانية والمساواة بينها ـ وجوب العناية بالاقوياء لمصلحة الجنس وخير الافراد ـ مزايا التربية ونتائجها

عدم المساواة واسبابها

بينما نسمع كثيرا من أفواه الخطباء والوعاظ، ونقرأ كثيرا فى كتابات بعض الفلاسفة والكتاب، بالمساواة بين الناس نرى أن الملاحظة والاستقراء والتدليل العلمي يثبت بأجلى وضوح وبيان، عدم المساواة الطبيعية بين الناس

فمن النتائج البديهية لقانون الوراثة، ان الاطفال يولدون وبينهم فروق طبيعية كثيرة فى القوى البدنية والعقلية والاخلاقية حتى بين الاشقاء وذلك للفوارق المختلفة المتوارثة لبعضهم عن الآباء والبعض عن الجدود والجدات.

يضاف الى ذلك ان اختلاف البيئة ووسائل التربية والتعليم والاختبار تزيد هذه الفوارق بين الناس فى أخلاقهم وعاداتهم ومداركهم العقلية ناهيك بالفوارق الناشئة عن التوارث المادي فى الثروة

لهذا أصبح من المقرر بين العلماء أنه لا يوجد مساواة طبيعية بين الناس، وانه من الواجب الاعتراف بهذا الأمر والانتفاع به لخير الافراد والهيئة الاجتماعية

التربية من اهم العوامل لتقليل هذه الفوارق

لذلك رأى العلماء والمصلحون العمل على تقليل هذه الفوارق بقدر الامكان والانتفاع بمعرفة هذه الفوارق وأسبابها بواسطة العناية الخاصة بالضعفاء من الهيئة الاجتماعية والعمل على مداواة أوجه الضعف الخاصة بكل فرد، وترتب على ذلك انشاء المدارس والملاجىء الخاصة بالعجزه ماديا ومعنويا فقامت الجمعيات المختلفة تعمل على خدمة وتحسين أحوال اللقطاء والعميان والبله والفقراء وغيرهم ممن أوجدتهم الطبيعة أو الظروف فى حالة نقص بدنى أو عقلي أو اخلاقى عن بقية أفراد جنسهم

على أن هذه الفوارق لا تظهر كبيرة لهذا الحد الظاهر فتبدو بين الاخوة والاخوات فى صغرهم وقد تظهر هذه الفوارق متأخرة بعد أن يقطع الانسان شوطا كبيراً من حياته، وفى هذا ما يزيد فى مسؤولية القائمين بأمر التربية ويوجب عليهم العمل بانتباه وجد ونشاط للقيام بخدمة الافراد والهيئة الاجتماعية بما تقتضيه كل حالة من الحالات الظاهرة والخفية

الاعتراف بقيمة النفس الانسانية وتساويها الطبيعي

على أن لهذه المجهودات الخيرية والتهذيبية أساس ثابت هو الاعتراف بقيمة النفس الخالدة والمساواة فى الجوهر بين نفس كل شخص رفيعاً كان أو وضيعاً، عالماً كان أو جاهلاً، فقيراً كان أو غنياً، وخصوصاً فى نظر الخالق جل جلاله ولولا هذا الاعتقاد الراسخ لخارت العزائم وخمدت الهمم وأصبح العالم فى حالة حرب وحشية عملا بمبدأ بقاء الاقوى والانسب

وجوب العناية بالاقوياء لمصلحة الجنس وخير الافراد

على أنه يجب الالتفات والحذر لئلا تصرفنا عنايتنا بالضعفاء وغيرتنا عليهم باهمال الاقوياء، فان العمل بهذا يؤدي الى نتائج وخيمة بالافراد والهيئة الاجتماعية، والواجب نحوهما يقضى ببذل العناية الكبرى بتربية من وهبتهم الطبيعة مزايا عقلية أو بدنية أحسن تربية وذلك للاسباب الآتية

أولا — ان المزايا الطبيعية التى يفطر عليها مثل هؤلاء الافراد ان لم تتعهدها بالتربية الصحيحة تصبح سيفاً قاطعاً فى قبضة التربية الفاسدة وكان للمزايا الطبيعية قوة على اظهار الرذيلة بأحط أشكالها وأخطر مظاهرها وأشد أضرارها بالافراد والمجموع

كيف لا والمشاهد المحسوس أمامنا فى أمثال بعض الافراد الذين حبتهم الطبيعة بقوة عقلية كبيرة وشدة عارضة عظيمة ، وساعدتهم التربية العقلية المجردة عن التربية الاخلاقية لتوجيه قوتهم في سبيل الخير يستعملون هذه المواهب الطبيعية والمكتسبة للاضرار بالافراد الذين يقضي عليهم سوء الحظ بالوقوع بين أيديهم ويقضون على الهيئة الاجتماعية بتضليلهم لها بقوة عارضتهم وخلابة لسانهم وسحر بيانهم في كتاباتهم ومناقشاتهم

أمثال هؤلاء يوجدون في كل أمة وحرفة من روائيين وصحفيين واطباء ومحامين وسياسيين وخطباء ومعلمين ، لو وجهت الهيئة الاجتماعية والمربون عناية خاصة بغرس روح الفضيلة في نفوسهم لجنت أثماراً شهية وأزهاراً يانعة

ثانياً — ان القوى الطبيعية الكامنة والمزايا الخاصة التي وهبها بعض الافراد تدعو للعناية الخاصة بهؤلاء الافراد حتى لا تضيع هباء منثورا على الفرد نفسه خاصة وعلى الهيئة الاجتماعية عامة ، خصوصاً وان العناية بهم تثمر ثمراً صالحاً لان فى تلك المزايا والمواهب الطبيعية الفائقة ما يساعد على نجاح المجهودات التى تبذل فى سبيل التربية والتعليم بسرعة لا تتحقق مع ضعاف الافراد ، وبواسطة مثل هؤلاء الافراد الممتازين الذين حصلوا على قسط وافر من العناية والتربية ارتقت العلوم وانتشرت المعارف وكثرت الاختراعات والاكتشافات ، فكاشفت الطبيعة الانسان باسرارها فاستخدمها استخداماً

نافعاً فى البر والبحر والجو ، فانارت الظلمات، وقصرت المسافات، وفتحت الارض كنوزها والبحار بطونها وأصبح الهواء رسولا للانسان يصل بينه وبين أخيه الانسان فى مشارق الارض ومغاربها فى أقل من لمح البصر

كل هذه من نتائج العنـاية بالافراد ذوى المواهب الطبيعية تكشف التربية والتعليم عبقريتهم

مزايا التربية ونتائجها

يتبين لنا من ذلك ان للتربية مزايا جليـلة وفوائد كثيرة فى سبيل ترقية النوع الانساني ، لذلك نراها تساعد على انهاض الضعفاء من بني الانسان وتقوية ما بهـم من ضعف عقـلى أو اخلاقى او بدنى ، وبذلك تقصر مسافة التفاضل بينهم وبين الاقوياء الذين حبتهم الطبيعة والوراثة مزايا على غيرهم وبذلك يرتقي مستوى النوع الانسانى ويصبح فى مجموعة بواسطة مجهودات القائمين بأمر التربية والتعليم وعلماء الاجتماع والمصلحين أرقى بكثير مما كان عليه ، ومع ذلك لا نستطيع الجزم بان العناية بأمر التربية ونشر التعليم والمعارف تقرر المساواة بين أفراد النوع الانسانى ، بل المشاهدات تثبت عكس ذلك فالتلاميذ يخرجون من دور التربية والتعليم والجامعات العلمية وبينهم من الفوارق واختلاف القوى العقلية والاخلاقية والبدنية اكثر مما كان بينهم وهم اطفال مبتدئون

على أن الاعتراف بهذه الحقيقة لا يقلل من أهمية التربية ولا يصرف العزائم عن مواصلة السعى فى سبيل نشر المجهودات النافعة لتربية الجنس الانسانى بوسائط التعليم والاصلاح والاعمال الخيرية ، بل يجعلها ألزم لانه بهذه الوسائط والمجهودات الشريفة النـافعة يرتقى كل فرد من أفراد

المجموع وبذلك يرتفع مستوى المجموع لدرجة أرفع، وان لم تنعدم من الوجود الفوارق وعدم المساواه بين الافراد اذ يستحيل محو هذه الفوارق بينهم طالما كانت الطبيعة والوراثه بل والتربية نفسها تؤدي الى عكس ذلك

لهذا يجب الاعتراف بعدم وجود مساواة طبيعية بين الافراد وسنرى فيما يلى لدى التأمل في بعض العوامل والاسباب الطبيعيه ما يقرر هذه العقيدة فى النفوس ويرسخها فى الذهن حتى تكون مرشداً للقائمين بأمر التربية والعاملين على أنهاض الهيئة الاجتماعية بواسطة الاصلاح الاجتماعى والسياسي والاقتصادى وغيره

ومن أهم الاسباب الطبيعية التي تتجلى فيها عدم المساواه الطبيعية بين أفراد النوع الانساني هو اختلاف الامزجة التى هي موضوع الفصل التالى

الفصل الثامن

الامزجة

- سبب اختلافها وأنواعها وطرق معالجتها -

سبب تنوع الامزجة - أهمية اختلاف الامزجة في فن التربية - أنواع الامزجة - المزاج الدموي - المزاج الصفراوى - المزاج العصبى - المزاج الليمفاوى - الامزجة المركبة -

سبب تنوع الامزجة

ان المزاج ليس عنصرا من عناصر الطبيعة الانسانية بل هو فى الواقع نتيجة اتحاد هذه العناصر معاً ومقدار تغلب بعض العناصر عند أحد الافراد على البعض الآخر

فمن المعلوم ان عناصر الطبيعة الانسانية هى واحدة عند جميع الناس رجالا ونساء، كبارا وصغارا، ولكن هذه العناصر تختلف درجاتها باختلاف الافراد. فقد يتغلب عنصر من هذه العناصر عند فرد ويترتب عليه ضعف عنصر آخر عند نفس الفرد، بينما نجد فرداً آخر يتغلب فيه ذلك العنصر الضعيف ويضعف فيه العنصر القوى فى غيره، وهذا هو منشأ الأمزجة واختلافها بين أفراد النوع الانساني، وعلى تغلب بعض العناصر فى فرد من الافراد وضعف البعض الاخر يحكم على الفرد بان لديه المزاج الخاص بالعنصر المتغلب فى طبيعته وتكوينه، ولكن لا يجب أن يفهم من ذلك

بانه فقد بعض العناصر الاخري اذ مهما ضعفت درجتها لديه فهى كامنة فيه ، ولا قوام لفرد من الافراد دون تحقق جميع عناصر الطبيعة الانسانية فيه ، فمن الخطأ المشهور فى التعبيرات العامة بين الناس على فرد من الافراد بانه فاقد الشعور مثلا أو عديم التصور والخيال ، فهذا خطأ من وجهة التحليل العلمي وحقيقته ان الاحساس أو قوة المخيلة قد تكون ضعيفة لدى الفرد بدرجة تكاد تكون معدومه .

ومن المشاهد بالاختبار حتي اصبح حقيقة علمية ثابتة ان مقدار امتزاج هذه العناصر المختلفة لا تتوازن وتتكافأ بدرجة واحدة لدى فردين من أفراد الجنس البشرى ، كما لا تتشابه ملامح وجوههم وأشكالهم ، ومن هذا اختلفت الامزجة وتعددت تعدداً كبيرا ، وهذا هو سبب آخر من أسباب عدم المساواه الطبيعيه بين الافراد ، فان كل فرد يولد وفى تكوينه الخلقي اختلاف فى درجات امتزاج العناصر الاوليه تجعله أرقى او أضعف من غيره من افراد الهيئة الاجتماعية

اهمية اختلاف الامزجة في فن التربية

يترتب على اختلاف الامزجه اختلاف فى سبيل تربية كل فرد ، وفى طريقة معاملة كل ، متعلم فان للمزاج سلطان قوي على الفرد فى وجهته ، وطباعه ، واستعداده ، وقدرته العقلية والبدنية والاخلاقية ، فالمزاج بين الانسان البصيرة وعقله ، وخلقه ، وارادته ، ومطمعه ، لان المزاج يتسلط عليها جميعها ويكيفها بشكله وقدرته ، ولهذا رأى علماء التربية وجوب تنبيه القائمين بالتربية الى مزاج كل فرد ، والسير به في طريق الفلاح بما لا يصادم مزاجه واستعداده ، والا كان سعيهم معه كالضرب علي حديد بارد . وغاية ما يجب

أن يطمع فيه مهرة القائمين بأمر تربية الاطفال، انما هو تلطيف حدة تغلب أحد العناصر القوية دون الطموح الى استئصاله، فان هـذا مجال لا ينجم عنه الا اضاعة المجهودات، والاضرار بالطفل، لان هذه المجهـودات فى غير موضعها يترتب عليها مضايقة الطفل وتنفيره من المربى والتربية معا

انواع الامزجة

سبق القول ان مقدار امتزاج عناصر الانسان تختلف باختلاف الافراد لدرجة لا تتفق عند فردين من أفراد الجنس البشرى، ومن هذا لا يتفق اثنان فى مزاجهما. وترتب على ذلك اختلاف علماء الفسيولوجيا فى حصر أنواع الامزجه فقال بعضهم انها ٢٤ وأخرون ١٢ واخرون ٦ الا أن هذا لم يمنع علماء الطب والتربيه والاجتماع من الاتفاق على أربعـة أنواع عامة للأمزجة، جعلوا كلا منها أنموذجا عاما للانواع المختلفة التى تقاربها وتأخذ معظم أحكامها، وتشكل بمعظم أشكالها وخواصها، وهذه الأمزجة الاربعة هى الدموى والصفراوى والعصبى والليمفاوي

المزاج الدموي وخواصه البدنيه

يعرف المزاج الدموي بنعومة الجلد مع ميل الى اللون الوردى، وحمرة الوجه بسبب زيادة الدم، وزيادة كرياته، وسببه تغلب نمو الجهازين الدوري والتنفسى ونشاطهما، واصحاب هذا المزاج يكونون عادة قصار الاعناق أقوياء النبض، شداد القوة العضلية، ممتلئي الجسم، ولديهم استعداد خاص للحميات.

خواصه العقليه والاخلاقية

يمتاز أصحاب هذا المزاج بحدة الاحساس، وسعة الادراك، ومحبة اللذات، فهم سريعو الحركة، قليلو الثبات، كثيرو التقلب من حال، الى حال يقبلون على الامور بسرعة وحماس، ولـكنهم لا يلبثون قليلا حتى تبدأ نار حماسهم

تبرد ، وحدة احساسهم تخمد ، وقواهم وحماسهم توجهان لأمر ثان ثم ثالث فهم سريعو التنقل قليلو الثبات

وتكثر هذه الصفات بين الاطفال والصغار ، وتبقى بين الكبار الذين لديهم الاستعداد العقلي والبدني ، لذلك المعروفين بأصحاب المزاج الدموى

وأصحاب هذا المزاج كثيرو الاختلاط بالناس ، محبون للتردد على المجالس والاندية ، كثيرو الكلام ، يحلو حديثهم للغير ، سريعو الخواطر ، ولكنهم غير ثابتي الود ، ضعفاء الاخلاص ، ولعل هذا راجع لتغلب روح التقلب وعدم الثبات فيهم كما سبق لنا بيانه

محاسنه وبيانه

ظاهر من ذلك ان لأصحاب هذا المزاج محاسن تجعلهم محبوبين لخفة روحهم ، وسرعة خاطرهم ، وحلو حديثهم ، كما أنهم سريعو التأثر ، يسهل استمالتهم واقناعهم ، ولكن لا يلبثون أن يترددوا ويتراخوا فيعدلوا عما اقتنعوا به ، فاصحاب هذا المزاج يظهرون للناظر ذوى استعداد كبير ومستقبل باهر ، تراهم وهم فى المدارس وفي مقتبل العمر ذوى مطامع كبيرة وآمال واسعة ولكنك لا تلبث بعد زمن قصير حتي ترى هذه المطامع اضمحلت ، والآمال الواسعة ذابت كما يذوب الجليد تحت حرارة الشمس فيصبح بخارا

مثل أصحاب هذا المزاج بين الكتاب والمؤلفين كمثل مؤلفي المجلدات الضخمة في مخيلة أصحابها دون أن يكتبوا صحيفة واحدة منها ، وبين اصحاب الاعمال من اصحاب المشروعات الكثيرة الناقصة ، وبين التجار من يتجرون فى كل شيء ولا يتقنون شيئا

طرق معالجة وتربية اصحاب هذا المزاج

لما كان أهم نقط الضعف لدي أصحاب هذا المزاج هو عدم الثبات وكثرة التقلب ، فأحسن وسيلة للانتفاع بهمتهم واقدامهم واضعاف روح التردد وعدم الثبات فيهم، هو ادماجهم فى سلك المشروعات الكبيرة حيث يرتبطون بنظامات ثابتة فيضطرون للسير على سنن ونظام العمل ومؤازرة زملائهم ، وبهذا تضعف فيهم روح التردد تدريجاً . ولا يجدون مجالا لاظهار ما انطوت عليه نفوسهم من عدم الثبات . كذلك يصلح حال اصحاب هـذا المزاج بارتباطهم باشخاص ذوى اقدام وثبات وجلد مع دماثة اخلاق وسعة صدر تحببهم اليهم وتربطهم بهم

كذلك يجب تعويد أصحاب هذا المزاج منذ نعومة أظفارهم على الاعمال الشاقة والمشروعات الخطيرة ، ولذا يجب أن يكثروا من الرياضـة البدنيـة لتنبيه فعل الجهـاز العضلى ، ولصرف ما أمكن من الدم النشيط فى سبيل مزاولة الاعمال والواجبات

وينبغي على أصحاب هذا المزاج تناول الاغذية الصحيه المعتدلة الخالية من الخواص المهيجة ، واجتناب المشروبات الروحية والمنبهة

ويجب عليهم اجتناب سكني الاماكن الحاره ، والمساكن غير الطلقه التى لا يتجدد هواؤها حذرا من الاحتقانات الدماغية ، ودفعاً لظهور كل مميزات المزاج الدموى ونقائصه .

المزاج الصفراوي وخواصه البدنيه

يعرف صاحبه بصفرة قليلة فى الجلد ، وسواد العينين ، وغزارة الصفراء وقوة العضلات ، وقوة الهيكل العظمى ، ونمو الكبد ، وسهولة الهضم ، وقوة الشهوات وحدتها ، ولديهم استعداد خاص للأمراض الكبديه والعلل الباسوريه

خواصه العقليه والاخلاقيه

يشترك أصحاب هـذا المزاج مع أصحاب المزاج الدمـوى فى صفة ظاهريه واحده وهى حدة الاحساس وسرعة تأثرهم بالانفعـالات النفسية ، الا أنهم على طرفى نقيض فيما عدا ذلك ، فبينما نرى أصحاب المزاج الدموي سريعو الحركه قليلو الثبات ، نرى أصحاب المزاج الصفراوي قليلو الحركه شديدو الثبات لدرجة ، العناد وبينما نرى ذوى المزاج الدموى كثيرو الاختلاط بالناس سمراء يلذ حديثهم للناس ، ترى أصحاب المزاج الصفراوي شديدو الذكاء متـوقدو الذهن رزناء الاخلاق ، فهم والحالة هذه يستعيضون عن السرعة بالتأنى وكثرة التأمل ، وعن سرعة التنقل بالثبات وكثرة التنقيب والدرس ، وعن الابتهاج والانشراح بالاعتبار بالحوادث والاستفادة بالاختبار ، لدرجة تصل فى بعض الاحيان الى العبوسة والسوداء .

عاسنه وسيئاته

ظاهر مما سبق بيانه ، أن اصحاب هذا المزاج متى وجدوا من والديهم والقائمين بأمر تربيتهم العناية الواجبة الواقيـة لهم من الانكماش التـام والانزواء ، وأفسحوا لهم مجال الاجتماع بالأندية الساره ، وأزاحوا عنهم وحشة النفس وانقباضها ، لاخرجوا للعالم من كنوز قوتهم العقليـة وقوة مراسهم وشدة ذكائهم وثباتهم واعتبارهم بعـبر الزمان وعاديات الايام وشـدة تأملهم وتنقيبهم ما يخدمون به الهيئة الاجتماعية أجلّ الخدمات ويعـود عليهم همه بالذات بالخير الوفير والصيت الذائع ولا غرو فقد اشتهر من أصحاب هـذا المزاج جماعة من اكبر مشاهير العـالم وقواده كاسكندر ذو القرنين ونابليون الأول وبطـرس الـكبير الروسى وبروتس الرومانى وكرومول الانجليزى

أما اذا أهمل شأن تربيتهم وتركوا ضحية السوداء والانقباض والانكماش لقضوا العمر فى بؤس وشقاء ونكد عيش ينغصون على انفسهم وذويهم العيش الرغيد ويوجدون من السرور أحزاناً والابتهاج آلاماً

طرق معالجة وتربية أصحاب هذا المزاج

نكرر ماسبق لنا ذكره من وجوب العناية بأمر تربية أصحاب هذا المزاج بايجادهم فى وسط بهيج ومع أهل الجد والنشاط والعمل، فتحول قواهم الكامنة الى مجرى عملي يبعد عن نفوسهم عوامل الكآبة والحزن، ويفتح لقواهم وكفاءتهم أبواب العمل والنضال، فيستفيدون بالاختبار ويزدادون ثباتاً فيما القى عليهم من الواجبات، وبهذا يتخلصون من عوامل السوداء والحزن

كذلك يجب على القائمين بامر تربية أصحاب هذا المزاج تعويدهم على ممارسة الرياضة البدنية وابعادهم عن الانفعالات البدنية الشديدة، واجتناب الافراط فى المأكولات وخصوصاً المشروبات الروحية والمهيجة

المزاج العصبي وخواصه البدنية

يعرف أصحاب هذا المزاج بنحافة البدن، وقلة نمو العضلات، ورقة الوجه وحدة السحنه، ولمعان العينين، وعلو الجبهة، وسرعة الحركة، وشدة التأثر، ونشاط عظيم لا يناسب القوة العضلية، وسببه تغلب الجهاز العصبى تغلبا وظيفيا فى اكثر الاحوال، واصحابه معرضون للامراض العصبية فهى تنتابهم أكثر من سواهم واذا أصابهم مرض آخر تظهر فى اثناء سيره ظواهر عصبية غير عادية

خواصه العقلية والاخلاقية

يمتاز أصحاب هذا المزاج بالحدة، والميل الى التطرف لدرجة التهور والنزق، مع الثبات والاصرار والعناد، ولما كان من صفات هذا المزاج انه يوجد فى الغالب وحده فى الجسم لا يختلط مع سواه، واذا وجد مع مزاج آخر سواه استغرقه

وتغلب عليه وازداد ظهوراً ونمواً مع تقدم عمر صاحبه ، فكان من الصعب مقاومته ومقاومة رغائب ونزعات صاحبه بالسهولة المدروكة مع أصحاب الامزجة الاخرى التى ينتهز المربون والمعلمون اختلاطها بعوامل أخرى من أمزجة مختلفة لتحويل شدتها وسلطانها على أصحابها

عاطفته وسيئاته

لهذا نرى أصحاب هذا المزاج متى اقبلوا على أمر شمروا عن ساعد الجد واندفعوا بكل قواهم ومواهبهم لاتمامه ، ومتى شغفوا بامر صار سلوتهم الوحيدة لا يلوون عنه الى غيره ، ويستحيل على الغير تحويل انظارهم وأميالهم الى خلافه وقد يصل بهم الحد الى درجة ضيق الفكر الناشىء من انصراف القوى الفكرية الى أمر واحد دون سواه ، فمن بين أصحاب هذا المزاج نشأ كبار كل فن وعمل لشغفهم وميلهم فى صغرهم الى ما برعوا فيه ونبغوا ، ومن مشاهير الرجال والنساء من أصحاب المزاج العصبى لويس الحادى عشر وباسكال وجان جاك روسو

طرق تربية ومعالجة أصحاب هذا المزاج

لذلك أجمع علماء فن التربية انه يجب معاملة أصحاب هذا المزاج باللين والحسنى لان مقاومة أميالهم ورغائبهم بعنف وبشدة لا تفيد بل تزيد فى اصرارهم وعنادهم وتدفعهم الى شدة الشطط والتهور ، وأفضل ما يمكن عمله معهم ان يكتشف المربى بحذقه ومهارته ما يمكن ان يكون لدى الطفل من الميول والرغبات الممدوحة التى يمكن تحويل انظاره اليها ، حتى ينصرف عما هو مقبل عليه من الامور التى يرى والداه والقائمون بأمر تربيته ضررها أو عدم لياقتها وتناسبها مع شرف العائلة ومركزها فى الهيئة الاجتماعية ، فان لم يوفق الوالدان والمعلمون لذلك فلا مناص من الانقياد لاميال الطفل وغرائزه والاستفادة بهذه الاميال الطبيعية ومساعدتها على النبوغ فى ذلك الفن أو الحرفة . فاذا ظهرت على الطفل بوادر الميل الى المساومة والمتاجرة

فلتفتح امامه أبواب التجارة على مصراعيها، وليلقن أحسن مبادئها، وليعمل على ايجاده فى أشرف أوساطها، وان ظهرت عليه بوادر الميل الى الصناعة فليرسل الى أحسن المدارس الصناعية وأرقاها، ولتهيأ له أفضل الوسائل لظهور قواه وملكاته الطبيعية والاوقفت مواهبه، وساء حاله، وضاعت حياته هباء منثوراً، لجهل والديه ومقاومتهم له فى رغائبه وأمياله الطبيعية

هذا ويجب لتخفيف حدة هـذا المزاج على اصحابه مراعاة القواعد الصحية الا تى بيانها

أولا : يجب ترويض الجسم رياضة بدنية معتدلة، والابتعاد بقدر الامكان عن سكنى المدن ، والسكنى في الارياف وتقليل الشغل العقلي

ثانياً : اجتناب كل الاسباب التى تهيج الجهاز العصبى

المزاج الليمفاوي و نواحه البدنية

يعرف اصحاب هـذا المزاج برخاوة العضل ، وضخامة الانف والشـفتين والاذنين، وكبر اليدين والرجلين، وضعف القوة الحيوية، ووهن القوة البدنية، والخمول والجمود البدنى والعقلي

خواصه العقلية والاخلاقية

أصحاب هذا المزاج ضعاف الهمة، خاملي العقل، لا يفكرون الا ببطء شديد . لايتحركون أو يعملون الا تحت عوامل شديدة تكون وصلت بأصحاب المزاج العصبى لدرجة الغليان، فهم والحالة هذه ليسوا من أهل الحزم والاقدام والعمل ولا من كبار المفكرين والخيال

محاسنه وسيئاته

ظاهر من خواص هذا المزاج البدنية والعقلية والاخلاقية ، أن أصحابه أقل الناس حظاً، وأخملهم ذكراً، ولـكن لا يحسن ان نبخسهم حقهم بالمرة فقد يكون

وراء هذا السكون والفتور قوة كامنة فى النفس لووفق لها من يفتح مغاليقها لفتح لصاحبها مجالا واسعاً للعمل، فينبه ذكره ويعلو شأنه وتنتفع به الهيئة الاجتماعية الا انه يحول دون ذلك صعاباً كبيرة أمام القائمين بأمر التربية، فان الخمول والسكون الخاصين بهذا المزاج، تجعل ابواب العمل والسعى مغلقة فى وجوه القائمين بأمر التربية، لانهم أمام سكون وصمت لايعرفون معها كيف يعملون والى أى جهة يسيرون في طريق التربية، بينما يجدون فى حالات الامزجة الاخرى دلائل حركة واميال خاصة لدى كل واحد منها ترشدهم الى طريق العمل ويفتح أمامها أبواب التفكير والسعى

طرق تربية ومعالجة أصحاب هذا المزاج

لذلك يجب على القائمين بأمر التربية معالجة تربية أصحاب هذا المزاج بان يكلفوا القيام بواجبات عملية مختلفة، وبهذا يستطيعون الوقوف على استعداد كل فرد ومكامن قوته، ومتى وقفوا على ذلك بادروا بالاكثار مما يثير فيهم روح النشاط والهمة والعمل المتواصل فيما لديهم فيه استعداد خاص

هذا ويجب الانتباه الشديد الى المبادىء الصحية الآتى بيانها لمقاومة المزاج الليمفاوى، والعلل التى لصاحب هذا المزاج استعداد خاص لها

أولا — يجب أن يكون الهواء نقياً ومحل السكن صحيحاً متجدد الهواء جافاً

ثانياً — يجب ترويض الجسم رياضة بدنية معتدلة يقدر على احتمالها

ثالثاً — يجب أن يكون الغذاء صحياً وافراً نتروجينياً ممتزجاً ببعض الخضروات

رابعاً — يجب الاسراع فى مقاومة مايطرأ على الجسم من الامراض والعلل

لانها تميل الى الازمان في أصحاب هذا المزاج كما يجب استعمال المقويات العمومية

الامزجة المركبة

على انه يندر أن يكون أحد هذه الامزجة الاربعة الاساسية متسلطاً على فرد من الافراد دون اختلاطه بأحد الامزجة الاخرى ، بل الواقع أن الامزجة توجد لدى الافراد بدرجات مختلفة فيكون لدى بعض الافراد المزاج الدموي مختلطاً بالمزاج العصبي، أو يختلطان معاً مع المزاج الصفراوي، ويقال له المزاج المركب لتركيبه من عدة أمزجة مختلفة، الا انه تتغلب أحد هذه الامزجة لدى الفرد على الامزجة الاخرى المشتركة معه يطلق على الفرد المزاج الذي يظهر ان له أقوى سلطان عليه، فان تغلب المزاج الدموي سمي دموياً، وان تغلب العصبي سمي عصبياً وخير الانسان أن توجد لديه الامزجة بدرجات متساوية فانه يكون معتدل المزاج يأخذ من كل طرف حلاوته ومثل هؤلاء أندر من الكبريت الاحمر

الفصل التاسع

تأثير الدين على الاخلاق الفردية والاجتماعية

فطرة الانسان الاصلية ـ تأثير الدين على الاخلاق الشخصية ـ معنى الدين وأقوال فروبل فيه ـ كيف تتأثر أعمال الانسان بشعوره بالارتباط بالله ـ تأثير الدين على الهيئة الاجتماعية وتاريخ الانسان السياسى ـ تأثير الدين على تاريخ الانسان الاقتصادى ـ دفع اعتراض .

فطرة الانسان الاصلية

أجمعت الكتب المنزله أن الخالق سبحانه وتعالى خلق الانسان على صورته ومثاله أى ذا نفس خالدة طاهرة منزهة عن النقائص والرذائل الاخلاقية ، وأن

آدم والد البشر كان بعد خلقه يسكن جنة الخلد عاملا بأمر ربه مرتبطاً به متمتعاً بنعيم الجنة راتعاً فى بحبوحة سعادتها ، الى أن خالف أوامر العلي الاعلا فتدنست نفسه بادران الشر ، فقضى عليه بالبعد عن دار السعادة ، فكان الشقاء والنصب بعد الراحة نصيبه ، وأصبح نسله من بعده يتوارثون جميعهم الميل الى الشر والخداع فيجتنون مر الثمار من هذا الميل الفاسد ، وهو حرمانهم من حياة السعادة والكمال التى لا واسطة للوصول اليها الا بالارتباط بالله سبحانه وتعالى والاغتباط بطاعته .

أصبح الانسان من يوم سقوطه عبد الشهوات ، وآلة لعوامل الفساد والانحطاط الاخلاقى

ولقد نرى ذلك مسطراً فى صفحات تاريخ الافراد والجماعات والامم حتى ضرب المؤرخون مثلا مشهوراً (الامة السعيدة لا تاريخ لها) يقصدون

بذلك انه حيثما وجد الانسان وترك من الاعمال مايستحق الذكر فتاريخه عن هذه الاعمال هى رواية عما صادف ذلك الانسان من الشقاء والنصب والمصاعب، ويؤيدون هذا بقولهم مامن أمة وصلت الى شأو يذكر في التاريخ الا ويسطر لها صفحات من الفعال المعيبة، والاختبارات المؤلمة. بجانب هذا الطريق المظلم الذى سلكه الانسان، والصحيفة السوداء التى سجلها على نفسه، نرى أسطراً بيضاء وباباً للنجاة فتحه الله الرحيم ليسلكه من الهم الحكمة، وآثر العمل المبرور تخلصاً وفراراً من هذا الانحطاط والسقوط المشين الذى وقع فيه. تلك الصحيفة البيضاء، وهذا الطريق هو الايمان وثمرته العمل الصالح، فاودع تعالى بين جنبى الانسان ضميراً يميز الخير من الشر، وعقلا يزن به أمور هذه الحياة، ويفرق به بين غثها وثمينها وارادة حرة يختار بها لنفسه مايشاء، ثم أقام نفسه تعالى معلماً ومهذباً له يخاطبه بطرق متنوعة، وأساليب متعددة، وألسنة مختلفة، فيها تحريض وترغيب للرجوع من حالة الشقاء التى وصل اليها باعوجاجه، الى حالة سعادته الاصلية من ارتباطه به تعالى ثم تركه بعد ذلك حراً يختار لنفسه مايشاء، اما النزول بها الى الدرك الاسفل أو الارتفاع بها عن مستوى ماديات هذه الحياة فيعيش رفيع النفس، طاهر الذيل هادىء البال، متطلعاً الى حياة الخلود، ونعيم الحياة التى سقط منها يوم نزوعه الى المخالفة والشر، ولا رجوع اليها الا بارتباطه به تعالى

الخلاصة

خلق الانسان مرتبطاً بالله، وعاش كذلك طاهر النفس بعيداً عن الدنايا ولكنه فقد هذه الرابطة والوحدة بميله الى الشهوات، فسقط فى الفساد ومتاعب الحياة، فلم يشأ الرحمن الرحيم ان يتركه هدفاً للشر، بل فتح له باباً وطريقاً الى الرضى

والرحمة والارتباط به تعالى فمنحه الدين كافلا لسعادتى الدنيا والآخرة

تأثير الدين على الاخلاق الشخصية

اذاً فالتدين الحقيقى هو أعظم الوسائل للوصول الى الكمال الانسانى الممكن وهو الواسطة الوحيدة التى تغير طبيعة الانسان الفاسدة بطبيعة جديدة، تكره الشر وتحب الخير وتميل الى الفضيلة وترتاح لمزاولتها لالغنم تغنمه أولكسب تناله بل لانها تجد فى ممارسة الفضيلة راحة النفس وسعادتها ورجوعها الى الخالق مصدر حياتها وسبب وجودها

معنى الدين واقوال فروبل فيه

من ذلك نفهم معنى الدين. وقد أجاد فروبل فى بيان معناه وتأثيره فى كتابه « تربية الانسان » The Education of Man حيث قال « ان الدين هو الواسطة التى يدرك بها الانسان أن نفسه كانت أصلا مرتبطة بالله وصدرت منه وبذلك يدرك وحدته معه تعالى فيسعى ليعيش فى هذه الوحدة ساكناً قوياً فى كل أحوال وظروف هذه الحياة »

« فالدين ليس جامداً واقفاً مكانه لايتقدم بل هو فى تقدم مستمر على الدوام سهل التناول والتطبيق على أحوال الانسان فى درجاته المختلفة ومدنياته المتباينة »

« والتعليم الدينى يثبت ويوضح مايشعر به الانسان من أن نفسه وروحه وعقله جميعاً منبعثة من الله ويظهر بجلاء تام أن الطبيعة وصفات هذه النفس والروح والعقل مصدرها الله وحياتها مستمدة منه تعالى »

« وبالتعليم الدينى يدرك الانسان العلاقة المتينة الكائنة بين الله والانسان كما تظهر بوضوح كاف فى حياة كل انسان وفى الحياة على العموم وفى حياة وارتقاء الجنس البشرى على الخصوص الواضحة فى الكتب المنزلة »

«وبالتعليم الديني نعرف كيف نطبق هذه المعلومات على الحياة وخصوصاً على حياتنا الشخصيـة وعلى النمو المطرد في حياة الجنس البشـري حتى يظهر العنصر الآلهي في الحياة الانسانية وبذلك يمكن للانسان معرفة واجباته والقيام بآدائها»

«وأخيراً يرشدنا الدين الى الوسائل التي بها نرتبط مع الله في وحدة تامة ويعلمنا وسائل توثيق هذه الرابطة كلما تراخت أو طرأ عليها مايضعفها»

كيف تتأثر أعمال الانسان بشعوره بالارتباط بالله

قد يسأل القارىء نفسه كيف تتأثر أخلاق الانسان وتكمل بادراكه تلك الرابطة بين الله ونفسه ؟

وما هي العلاقة بين حسن الاخلاق وهذا الارتباط ؟

جوابنا على ذلك سهل بسيط

ذلك أنه اذا رسخت في نفس الانسان عقيدة وحدة النفس الانسانية بالخالق واستقرت في فؤاده استقراراً تاماً يشعر معها انه متصل بالله ، أوجد هذا الاعتقاد الراسخ في نفسه تغييراً غريباً وتجديداً تاماً في أخلاقه ومعاملاته وحياته ، لان هذا الاعتقاد يحثه على التجمل باخلاق وفضائل ذلك الخالق الكامل الكريم . ألا ترى في حياتنا الانسانية أن الفرد منا يراعي في أعماله درجته في الهيئة الاجتماعية ومركزه ؟ وأنه يتقيد في تصرفاته بهذه القيود الاجتماعية ، حتى ترى لكل طبقة من طبقات الهيئة الاجتماعية آداباً خاصة ، ونظامات معلومة ، لايبتعدون عنها قيد شبر ؟

كذلك يتأثر الابن بمركز والده في الهيئة الاجتماعية ، وتتكيف أعماله طبقاً لدرجة ذلك الوالد ويجتهد دائماً في اتباع خطوات والده والتمثل به في أقواله وأمياله

وحديثه وعاداته حتى جرى المثل المشهور « الولد سر أبيه » وقد رأينا فيما سبق أن كل ذلك يأتى الى الابن بطريق التوارث والقدوة وعلمنا ماللهذين القانونين الطبيعيين من التأثير الفعال والسلطان النافذ على المخلوقات الحية

كذلك نعلم ما للصديق من السلطان على أخلاق صديقه وأفكاره ومتى تذكرنا أن الانسان مهما كرم عنصره وسمت أخلاقه لايذكر بجانب الخالق القوى الحكيم . سهل علينا جداً أن ندرك كيف يصل الانسان الى أعلى درجات الكمال الاخلاق والحكمة النادرة اذا ما رسخت في نفسه تلك الوحدة بالله والارتباط به ولكل هذه الاعتبارات يمكننا أن نفهم بسهولة تامة كيف ترقى نفس الانسان الى أرقى درجات الكمال الانسانى متى ارتبطت واتحدت بالله تعالى مصدر كل كمال وفضيلة

تأثير الدين على الهيئة الاجتماعية وتاريخ الانسان السياسي

أخال القارىء الآن مقتنعاً بما للدين من السلطان العظيم على تجديد النفس وتنزيهها عن الدنايا . فوجب قبل الانتقال الى بيان أحسن سبل التهذيب الدينى أن أتكلم عن تأثير الدين فى الهيئة الاجتماعية وتمدين العالم للوصول بالنوع الانسانى الى درجة الانسانية . ومما لاخلاف فيه أن العالم يخطو خطوات واسعة محسوسة فى المدنية وينتقل من جيل الى جيل فى سبيل الانسانية والرقى الاجتماعى . يلاحظ ذلك المتأمل عموماً والمؤرخ خصوصاً اذ يرى تقدماً عاماً من قرن الى قرن في كل فروع الحياة الانسانية وتغيراً عظيما في الهيئة الاجتماعية

يرى مثلا أن اليونانيين مع ماوصل اليه فلاسفتهم من الحكمة التى لازال يأخذها عنهم المتأخرون، قصروا عن ادراك قيمة النفس، وغمض على أرسطوشيخ فلاسفتهم تلك الحقيقة التى أصبح جميع أبناء القرن الحالي يدركونها وهى المساواة

بين جميع أفراد بنى الانسان حتى تراه في كتابه عن الحكومة فضلا عن تقسيمه الجنس البشرى الى يونانيين « اغريقيين » ومتبربرين « غير الاغريقيين على العموم » يقسم الهيئة الاجتماعية الى أحرار وعبيد . فجاءت المبادىء الدينية تعمل فى الانسان ـ عقله وفؤاده وعقيدته . وتذكره بان جميع الناس سواء أبوهم آدم والام حواء ، حتى تكسرت هذه القيود ، وتهدمت هذه الحوائل الصناعية ، وأعلنت الحرية التامة فى جميع أطراف العالم وتعاهدت الحكومات على مطاردة النخاسة واستئصالها من وجه المسكونة .

كذلك يرى أن الرومانيين مع مابلغوه من قوة التشريع ودقته وصنع القوانين ، غاب عنهم ما أدخله المشرعون المتأخرون فى القوانين الجنائية ، وهو مالم يصلوا اليه بطريق التفوق فى القانون ولكن من ارتقائهم في المدنية ، وتشبع آرائهم بمبادىء الانسانية والآخاء ، فنبذوا فكرة الانتقام فى ايقاع العقاب ، وراعوا فى وضعه أن يكون مهذباً ، للمجرم ، رادعاً له عن غيه ، مقوماً لنفسه ، حتى يصبح عضواً نافعاً عاملا على رقى الهيئة الاجتماعية لا افسادها ، ونشأ عن ذلك أيضاً حسن معاملة المحكوم عليهم من المجرمين ، واصلاح حال السجون لتكون مدرسة تهذب نفوس المجرمين وتعلمهم صنائع وحرف يستعينون بها على كسب عيشهم وانصراف فكرهم عن تدبير الجرائم وارتكابها

كذلك يرى فرقاً واضحاً بين الافكار السياسيه القديمة والحديثة ، يدل على ارتقاء عظيم فى الانسانية وسيرها نحو الكمال الانسانى الذى لايتفق مع عدم المساواة والاستبداد وتسلط سلطان الاوهام ، حتى كادت تزول من وجه البسيطة دول الاستبداد حيث يسود الملك أو الامير الى درجة المعبود يتسلط على نفوس رعيته ويعمل في رقابهم كما يعمل صاحب الماشية في مواشيه دون عطف أو حنان

وقاربت جميع حكومات الارض أن تكون على مبدأ واحد تقريباً ، حيث الملك أوالامير أو الرئيس يحكم باسم الشعب،ويلتمس معاونته واشتراك الرعية، ويشعر انه أقيم ليكون خادماً للمصلحة العامة لاسيداً ومخدوماً تحنو له الرؤوس وهو مستبد جاهل غشوم

تأثير الدين على تاريخ الانسان الاقتصادي

وها نحن نطالع في هذه الايام أخبار حرب اقتصادية عنيفة ، وكأننا بطبقات الهيئة الاجتماعية فى العالم الغربى عموماً ، كالامواج في الاوقيانوس وقت قيام ثورة الانواء والعواصف ترغى وتزبد وتتلاطم ، ويخرج من تلاطمها شرر ينذر بانقلاب عظيم فى العالم الاقتصادى يغير النظام الاجتماعى، ويرتب وينظم العلاقات بين الاموال والاعمال الى أن تزول معه أوهام القرون الماضية والعصر الحالي من سيادة أرباب الاموال، بل ينظر من بعده الى المال،النظرة الصحيحة الصادقة ، وهو أنه فرع من الفروع في العالم الاقتصادى وليس هو كل شيء، وأنه وسيلة لاتمام الاعمال الاقتصادية والاجتماعية لايفيد ولايثمر الا بجد أرباب الاعمال ومايتصبب من العرق على جبينهم وما يرهق أبدانهم من الاجتهاد العقلي والبدنى

حينئذ يقدر كل فرد بما يحسنه، فلا ينسب لرب المال كل فضل وسيادة.

هذه بعض الامثلة القليلة مما وصل اليه العالم ويؤذن حاله بالوصول اليه من المدنية الراقية الصحيحة والانسانية التى تقرب جيلا بعد جيل الى درجة الكمال الانسانى الممكن في هذه الحياة

دفع اعتراض

ولقد يعترض البعض أن هـذا التقدم في المدنية لم ينشأ عن حركات دينية ونهضات روحية، وليس مصدره الدين حتى يقال أن تقدم المدنية ناشيء عنه بل هو نتيجة ثورات سياسية ، وانقلابات اجتماعية ، وارتقاء في الافكار العلمية ، وتوسع في

المباحث الفلسفية. جوابنا على هذا الاعتراض انا وان كنا لا ننكر أن بعض الاسباب الظاهرة لهذه الانقلابات السياسية والاجتماعية هو مايقول به المعترضون، ولكننا نقول أن مثل هؤلاء المعترضون مثل من ينسب الضوء الذى يسطع في فضاء الغرفة فينير ظلماتها الى الفتيلة المنغمسة في زيت الاستصباح أو الى السلك الكهربائى، وينسى أن الفتيلة أو السلك الكهربائى انما هى آلات توصيل ذلك النور من القوة التى يستمد منها ذلك النور وهى زيت الاستصباح أو الجهاز الكهربائى المرتبط بذلك السلك، والتى لولاها لبقيت الفتيلة أو السلك أجيالا بل قروناً لاينبعث منها أضعف شعاع، بل لظلت كل واحدة منها مادة باردة وجسما ميتاً مظلماً

هكذا حال هذه الثورات والانقلابات، فهى ليست فى ذاتها سبباً بل نتيجة لفعل المبادىء فى نفوس القائمين بهذه الحركات، وهى ليست الا أثراً من آثار فعل المبادىء الانسانية فى فؤاد الانسان، حركته هذه المبادىء فمثلها فى أشكال مختلفة، وحركات اجتماعية، أو سياسية، أو علمية، أو اقتصادية، وفق استعداده العقلي، أو تركيب مزاجه البدنى، ولكن كل ذلك يرجع الى المبادىء الادبية التى حركت نفسه الى هذه الاعمال

وكثيراً مالايدرك الانسان أن المحرك الاصلي له، هو مارسخ فى فؤاده من المبادىء الدينية والفكرة الانسانية العامة، التى تكون قد جاءت اليه أخيراً من طريق فلسفى، منبعث عما لقنه ذلك الفيلسوف وهو طفل فى مهده من المبادىء الدينية، فرسخت فى فؤاده، ثم دار الزمان وكرت الاعوام، وقد تعمق فى أثنائها ذلك الطفل في الفلسفة فأبرز هذه المبادىء الى العالم بشكل فلسفى دون أن يشعر ان جوهر فلسفته ما لقنته له والدته من المبادىء الدينية والاخلاقية فى طفولته

من ذلك نفهم كيف ينتقل التأثير الديني من الافراد الى الجماعات، لانه فضلا

عن تأثير الانسان فى الوسط الاجتماعى الذى يحل به، ان خيراً أو شراً، فان للدين تأثيراً غريباً يدفع المتدين الحقيق الى ايثار غيره على نفسه وهذا يؤدى به الى الاهتمام بالمصلحة العامة، لان أهم ما يحدثه الدين فى نفس الانسان هو انه لم يخلق فى هذه الحياة لنفسه يشتغل ليكسب ويأكل ويشرب ويتنعم ثم يموت. بل يضعف الدين من نفسه حب الذات والانانية، ويغرس فى فؤاده محبة الغير، وبذلك تتولد فى فؤاده رغبة عظيمة، وولع شديد بالمصلحة العامة، والاهتمام بخدمة الهيئة الاجتماعية والعمل على ارتقائها والانتقال بها من درجتها الحالية الى درجة أرقى

بذلك يرتقى العالم من جيل الى جيل، وبهذا التأثير الدينى تتولد فى نفس الانسان فضيلة تضحية النفس فى سبيل خدمة الغير والمجموع، وبذلك يسهل علينا فهم سر عظمة كثير من مشاهير الرجال الذين تقدموا الى الموت بثغر باسم فى سبيل اعتقاداتهم الدينية أو العلمية أو الفلسفية، والاكثرون منهم الذين قضوا حياتهم فى فقر مدقع وشقاء مادى مقيم، منصرفون عن الاشتغال بكسب المال وجمع الدرهم والدينار، بنشر معتقداتهم والوصول الى تحقيق مطامعهم الدينية، أو الادبية، أو العلمية، أو الفلسفية، أو السياسية

بمثل هؤلاء ارتقى العالم حتى وصل الى ما نحن فيه اليوم، وبمثل هؤلاء يسير فى طريق الارتقاء نحو الغاية المقصودة من الحياة.

فهل لبنى مصر فى الوقت الحاضر ان ينسجوا على هذا المنوال لاحياء مجدها وبث روح الحياة فيها؟

الفصل العاشر

التربية الدينية

كيف تغرس العاطفة الدينية في نفوس الناشئة ـ أحسن وسائل التربية الدينية ـ فصل نفيس منقول عن بستالوزى (Pestalozzi) فى طرق التربية الدينية

كيف تغرس العاطفة الدينية في نفوس الناشئة

مهما كان الدين مفيداً لاصلاح الفرد والمجموع ، فانه يصبح عديم الفائدة بل قد يؤدى الى اضرار بليغة ، ان لم تبدع طريقة تعليمه وتلقينه في نفوس الناشئة بطريقة مؤثرة فى نفوسهم ، ومهذبة لاخلاقهم ، ومرقية لعواطفهم . ولا يقتصر هذا المبدأ على التربية الدينية فقط بل هى قاعدة عامة لكل نظام اجتماعى ، فقد ثبت علماً وعملا في التربية العقلية والنظامات المدرسية ، ان النتائج المفيده فى التربية العقلية ، لاتتوقف على كثرة المدارس والعلوم ، بل على اسلوب التدريس وطريقة التعليم ، وأن أحسن عمل تقوم به ادارات التعليم في أى بلد من البلاد ، هو اختبار أحسن وأحدث الطرق التهذيبية ونشرها فى طول البلاد وعرضها ، وبث مبادئها بين المعلمين والاساتذة ، حتى ترتقى درجة التعليم في البلاد ، وتسير الحركة العلمية فيها مع المبادىء العصرية ، وهو ماتراه بكل أسف مهملا اهمالا مخجلا فى بلادنا ، وغير ملتفت اليه عند وضع برامج التدريس

أحسن وسائل التربية الدينية

فما هى أحسن وسائل التربية الدينية ؟

هذا هو السؤال الذى وعدنا أنا سنفرد له موضوعاً خاصاً ، ولا نرى جواباً

أفضل، وبياناً أحسن ؛ وتفصيلا أوفى ومعنى أدق ، من كلام بستالوزى نابغة فن التربية،ومن أعاظم واضعى مبادىء التربية العصرية ، فقد طالعنا له فصلا بديعاً عن التربية الدينية وطريقة تدريسها من مؤلفه النفيس

(كيف تعلم جرترود أولادها) How Gertrude teaches her children

فرأينا أن أفضل خدمة نؤديها للقراء فى هذا الموضوع ، أن ننقله لحضراتهم الى العربية بما نستطيع اليه سبيلا من المحافظة على معناه ومبناه ، بقدر مايسمح لنا به قلمنا . قال المؤلف رحمه الله : ـ

«وهنا أسعى لحل مسألتى في نفسى ، فأسأل كيف تولدت فكرة الله فى نفسى ؟ وكيف وصلت للاعتقاد فيه تعالى ، حتى أرتمى بين ذراعيه وأشعر بنعمته كلما أحببته واعتمدت عليه وشكرته وأطعته ؟ »

« فأرى ان هذه الاحساسات ـ احساسات المحبة ، والشكر ، والثقة ، والطاعة ـ لابد من وجودها فى داخلي ، قبل أن أشعر بها نحو الله تعالى . اذ يجب أن يكون لدى هذه المحبة ، والشكر ، والثقة ، والطاعة ، نحو الناس قبل شعورى بالمحبة والشكر والثقة والطاعة نحو الله تعالى . لان من لايحب أخاه الذى يراه فكيف يمكن أن يحب الله تعالى الذى لم يره ؟»

« حينئذ أسأل نفسى ـ وكيف وصلت الى محبة الناس وشكرهم وطاعتهم والثقة فيهم ؟ »

« وكيف نمت هذه الاحساسات فى طبيعتى حيث تسكن المحبة الانسانية والشكر الانسانى والثقة الانسانية والطاعة الانسانية ؟ »

فأجد أن الاصل الوحيد لكل هذه العواطف ناشىء عن العلاقات الكائنة بين المولود ووالدته . »

« فالوالدة بما أودع فيها من الغريزة الفطرية مدفوعة الى العناية بمولودها واطعامه ، وحمايته وتسليته ، وفى عملها هذا تقوم بكل حاجاته ؛ وتسر خاطره ، وتعين ضعفه »

« يشعر المولود بما تبذله والدته من العناية به ، فيبتهج خاطره ، ومن ذلك تتولد فى فؤاده عاطفة المحبة »

« وقد يشاهد الطفل يوماً شيئاً لم يألفه من قبل ، فيدهش لرؤياه ويخاف منه فيبكى ، وحينئذ تقبل عليه والدته وتضمه الى صدرها ، وتداعبه ، فيمتنع عن البكاء وعيناه مغرورقتان بالدموع ، فاذا عاد ماخاف منه ، تناولته بين ذراعيها وابتسمت فى وجهه ، فلا يعود الى بكائه ويقابل ابتسامها بعينيه البراقتين الضاحكتين ومن ذلك تتولد فيه عاطفة الثقة والاعتماد »

« تسرع الوالدة الى ولدها فتطعمه متى جاع ، وتسقيه متى عطش ، لذلك يسكت عند مايسمع وقع قدميها بقربه ، ويتطلع اليها ، ويمد ذراعيه نحوها ، ويهش فى وجهها ، وينظر الى يديها ، فيشرق وجهه بالسرور ، لان السرور والوالدة فى نظره سيان وهو بذلك يشكر فضلها »

« من ذلك الحين تبدأ عواطف الحب والثقة والشكر فى النمو . »

« يعرف الطفل وقع قدمي والدته ، ويبتسم كلما شاهد خيالها ، ويحب كل من كان على شاكلتها ، ويعتقد ان كل مخلوق مثلها هو مخلوق طيب ، فكما يبتسم فى وجه والدته يبتسم فى وجه كل انسان »

« يحب كل من تحبه ، ويعانق كل من تعانقهم ، ويقبل كل من تقبلهم ، ومن ذلك تتولد فيه عاطفة الانسانية والأخاء »

«أما الطاعة فمناقضة للفطرة الانسانية ، فلغرسها فى فؤاد الطفل يحتاج المربى

الى معارف واسعة ودقيقة في فن التربية، اذ بينما نرى من جهة، ان الطاعة والفضيلة الانسانية الناشئة عن تركيبه البدني متناقضاً، ترى من الجهة الاخرى مع هذا التنافض وجود شبه ارتباط بينهما هاك بيانه »

« فقد شاهدنا فيما سبق ان المحبة نبت الحاجة وعنها نشأت، والشكر مولود التغذية ولولاها لما أزهر فى فؤاد الطفل، والثقة بنت العناية، كذلك نرى هنا، ان الطاعة خليقة القلق »

«فترى الطفل يصرخ ويقلق قبل تعلمه الصبر والطاعة، ومن ذلك نفهم ان الصبر يلد الطاعة. بهذه الواسطة يمكننا ان نفهم سر ذلك التناقض والارتباط الكائن بين غريزة الانسان الحيوانية والطاعة، مع ان القلق والصبر متناقضان، فان أولهما يؤدى الى ثانيهما متى استعمل الوالدان الحكمة والحذق »

« هذه الفضيلة تغرس أيضاً فى فؤاد الطفل وهو فى حضن أمه، لانه عادة يصرخ قبل أن تفتح الوالدة صدرها لارضاعه، ويظل قلقاً باكياً حتى تتناوله»

«ومن هذا ينتقل الطفل من درجة الطاعة القهرية الى الطاعة الاختيارية التى تنمو فيه مع الزمن، بزيادة الادراك، ونمو الاختبار. فالطبيعة صلبة لاتثنى ولا تتأثر بقلق الطفل وانفعاله.»

« ترى الطفل يهيج فيضرب الاخشاب والاحجار، فلما يراها لاتبدى حراكا ولا تتأثر بانفعاله وسخطه؛ يمتنع عن ضربها وتسكن ثائرة قلقه وغضبه »

«هذا مايجب على الوالدة العاقلة الحكيمة ان تتعلمه من الطبيعة فمتى رأت من ولدها هياجاً وقلقاً وصراخاً وعويلا طلباً لامر ترى من مصلحته منعه عنه؛ فلتكن ساكنة ثابتة ولا تثنى أو تدع لصراخ الطفل وعويله مجالا للتأثير على عواطفها؛ فتسمح له بما لايليق؛ بل لتتركه وشأنه فينقطع عن البكاء؛ ويخضع لارادتها.

ومن ذلك تتولد فى الطفل عاطفة الطاعة »

« من ارتباط الطاعة والمحبة والشكر والثقة واتحادها فى نفس الطفل يتولد الضمير ، وبه يشرق على عقل الطفل لاول مرة فى حياته ؛ أنه لايليق به أن يهيج على والدته الحنونة لانها لم تخلق فى هذا الوجود له دون سواه ، ثم يرتقى ادراكه فيعلم بان كل مافى الوجود لم يخلق له وحده ؛ ثم يتدرج فى سلم الترقى حتى يصل الى أعلى درجات الشعور الانسانى ؛ فيدرك انه هو نفسه لم يخلق فى هذا الوجود لذاته . ومن هذا يبدأ بمعرفة الواجب والحق »

« هذه هى أمهات المبادىء الادبية ؛ وجميعها كما رأينا منبعثة عن العلاقات الكائنة بين الوالدة ومولودها . فكما رأينا أن الطفل اكتسب هذه الفضائل من احتياجه الى والدته ؛ واعتماده عليها ؛ وارتباطه بها ؛ وعنايتها به ؛ فهو كذلك يشعر بهذه العواطف نحو الخالق تعالى بهذه الاسباب وبهذه الوسائل نفسها . ينمو شعوره بحاجته له تعالى ؛ واعتماده عليه ؛ وارتباطه به ؛ واقتناعه بانه يرمقه بعين عنايته ويغدق عليه خيراته ، ولولاه لما كان فيما هو فيه من نعمة وصحة »

« وفى الحالتين نرى الطفل يسمع ؛ ويصدق ، ويطيع ؛ ولكنه لايدرك مايصدق ويعمل . فمى نما وقوى وآنس من نفسه القدرة على القيام بحاجات نفسه دبت فى صدره روح الاستقلال وشعر بان له شخصية مستقله عن والدته ، وبزوال حاجاته الاولى نحو والدته ؛ تضعف من نفسه تلك العواطف والفضائل التى غرستها هذه الحاجات ثم غذتها فأينعت زهورها »

« حينئذ تحدثه نفسه الامارة بالسوء فيقول « اننى لست بعد فى حاجة الى والدتى » فمتى آنست الوالدة الحكمة من ولدها هذه الروح ؛ وقرأت على جبينه هذه الافكار ، وجب عليها الاسراع بانقاذه من هذا الخطر المحدق بنفسه ، ولا وسيلة لانقاذه

من هذا الموقف الحرج ؛ الا بتوجيه عواطفه وعقله الى قوة أعظم ؛ وقدرة أقوى من قوتها وقدرتها ليلجأ اليها فتعينه وترشده . فالوالدة العاقلة تقبل فى إبان هذا الخطر على ولدها ، وتضمه الى صدرها قائلة انه وان زال احتياجه اليها ؛ الا أن خالقه وخالقها ؛ وموجد هذا الكون والوجود ؛ ومبدع جميع الكائنات ؛ هو الذى يجب الاعتماد عليه ؛ والرجوع اليه ؛ وهو تعالى يمده بالمساعدة التى تعجز هى عن تقديمها له كلما التمسها منه تعالى . وهو مصدر كل راحة وسعادة . يمهد له سبل الفرح والسعادة التى ليس للوالدة اليها سبيل »

« بهذه الواسطة تمنع الوالدة الحكيمة ولدها من السقوط في هذه الرذيلة ؛ وتغرس فى فؤاده شعوراً حياً ؛ ومقاصد عالية ؛ وإيماناً ثابتاً فى الخالق تعالى يرفع بنفس مولودها عن مستوى هذه الماديات المحيطة به ؛ فيبتهج كلما سمع من فم والدته اسم ذلك الخالق القوى الرحيم ؛ ويشعر فؤاده نحو الله تعالى بذلك الحب ؛ والشكر والثقة التى كان يشعر بها نحو والدته فيتطلع اليه تعالى كوالد رحيم »

«متى غرست فى فؤاد الطفل هذه الفضائل نحوه تعالى ؛ خطا نحو الفضيلة والتقوى خطوة واسعة ؛ لان الشاب الذى يتطلع الى الله وهو فى عنفوان شبابه ، كما كان يتطلع الى والدته فى سنى طفوليته ؛ يقوم بعمل الواجب والصواب حباً فى الله كما كان يعملها حباً في والدته »

« وعلى هذه الملاحظة الجديرة بالاعتبار ؛ يجب أن نؤسس فن التربية الاخلاقية إن أردنا لاولادنا على الخصوص والجنس البشرى عموماً حياة شريفة وأخلاقاً كريمة ، بان نبذل كل مالدينا من علم ؛ وما فى مقدورنا من تنبه والتفات ؛ حتى اذا مابدأت من الطفل بوادر الاستقلال والاستغناء عن والدته ، غرسنا في نفسه على الفور

عاطفة الاعتماد على الخالق ؛ والتطلع اليه ، والعمل بأوامره تعالى لانه متى أدركنا أن عواطف المحبة ؛ والشكر ؛ والثقة والطاعة ؛ هى ثمرة ائتلاف غريزى بين الوالدة والمولود ، أمكننا أن ندرك أن نمو هذه العواطف والفضائل يتوقف على مقدار تشبع نفوسنا والعمل بمبادىء ذلك الفن الاخلاق الجليل »

« ولذلك يجب على الوالدين أن يتذكرا على الدوام الاسباب التى ذكرناها فى نشأة هذه العواطف والفضائل ؛ ويتأكدا أن لابد من يوم فى حياة كل مولود فى هذا الوجود ؛ تضعف فيه من نفسه تلك الاسباب . فيه يشعر باستغنائه عن والدته ، وبدخول هذا الشعور الى نفسه ، تضعف هذه العواطف فيه نحوها ، وبهذا يتسرب اليه الضعف الاخلاق ، الذى يجعله عرضة لاخطار أدبية مخيفة »

« فالطفل كما لاحظنا فيما سلف ، يحب والدته ويشكرها ويعتمد عليها مادام هو فى حاجة اليها ، كذلك هو يحب الخالق تعالى ويشكره ويعتمد عليه مادام يشعر باحتياج اليه »

« بزوال هذه الاسباب تزول نتائجها ، فتضعف هذه العواطف في فؤاد الطفل نحو والدته حالما يشعر باستقلاله وعدم حاجته اليها »

« فى هذه الدور من الحياة ، يظهر العالم للشاب في مظهر جديد لم يدركه وهو طفل ، فينظر الشاب اليه بعين جديدة ، وينخدع قلبه بمناظره ومسراته فيناديه العالم ولسان حاله يقول (أقبل علي الآن يابنى فأنت الآن لي) فلا يسع الانسان فى ذلك الدور حين تضعف فى نفسه عاطفة الطفولة ، وتدب فى صدره قوة الشباب وشهواته ، الا اجابة ذلك النداء والاقبال على العالم ، فتذبل فضائل النفس وتموت ، ان لم يتدارك الوالدان الامر لفطنتهما وحكمتهما ، وينتشلاه في هذا الموقف الحرج من السقوط »

« ذلك لايتم الا بتوجيه عواطف الطفل التى كان يشعر بها نحو والدته الى الخالق تعالى وربط حلقة الاتصال بينه وبينه تعالى »

«أيتها الوالدة ! يسعى العالم بكل طرق الغواية لينتزع ولدك وفلذة كبدك من بين يديك ، فان لم يوجد فى هذا الوقت من يستطيع تغليب عواطفه الشريفة على شهواته فقد ضاع لامحالة ! نعم أيتها الوالدة ! . ان العالم يختطف ولدك من بين يديك فيصبح زخرف العالم ومسراته والدته ، وشهوات الجسد والاستسلام لهوى النفس تصبح معبوده وسيدته ، . »

« أيها الناس ! يجب عليكم فى هذا الدور ، وهو طور انتقال الطفل من عهد الصبوة الى الشباب حين تزول من نفسه عاطفة الطفولة ، وتزهو نفسه وترقص طرباً بهذا العالم ومسراته ، ويشعر باستقلاله واستغنائه عن والدته . فى ذلك الدور حين تضعف فى فؤاده تلك العواطف الشريفة ، في ذلك العمر الذى فيه يتطلع الى والدته التى حملته جنينا وغذته رضيعا ، وداعبته طفلا ، بغير العين التى اعتاد أن ينظر اليها بها ، فى ذلك الدور حين يتسرب الى نفسه حب العالم ، وتلعب بعقله مظاهره ، وتمتلك لبه مفاسده ، فتذبل عاطفة حبه لوالدته ، وتضعف عاطفة شكره لها ، وتضيع عاطفة اعتماده عليها . وبضياع ثقته فى والدته تضيع ثقته فى خالقه تعالى الذى لم يره وينسى أنه تعالى خلقه وأحياه ! »

« نعم أيها الناس ! فى ذلك الزمن الحرج . زمن الانتقال من عاطفة الاعتماد على الوالدة وعلى الخالق تعالى ، الى التمسك بأهداب العالم وزخرفة الكاذب ! »

« نعم فى مفترق هذين الطريقين ، يجب عليكم أن تبذلوا جهدكم ، وتستعينوا بكل ماحباكم الله من علم وفطنة ، لتحيوا فى نفس الطفل عواطف الحب والشكر والاعتماد والطاعة ، لتبقى نفسه طاهرة نقية ، لان حياة الانسان الادبية ، وثباته ،

ونموه فى الفضيلة يتوقف على إحياء هذه العواطف فى فؤاده، وبزوالها تزول روح الله من قلبه »

نعم أيها الناس ! فى ذلك الطور من الحياة حين تزول الاسباب الطبيعية التى غرست وأحيت هذه العواطف فى فؤاد الطفل ، يجب عليكم أن تبدعوا الاسباب والحكمة فى الاستعاضة عن هذه الاسباب الطبيعية بأخرى تستوقف أبصار الشاب وتملك فؤاده ، حتى لايخدع بزخرف العالم ولا يتأثر بمظاهره ومناظره الخلابة ، بل يرمقه بعين حذرة وقلب ملؤه تلك العواطف الشريفة »

« من ذلك ندرك أن من الخطأ الخلط بين الطبيعة التى أوجدها الخالق ، والعالم فى حالته الحاضرة التى أوجدها الانسان . ومن الخطل فى الرأى أن نترك الشاب وشأنه فى مثل هذه الحياة الاجتماعية ، بل يجب أن نختطف من يد الهيئة الاجتماعية الفاسدة عنان الطفل ، لنقوده وهو لايزال أغلف القلب بسيطا ، قليل الخبرة بغاية الحكمة والمبادىء السامية التى أثبت لنا الاختبار الطويل صوابها ورشادها »

« فالعالم الذى يتطلع اليه الشاب اليوم بعينى شبابه ، هو غير ذلك العالم الذى أوجده الخالق فى فطرته الاولى ، بل هو عالم أفسدته يد الانسان وصيرته مفسدة لمشاعره الخارجية وعواطفه الداخلية »

« هو عالم مملوء بشباك الشر لاقتناص نفس الشاب . عالم كله كذب وغش وخداع واغتصاب وادعاءات فارغة وانقسامات وحروب . »

« هذا العالم والحالة هذه يهبط بالشاب الى وهدة الرذيلة والسقوط الادبى الذى لاقرار له . ولكن ماأسوأ حظك أيها الطفل ! عالم طفوليتك هو غرفتك تتعلم فيها كل ما يمكنك معرفته ، ولكن والدك مضطر بداعى أعماله أن يفارقك

ويتركك هنالك ليقوم بواجباته ولكسب عيشه »

« أما والدتك فمشتغلة ، مرة بحلاها وحاجاتها ، وأخرى بأثوابها وزخرفها ، وتارة بغضبها وحماقتها ، وأنت ضائع فى هذا الوسط الذى لا يعنيه من أمرك شيئاً ، لا تجد من يعتنى بتربيتك وتهذيبك وارشادك »

تسأل سؤالا لو أتيح لك من يجيبك عليه جواباً صحيحاً لخرجت منه بفائدة تغذى روحك وعقلك ، ولكن لا من سميع ولا من مجيب ، لاشتغال الوالدين عنك ولجهل مرضعتك ! »

« تطلب السماح بالخروج من المنزل الى الخلاء لتتعلم من الطبيعة ما تمليه على عقلك النشيط ، فيأمرونك بالبقاء داخل أسوار المنزل كالعصفور السجين فى قفصه ! »

« لذلك لا تجد لنشاطك واستعمال قواك البدنية والعقلية مجالا سوى التخريب والغضب ، فتسطو على أختك الرقيقة الضعيفة تغتصب منها ألعوبتها »

« فما أتعسك وأسوأ حظك أيها الطفل وهذا هو حالك ، ما أقسى فؤاد هذا الوسط الذى تعيش فيه وما أغلظ قلب والديك ! »

« على أن قرينك الغنى ليس بأحسن منك حظا »

« نعم يركبونه العربات التى تقودها الجياد ليتنزه صباح مساء فى المتنزهات الفيحاء والحدائق الغناء ، ولكن حظه من التربية الصحيحة والتهذيب الحقيقى كحظك بل أسوأ . لان معلمته تضله وكثيراً ما تهمله وتخدع والدته ، وبذلك ينقلب ذلك الرخاء الذى يفضل به عليك الى نقمة وشقاء ، لانه لا يكسبه الا مفسدة لنفسه تفوق كل ألم وتعب يرزح تحتهما الطفل الفقير ! »

نعم ان ما انتاب العالم من الفساد والانحطاط الاخلاقى الذى تنفطر له أفئدة

الفضلاء ! نشأ من مقاومة الانسان لقوانين الطبيعة والوقوف فى تيارها »

«لذلك فسد الانسان وذبلت من فؤاده كل آثار الفضيلة ، ثم زاد البلاء وعظم الخطب باهمال الانسان للبقية الباقية اهمالا مريعاً قاسياً يحاكى اهمال زوجة الوالد القاسية القلب لاولاد زوجها من غيرها ، اهمالا يقضى قضاء مبرماً على الوسيلة الوحيدة لرفع شأن الانسان وانقاذه من وهدة السقوط الادبى . نريد بذلك اهمال تربية الانسان الاخلاقية فى طور شبابه »

«فالشاب مع مافطر عليه تركيبه البدنى ، ولرجاحة كفة قوة البدن فى هذا الدور من العمر على كل قوة أخرى فيه ، تراه سريع الانقياد لشهوات الجسد ، تؤثر عليه وتتغلب على نفسه المؤثرات المادية على اختلاف انواعها واشكالها ، فتراه يصبو الى ملذات هذه الحياة ، يزهو بزهوها وينخدع بسرابها ، لذلك يكون من الخطل فى الرأى والنقص الفاضح فى نظام التربية ، ان يهمل شأن تربية الاخلاق فى هذا الدور ، ولا يبذل الجهد فى تقوية عنصره الروحى الذى لايتم لنفسه وعقله التغلب على قوى بدنه وشهوات جسده الا بتدريبها وتهذيبها . والا فالشاب لامحالة منحدر فى تيار هذا العالم تلعب به أمواج مطامعه ومفاسده ، وتجرفه آثامه ، وبذلك يقضى على نفسه واخلاقه قضاء مبرماً »

« بهذا الاهمال تضيع من نفس الانسان ملكة التعقل والتنبه الاخلاقى التى تحفظه من السقوط ، وتوصد فى وجهه أبواب الفضائل ومكارم النفس ، وتسير به شهوات الجسد فى طريق بعيد يقطع كل اتصال ويفصم كل رابطة بين العقل والضمير ، وبانفصام عروة هذه الرابطة تنقطع كل علاقة بين الانسان وخالقه تعالى . وفى قطع هذه العلاقة الشريفة . الضربة القاضية على نفسه التى هى المميز الوحيد للانسان عن الحيوان . بهذا يصبح الانسان حيواناً عالماً مفكراً وبئس

العلم والتفكير ، لانهما ينقلبان سيفى نقمة على غيره ، لان محبة الذات تقوى فيه الى درجة تجعل المعاملة معه جحيما ، ومتى انتشرت هذه الروح الخبيثة فى وسط قضت عليه ونزلت بأهله الى الدرك الاسفل »

« لكل ذلك نحار ونتألم لهذا الاهمال المخيف . اهمال أمر هذه خطورته وفى العناية به قطع لشأفة مصدر هذا الشقاء . نعم نحار لعدم استعمال الناس مواهبهم وعلمهم وذكاءهم فى محاربة هذا الاهمال الشنيع ، وفى السير فى تربية الاجيال المقبلة وفقاً للقوانين الطبيعية التى أوجدها الخالق تعالى . تلك المبادىء التى بمراعاتها يتمكن الوالدان والمربون من احياء عواطف المحبة والشكر والثقة التى شب عليها الطفل ، والتى لا سبيل لحفظها وانمائها فى دور انتقال الانسان من صبوته الى شبابه ، الا بالاستفادة من قوانين الطبيعة والعمل بمبادئها ، فى التوفيق بين أميال الانسان ورغائبه وايجاد حلقة اتصال بين هذه وبين غرائزه الروحية التى غرسها الخالق تعالى بيمينه . وبذلك يسيرون فى التربية باسلوب نافع مفيد يوفق بين نمو الانسان البدنى ورغائبه المادية وبين نموه الاخلاقى . فيسير نمو الجسد والروح جنباً الى جنب فينمو الانسان فى القامة والفهم والحكمة معاً أى يتوازن فى نمو الجسم والعقل والروح »

« نعم نحار ونستغرب لان الناس لا يضعون للتربية نظاماً يكفل نمو العقل والعواطف نمواً متساوياً يؤدى الى الموازنة فى قواه ، والمحافظة على عنصره الاخلاقى . ويمنعه من السقوط الادبى ومحبة الذات التى تنشأ عادة من تغلب قوة الجسم والعقل على قوة العواطف والضمير »

« نحار لانهم لا يجتهدون على الخصوص فى تغليب المبادىء على الشهوات ، والاخلاق ومحبة عمل الخير على الاغراض الشخصية والاميال الذاتية »

« وهنا نسأل . كيف الوصول الى تغليب المبادىء على الشهوات ، وحب الاحسان على الاغراض والاميال ؟ فنجد الجواب فى التركيب الطبيعى للانسان وطريق الوصول الى هذا الغرض ان نسير فى منهاج ذلك التركيب الطبيعى فنجعل أساس التربية اخضاع العنصر الجسدى الفانى الى العنصر الروحى الخالد ، وكلما نما البدن واشتد سامنا زمامه وسرنا به تحت ارشاد مبدأ سام يسير على منهاجه ويعمل على منواله »

« يرجع هذا المبدأ السامي الى قاعدتين أساسيتين لابد من ملاحظتهما حتى نصل الى الغرض المقصود »

أما القاعدة الأولى فتقضى بقلب نظام التربية الحالي الذى يسير على منهاج يناقض نظام النمو الطبيعى للانسان ، فيقدم تربية العقل على تربية العواطف ، مع ان الواجب العمل به للوصول الى نتائج نافعة وتربية صحيحة هو تقديم تربية العواطف وتهذيب القلب على انماء العقل وتقوية الفكر .

« هذا ينتقل بنا الكلام على القاعدة الثانية وهى التأمل في القانون الطبيعى الذى يخضع له الانسان فى نموه فتسير بموجبه ولا تقف فى وجهه »

« ذلك القانون الطبيعى الذى رأى الخالق تعالى أنه أحسن أسلوب يسير عليه الانسان في نموه ، هوماذكرناه تحت القاعدة الاولى من الترتيب فى النمو »

« ألا ترى أن الطفل يبدأ نموه بتمرين حواسه الخمس ، وأنه يقتضى زمناً طويلا في هذا النمو قبل أن تساعده الطبيعة على تنبهه العقلي وتمهد له سبل النمو الفكرى ؟ »

« كذلك . ألا تراه يقضي جزءاً كبيراً من عمره خاضعاً لعواطفه واحساسه

قبل تحكيم عقله ؟ . »

«وفعلا تقتضى قوانين جميع الامم على اختلاف منازعها ومشاربها بوجوب وضع الطفل فى العقد الاول من حياته تحت سلطة ووصاية والدته ؟

« ماذا بقى علي بعد كل ذلك ؟ أرانى بعد كل تلك الاعتبارات السابقة فاذا بالقوانين الطبيعية الثابتة ترجعنى الى والدتى المحبوبة ومصدر حياتى »

« أيتها الوالدة ! كما انك مصدر حياتى الجسدية فعليك وبواسطتك تدب فى قلبى أول العواطف الانسانية والفضائل الاخلاقية . وبدونك لايتسنى لي المحافظة على طهارة نفسى ومحبتى وطاعتى مهما بلغت قوتى البدنية وشوكتى في هذا العالم ! ـ أيتها الوالدة ! أرجو إذاً أن تكونى على الدوام بجانبى تنتشلنى يداك مادام لك يدان ، وتضمينى الى فؤادك مابقى لك قلب وحنان ! ! »

« وان كنت لم تعرفي للآن ماهية هذا العالم وصروفه التى يرمينى الدهر بين أنيابها ، فتعال لنتعلم معاً ما كان يجب عليك معرفته من قبل وما أنا مضطر أن أتعلمه ! »

« نعم أيتها الوالدة ! فلن أخاف وقت الخطر فى الساعة التى يسعى العالم بقواته وخلابة زخرفه أن يخطفنى من بين يديك ، ومن بين يدى خالق تعالى ! »

« ليكن قلبك حارساً على هذه الرابطة التى أوجدتها الطبيعة لمصلحتى وخيرى ، وبذلك تحفظنى من السقوط فى ذلك الوقت الحرج »

أيها الاخوان ! لم يبق لي بعد كل ذاك كلام . فلأسكتن سكوتاً طويلا عميقاً ، يخفق قلبى لاننى أشاهد الدموع تتساقط من عيونكم ! ! الوداع »

الى هنا انتهى كلام بستالوزى عن التربية الدينية . وطرق التهذيب الدينى والوسيلة التى رأى اتباعها في احياء الرابطة بين الانسان والخالق تعالى

وكلها على مايرى القراء حكم بالغة، ونقد صائب لطرق التربية التى كان يراها شائعة بين أهل وطنه فى زمانه، وأرى أن الفائدة من نقل أفكاره الى العربية وفى بلادنا المصرية لاتكون مجدية الابامعان النظر فيها وادخال مانراه منها موافقاً لروح تقاليدنا الاجتماعية الصحيحة. ولنستخلص من ذلك نظاماً يحسن أن نسير عليه فى نظام تربيتنا الاهلية ـ عائلية كانت أو مدرسية ـ لنمهد لاجيالنا المقبلة طريق النجاح والتقدم العصرى الذى نسعى للحصول عليه ليتيسر لنا أن نتبوأ مركزنا اللائق بنا بين الامم فى معترك هذه الحياة

الفصل الحادي عشر

(التعليم الدينى عندنا)

« هل يربى اخلاقاً »

اهمالنا الاخذ باسباب المدنية الصحيحة ـ مقام المرأة فى الهيئة الاجتماعية وتأثيرها فى التربية ـ نقائص نظام التربية النسائية بمصر فى الوقت الحاضر ـ مبادىء التربية الصحيحة اللازمة للمرأة المصرية ـ نقص تعليمنا الدينى ونتائجه ـ ضرر تلقين الدين كدرس مدرسى ـ الفؤاد مستودع الاخلاق والقدوة ركنها المتين ـ وجوب التربية الاخلاقية للشبان .

اهمالنا الاخذ باسباب المدنية الصحيحة

موضوع هذا الفصل هو سلسلة نتائج ، اسبابها واضحة فى المبادىء البستالوزية السامية التى فصلناها فى الفصل السابق ، ولا وسيلة لفهم النتائج فهماً صحيحاً ونقدها نقداً صائبا الا بفهم اسبابها والوقوف على حكمتها .

وسأقتصر هنا على ذكر بعض نتائج ، هى أمهات مسائل فى التربية عموماً والتربية الاخلاقية خصوصاً ، اتفق علماء التربية وفلاسفة الاجتماع انها الاساس الوحيد الذى لا قائمة لنظامنا الاجتماعى بدونها ، ولا وسيلة للسير فى سبيل الرقى والتقدم الا بالاخذ باسبابها . ولكنا بكل أسف نرى قادة الحركة الفكرية فى ديارنا يهملون بعضها اهمالا تاماً ، ولا يهتمون بالنذر الباقى منها الاهتمام الكافى لانتشارها والاستفادة بها ـ اهمالا وتهاوناً يبعدنا عن المنهاج الحق ، والسبيل السوى فى الاخذ باسباب الرقى العصرى . ويحول دون وصولنا الى أقصى ما نرمى

اليه من استقلال شخصى، ومالي، واقتصادى، واجتماعى، وسياسى ، فضللنا السبيل وسبقنا اليوم أمم كانوا بالامس وراءنا بمراحل ، لاخذهم بالاسباب الصحيحة وعدم استسلامهم لشهوات نفوسهم واهوائهم ، ففى المقارنة بين اليابان ومصر فى نصف القرن الماضى أعظم دليل وأقوى برهان

مقام المرأة فى الهيئة الاجتماعية وتأثيرها فى التربية

أهم النتائج التى نخرج بها من النظر في مبادىء بستالوزى، والتى مرت بنا فى كثير من المواقف فى الفصول السابقة ؛ والتى نقتنع بها من التأمل بعين الفكر والروية في النظام الاجتماعى فى العصر الحاضر ، بل فى كل العصور والمدنيات السابقة التى بلغت فى التاريخ شأواً يذكر ونالت من المدنية حظاً وافراً ، هو الوقوف على ما كان للمرأة من المقام السامي والتأثير العظيم فى تربية وتهذيب النوع الانسانى

فقد رأيناعند كلامنا على قانون الوراثة، أن للوالدة سلطانا يكاد يكون مطلقاً فى تكييف الجنين وهو فى دور التكوين زمن حملها . ففى استطاعتها اذا وجهت قلبها وفكرها ووجدانها ، أن تؤهله ليكون ملكا كريماً أو فيلسوفاً حكيما أو فاتحاً صنديداً . كما أن لها أن تلده ضعيف النفس ، ضعيف البدن ، منحط الاخلاق . اذا هى تركت نفسها تنحط فى المبادىء وتستسلم للاقدار ؛ وتشتغل بالسفاسف والمفاسد

وقد أبان لنا بستالوزى بايضاح تام في مانشرناه له فى الفصل السابق . أن كل الفضائل الاخلاقية التى تعلو بالانسان حتى تربطه بخالقه تعالى برباط الطاعة والمحبة والشكر والاعتماد عليه تعالى ، تنشأ عن العلاقات الطبيعية الكائنة بين الوالدة ومولودها . فهى التى تغرس فى فؤاده بذور هذه المكارم ، وبواسطتها ترقى النفس فى الفضيلة والكمال الانسانى .

من كل ذلك . نرى أنه اذا كانت الاخلاق سر نجاح وعظمة الافراد . ونمو وتقدم الامم . وامتداد شوكة الممالك وسطوتها . فان المرأة هى روح الاخلاق ، ومنبع الفضائل ، ومصدر المكارم ، ولا غرو فقد قيل : « الجنة تحت أقدام الامهات »

فلا عجب إذاً . متى رأينا الغربيين يحترمون المرأة احتراماً بعد الله ، ويضحون نفوسهم فى سبيل ارضائها والمحافظة عليها ، كما يشهدون العالم كله على ذلك في تصرفاتهم اليومية فى الحوادث الصغيرة والكبيرة . نذكر منها على سبيل المثال مافعله القوم ساعة وقوع تلك المكارثة العظمي التى ذهبت بالباخرة تيتانك نخر القوم فى البحار

فهم قوم انما عرفوا بالاستقراء والاختبار ، أن المرأة روح المدنية فاذا ارتقت وتهذبت ارتقى الوسط وتهذب المجموع . وهى رسول المبادىء فاذا تشبعت بمبدأ واقتنعت برأى انتشر المبدأ . وسار الرأى فى الهيئة الاجتماعية سيراً لايحاكيه سير أقوى التيارات الكهربائية وأسرع المجارى فى البحار ، ونقشته علي صفحات القلوب نقشاً أثبت من الحفر علي الصخور . ان قالت فعلت ، وان عزمت نفذت ، لذلك احترموها وكرموها وصرفوا فى سبيل تربيتها وتهذيبها النفس والنفيس .

وقال علماؤهم وفلاسفتهم فيها تلك الاقوال المأثورة الدالة علي مبلغ اعتقادهم فيما لها من التأثير العظيم علي الامة والوطن . حتى قال أحدهم « يكون الرجال كما يريد النساء فاذا أردتم أن يكون الرجال عظماء وفضلاء . فعلموا المرأة ماهى العظمة وما هى الفضيلة »

وقال آخر « ان التى تهز المهد بيمينها تهز العالم بيسارها »

لم يبق ريب فى أهمية تعليم المرأة وتهذيبها . ولا أغالي اذا قلت أن تربية المرأة

أهم بكثير من تربية الرجل . وخصوصاً فى ديارنا اليوم . لانه بعدم تربية المرأة فى وسطنا عدمنا أعظم الوسائط بل الواسطة الوحيدة فى سبيل تربية الرجل والامة . وأصبحت كل مجهوداتنا واتعابنا في سبيل تربية الرجل لاتتعدى تخريج شبان لم ينالوا من العلم الا محفوظات قاصرة محدودة . يكفى لمحوها وازالتها من اذهانهم مرور السنة او بعضها . ومن الاخلاق ماتراه محسوساً من الضعف فى كل أدوار حياتهم الفردية والعمومية . ومن القوة على تحصيل معاشهم ماتراه من القناعة بكسب العيش الذليل . والكفاف بسد الاحتياجات الضرورية . ولكنا بالعناية بأمر المرأة والاهتمام بتربيتها تربية كاملة صحيحة نبعث فى العائلة والامة روح الحياة الادبية الراقية . فهى التى تغرس فى قلب الرجل أسمى العواطف وأكرم الاخلاق . وهى التى تدفعه الى الاقدام على خطير الاعمال وهى التى تقوى عزمه اذا خار . وتبعث فى نفسه روح الامل اذا مال الى الزوال . وبذلك يكون لنا من ثمار غرس المرأة الفاضلة فى المستقبل جيل ينشأ على الاستقامة والهمة والاستقلال الفكرى ، والاعتماد على النفس ، والاقتصاد ، والحزم ، وتضحية المصلحة الخاصة فى سبيل المصلحة العامة .

تلك الصفات التى تبعث الحياة الصحيحة فى عروق هيئتنا الاجتماعيه وتنفخ فى قلوبنا ونفوسنا تلك الروح العالية

نقائص نظام التربية النسائية بمصر في الوقت الحاضر

تلك التربية التى ننشدها المرأة . هى ليست ماتسير عليه اليوم مدارسنا من الاقتصار على تعليم القراءة والكتابة ، ومعرفة مبادىء بعض العلوم البسيطة والاكتفاء بالاخذ بمبادىء احدى اللغات الاجنبية ، وحفظ بعض القطع الموسيقية . فان هذه مع اقتصار المدارس فيها على تعليم مالايفيد كثيراً فى موضوعها ، لاتكفل وحدها

للبنت التى نالت منها قسطاً وافراً . تلك التربية العقلية والاخلاقية التى تؤهلها للقيام بتلك الاعمال الجليلة التى أعدتها الطبيعة لعملها . فقد أثبت لنا اختبارنا فى ربع القرن الذى مر علينا ونحن تحت هذا النظام . أن تربية البنت على هذا الشكل وتحت هذا النظام . أخرها عن مجاراة الاجيال التى سبقتها فى القيام بواجباتها العائلية والمنزلية .

فبينما نرى سيدات الاجيال الماضية مع جهل أغلبهن بهذه العلوم السطحية التافهة يقمن بمراقبة الاعمال المنزلية ، ويشتغلن بها فعلا ، وان لم يكن على درجة كاملة . فعلى الاقل أفضل بكثير من بنات الجيل الحاضر اللواتى ملأت قشور التعليم الناقص عقولهن غروراً . فظنن أن الاشتغال بهذه الامور المنزلية . ومباشرة خدمة حاجات المرأة البيتية . ومراقبة الخدم . مما لا يليق بالمرأة المتعلمة . فتركت الحبل على الغارب . وانصرفت بذلك الى الزهو والترف . ومجاراة أهل الطبقة الوسطى والدنيئة لنساء الطبقة الغنية . حتى أوقعت زوجها وذويها فى الضائقة المالية . واشتغلت بحلاها وأوهامها عن العناية بتربية أولادها . فتركتهم عالة على المرضعات والخدم يفسدن أخلاقهم وأى مفسدة .

لذلك نرى أن زوجة الفلاح أحق بذلك اللقب الشريف « قرينة الرجل » « وشريكة الحياة » من السيدة المتعلمة تعليما سطحياً . لان الفلاحة تشارك زوجها فى أعماله وتشاطره فى تصرفاته وأحواله . فتخرج معه الى الحقول والمزارع . تراقب مواشيه . وتدر لبنها . وتغزل صوفها . وتضم معه محصولات أرضه

أما بنت المدن فى ديارنا المصرية فلا تعرف من زوجها . الا طوله وعرضه . ولون شاربه . وبياض وجهه . دون أن تصل الى أعماق قلبه ! وتعرف دقائق

عواطفه وتفصيلات أعماله. ليتسنى لها مشاطرته الحياة. حلوها ومرها. ومقاسمته الاحوال. نعيمها وجحيمها

لذلك يعيش كل منهما فى واد. فلا يرى الزوج من زوجة هذه حالها. شريكة له فى الحياة. لذلك يتركها وشأنها. ويعطف علي من يرى من خارج داره أنيساً رفيقاً. وصاحباً ورفيقاً. ويتطوح من هذه الخطوة الى ثانية فثالثة. تنزل به الى الفساد فالانحطاط الاخلاقى والعقلي والبدنى

مبادىء التربية الصحيحة اللازمة للمرأة المصرية

أما التربية التى نعتقد أنها تؤهل المرأة المصرية لمناظرة أفضل السيدات الغربيات عقلا وكمالا. وتساعدها علي القيام بواجباتها العائلية والاجتماعية خير قيام. وترقى بعائلاتها الى أعلي مراتب القوة والمدنية. فهى التى تهذب عواطف المرأة. وتغذى أخلاقها. وتنمى فضائل نفسها. وتعرفها ماهى واجباتها العائلية. وما هى أحسن الوسائل للقيام بها. فتتعلم كيف تدير دفة أمور منزلها من أصغر الامور وأحقرها الى أهمها وأكبرها. تعلمها كيف تجعل المنزل نظيفاً صحيحاً مرتباً ترتيباً جميلا مع الاقتصاد الممدوح وكيف تعامل الخدم. وتعاشر أهل البيت. وتحبب للزوج الحياة العائلية. وتجذب فؤاد الاولاد اليها. وتقودهم بعقل وحكمة. لتجعلهم أولاداً وبناتاً أفاضل. وبالجملة تربية تساعد المرأة علي القيام بوظيفتها الحقيقية التى هيأتها الطبيعة لها.

لهذا يجب علي المدرسة أن تعلم البنات قبل كل شىء التدبير المنزلي. مع طرف بسيط من مسك الدفاتر والاقتصاد المنزلي. وعلم الصحة وقواعد نمو الاطفال البدنية، والعقلية. والاخلاقية. ودرس غرائز الاطفال. نرى فى هذا القدر كفاية فى هذا المقام لان مجال القول هنا ليس بشأن تربية المرأة من الوجهة العقلية

والمدرسية . ولكنه قاصر على التربية الاخلاقية . وما يجب أن تكون عليه المرأة الكاملة . التى نالت قسطاً صحيحاً من التربية الحقيقية . وتأثيرها على أخلاق أولادها . وتربية الهيئة الاجتماعية . ومثل هذه المرأة الفاضلة نادر الوجود بيننا . لاننا لم نمهد السبيل لوجودها .

والنتيجه أن التربية الاخلاقية العائلية نادرة الوجود ان لم تكن معدومة عندنا

تعليمنا الدينى مناقض لقانون الطبيعة ـ اضرار ذلك

ربما استغرب بعض القراء هذا العنوان . وأنكره علينا . ظناً منه أن الدين والطبيعة ضدان لايجتمعان . وأن الاسترشاد بقوانين الطبيعة يؤدى الى انكار الدين . ولما كانت الحقيقة غير هذا . وجب علينا بيانها قبل الكلام على نقائص تربيتنا الاخلاقية الناشئة عن مخالفتنا لقواعد الطبيعة فى تعليمنا الدينى .

نظرة واحدة الى سلسلة درجات النمو الانسانى والقانون الطبيعى الذى وضعه الخالق تعالى لذلك النمو . تبطل هذا الزعم . وتقضى على هذا الاعتقاد الفاسد . لاننا متى تدبرنا الامر . وأمعنا الروية والفكر . رأينا أن أول مايظهر لدى الطفل من بوادر التنبيه هو فى حواسه . ثم يرتقى الى درجة يكون المحرك له في أعماله عواطفه . وبعد ذلك ينتقل الى الدرجة الثالثة وهى التنبيه العقلي والنمو الفكرى .

من ذلك . ندرك لاول وهلة أنه لايتسنى لنا تربية الانسان تربية أخلاقية صحيحة الا بالسير مع الطبيعة خطوة خطوة ونؤكد أن اتباع أى نظام يخالف هذا النظام الطبعى يؤدى الى اضرار وخيمة نحن واقعون تحتها . اذ لايصيب الانسان من معاندة الطبيعة الا الضرر والخذلان .

نقص تعليمنا الديني وتائجه

هذا ماجنيناه . ولانزال نجنيه من نظامنا الحالي في التعليم الدينى باثقالنا كاهل

الطفل في دور نموحواسه . وخضوعه لعواطفه بمحفوظات دينية . ومبادىء لاهوتية أو فقهية . لاتتفق مع أمياله الطبيعية . ولم تؤهله الطبيعة وهو فى هذا السن الى قبولها وفهمها . والاستفادة منها . وذلك للاسباب الآتية

ضرر تلقين الدين كدرس مدرسي

أولا اننا نضعف العاطفة الدينية التى أوجدها الخالق فى الانسان بمحاولتنا غرس بذورها فى غير أرضها

ومن الغريب . أن الانسان يتبع القواعد الطبيعية فى زرع بقوله وأشجاره . ويعرف أنه لو زرع حبة فى أرض صالحة لها . ولكن فى وقت غير مناسب . فانه لايحصل غير التعب والنصب . وضياع المال . وبوار الارض واضعافها .

لذلك تراه على الدوام يجتهد فى معرفة تلك النواميس الطبيعية ويسير بموجبها . ولكنه لايهتم بمعرفتها . ولا يسعى للسير بمقتضاها . عند بذره بذور الانسانية . وغرسه الفضائل التى بدونها ينزل الانسان الى مستوى الحيوان .

فمحاولتنا غرس الفضائل الاخلاقية والروح الدينية . بالوسائل المتبعة لدينا الآن . وهى إثقال ذاكرة الاطفال . واجهاد عقلهم بمحفوظات لايفهمونها . يترتب عليه حتما اهمال تدريب حواسهم فى الزمن المناسب لتدريبها . وبذلك تضعف هذه الحواس . وينشأ المصرى منا تنقصه دقة الالتفات . وضعف قوة الملاحظة . ووهن قوة الاستنتاج . وجمود الاحساس . وغيرها مما لامجال لتفصيله هنا . وترتب عليه أيضا . عدم تربية العواطف فى دورها الطبيعى . وبذلك تتصلب هذه العواطف وتجمد . وهذا سبب مايشاهد فينا من ضعف الاخلاق بأشكاله المختلفة . وانواعه المتباينة ـ ضعف فى المحبة ، ضعف في طلب معالي النفس وكمالاتها ، ضعف فى الاقدام ، ضعف فى الاتحاد ، ضعف في اكرام الفضيلة ومقت الرذيلة .

نعم . اننا بتعويلنا على تربية الاخلاق . وتلقين الدين لاولادنا كما نلقنهم درساً من الدروس المدرسية . نعمل على اهمال الحواس والعواطف فى طور الحياة الواجب فيه العناية بها . فنجنى ثمار هذا الاهمال بفقد الانسانية الكاملة . والاخلاق الفاضلة التى لاوسيلة لتكوينها فى فؤاد الانسان . وصيرورتها طبيعية فيه . الا باتباع نواميس الطبيعة . وغرسها فى زمن نمو الحواس والعواطف . وتدريب هذه القوى الانسانية على مجاراتها . لان الاخلاق مسألة اختبار وعمل . لامسألة فكر ونظر .

وليتنا بهذه الوسيلة المخالفة للطبيعة . نعمل على تدريب الفكر . وتهذيب العقل . ولكننا نعمل على إضعافه أيضاً . لان تكليف الطفل بأمور فوق طاقته تضعف تلك الوظيفة التى يجتهد أغبياء الاساتذة تشغيلها قسراً قبل نموها . وينشأ عن ذلك اعتياد التلميذ المصرى اجهاد الذاكرة دون المفكرة . ومتى اعتاد التلميذ وهو طفل على الحفظ دون الفهم . نمت فيه هذه العادة السيئة حتى اذا ماوصل سن التفكير والفهم . لايستطيع التحول عن تلك العادة لاعتياده عدم التفكير باستقلال واعتماده على الحفظ (الصم) دون أن يكلف نفسه عناء التفكير فى معانى مايحفظ . ونتائجه القريبة والبعيدة . وفى هذا من الاضرار مالا يخفى

نرى من هذه الاعتبارات البديهية . أن تلقين التعليم الدينى فى الكتاتيب والمدارس الابتدائية . كدرس يحفظ . وتعاليم تملأ الذاكرة والعقل . مخالف لقانون الطبيعة . ومناقض لناموس النمو الانسانى ومؤد حتما الى الاضرار الاخلاقية الكثيرة المشاهدة بيننا .

ثانياً : ان تربية الاخلاق وتنزيه النفس عن الرذائل لايأتى مطلقاً بطريق العقل وحده دون القلب وهذا ماأبناه تفصيلا فيماسبق . اذ الفرق هائل والبون

الفؤاد مستودع الاخلاق والقدوة ركنها المتين

شاسع . بين الرجل المتعلم الذى حصل على حظ وافر من العلوم والمعارف العقلية . وبين الرجل المهذب العقل . الكريم الخلق . الصحيح البدن

فالدين والاخلاق مرتبطان بالاعتقاد وهذا مترتب على الاحساس وتهذيب النفس وتربية العواطف . فمن الخطأ إذاً أن نظن أنه يتسنى لنا تربية أخلاق الناشئة بطريق يخالف هذه القاعدة الاساسية . فالطفل لايتعلم الصدق يحفظه « لاتكذب » بينما يرى والديه وأهل بيته يكذبون . ورفاقه في المدرسة يكذبون ويلاحظ على أستاذه الوعد بالمكافأة كذباً . والوعيد بالعقاب كذباً .

كذلك الحال فى المسائل الاخلاقية العويصة التى لو طرحت للجدل المنطق والمناقشات العقلية لرأينا لها من هذه النظرة وجهين بل أكثر . ولكن لايمكن أن يكون لها من الحقيقة الاوجه واحد هو الذى يصل اليه الانسان بواسطة التربية الاخلاقية الصحيحة بالقدوة الحسنة وتهذيب النفس . وتربية العواطف . وتدريب الفؤاد وتوطينه على محاربة الرذائل محاربة عملية في حياته اليومية .

فالدين والاخلاق لايأتيان للانسان الا من هذه الطريق . وعبثاً نحاول غرسهما من طريق العقل وحده . وما المتطلب من العقل وحده إكساب صاحبه أخلاقاً فاضلة . الا كالمتطلب من العين السمع . ومن الاذن البصر . ومن اليد الذوق ومن اللسان اللمس

يرى الانسان بداهة أن هذه المطالب من المستحيلات لان هذه الاعضاء لاتقوم بها . ولكننا مع ذلك نعمل على قلب هذه الحقيقة ونجهلها أو نتجاهلها عند غرس المبادىء الدينية والفضائل الاخلاقية في نفس الطفل . فنكلف الذاكرة والعقل القيام بهذا العمل ونهمل الفؤاد . مهبط الاعتقادات ومستودع الاخلاق

لهذا السبب نشأت الشكوك . وانتشر الكفر والالحاد بين المتعلمين . لان عقل الانسان مهما اتسع قاصر . ومهما قوى ضعيف . وما من انسان مهما صدقت ذاكرته . واتقدت نيران ذكائه . الا ضعيف . وجد فى الماضى . ويوجد فى الحاضر . وسيوجد فى المستقبل . من يقوى على نقض أدلته العقليه بأقوى منها . فمن الخطر الشديد أن يبنى الانسان اعتقاداته ومبادئه عن الحق والواجب والفضيلة والعدالة على العقل فقط دون الضمير والقلب . لانها تصبح مزعزعة الاركان . ضعيفة البنيان . يبنيها اليوم على سبب من الاسباب العقلية . فيأتى الغد بدليل عقلي أقوى فيهدم هذا البنيان فيضيع اعتقاده هباءاً منثوراً ، ويصبح الانسان عرضة للاخطار الادبية التى سقط فيها بمجرد الشكوك . مع أن الحق حق والفضيلة فضيلة لاتتغيران بتغير الايام ولا تختلفان باختلاف الظروف والاحوال .

ثالثاً : ان النظام المتعارف في تلقين الدروس الدينية لايربى اخلاقاً ولو استطاع المتعلمون تفهيم التلاميذ موضوع الدرس

فموضوع الدروس الدينية التى يتعلمها الاطفال عند المسلمين والمسيحيين فى ديارنا المصرية هى رواية عن حياة الانبياء والمرسلين وبعض الحوادث الدينية القديمة التى وقعت فى العصور الخالية . ويضاف اليها بعض قواعد الاصول الدينية التى هى أقرب الى الفقه منها الى تربية الاخلاق .

يكلف التلميذ حفظ هذه المسائل حفظاً وان فهمها فانما يفهمها كراوية عن حوادث سبقت . وأعمال خلت . دون أن يتبين العلاقة بينها وبين الحاضر . ودون أن يساعده المعلم على فهم المقصود منها تربية نفسه . وتهذيب خلقه . وتوطين نفسه على الفضيلة . ونهيها عن الرذيلة . وتطبيق الماضى على الحاضر

لذلك لايخرج التلميذ من فهمه لهذه الدروس الدينية الا كما يخرج من مطالعته رواية تاريخية قديمة . لاتساعده على فهم المراد منها وتطبيقها على أحوال زمانه ومكانه . واستخراج المبادىء الادبية والاخلاقية التى يجب عليه اتباعها والاعتبار بها فى حياته . والاسترشاد بها فى أعماله . ومن ذلك يجب عند القاء الدروس الدينية على الاطفال . أن يجتهد المعلم فى القائها بطريقة عملية عصرية . ويصوغها فى قالب عصرى مألوف لدى الاطفال . ويؤثر على احساسهم وعواطفهم ويطبق مبادئها وظروفها على أحوال العصر الحاضر . وظروف الطفل ووسطه . والحوادث الشائعة فى زمانه . بذلك يعمل الانسان الحكيم - ومثله بيننا أندر من الكبريت الاحمر - على تقريب الماضى الى ذهن التلميذ فيفهم الطفل مبنى الدرس ومعناه . ولا تتولد فى نفسه السآمة ، ويدرك المبادىء الدينية والاخلاقية المقصودة من هذه التعاليم ويجد بينها وبين حياته الخصوصية والعمومية . تناسباً وارتباطاً تزيد رغبته فيها وشغفه بها

أما والحالة على ماهى عليه . من تدريس الدين كعلم من العلوم . يكلف الطفل بحفظه على ظهر قلبه دون فهم المراد منه . وان فهمه فلا يدرك علاقته بالحوادث الدينية الماضية بحالته الحاضرة . وأحواله العصرية . فعبثاً نحاول الخروج من تدريسه بفائدة تهذب الاخلاق . وتغرس فى أفئدة الناشئة الفضائل التى تطبعهم على الفضيلة . وتحببها الى نفوسهم . وتنفرهم من الرذيلة . بل نظل نشاهد تلك النتائج السيئة . والاخلاق الفاسدة . التى نراها اليوم فى المتعلمين على هذه الطريقة وتحت هذا النظام

ومع اجماعنا على الشكوى من سوء حالنا . وضعف أخلاقنا . فاننا لم نجد بيننا من أوتى صدقاً فى العزيمة والنية . وشجاعة على المناداة بالحق . والتصريح

بأن مانحن فيه هو نتيجة انعدام التربية العائلية بيننا . وفساد التعليم الدينى فى مدارسنا . اللهم الا ذلك الشهم الفاضل . والمصرى النابغة . الذى كشف لنا القناع فى رسائله البليغة تحت عنوان « أسباب ونتائج » حيث قال فى احدى رسائله تحت عنوان « أصول التربية » ونحن وا أسفاه نكاد نكون مجردين عن الاحساس الدينى . الذى يودع في الشخص تلك الكمالات ويربيها . ولست أتكلم عن ابناء المدارس فقط . بل وعن طلبة العلم الذين قصروا تعلمهم على مايلق في الجامع الازهر الشريف من العلوم الدينية وما يتبعها وأمثالهم ، لان هؤلاء قد تعودوا أن يتلقوا أحكام الشريعة كعلم يجب حفظه في الذهن مهملين مع ذلك كل ماينتج توليد الاحساس الحقيق وتنميته »

« وعلى عكس ذلك نرى الاوروبيين . فانهم وان كانوا أقل من المسلمين معرفة بأمور دينهم . ولم يعتادوا الاشتغال بدراسته مثلنا ـ لكنهم على الدوام . يظهرون في أقوالهم وأعمالهم احتراماً شديداً لكل مايختص بدينهم واحترازاً عظيما عن كل مايمسه ولو أقل مساس »

« وكلهم يرونه عنوان المدنية ومنبع الآداب والوسيلة الوحيدة لتهذيب النفوس . وربما كان أقلهم اعتقاداً فى صحته أكثرهم احساساً بمحبته واحتراماً له »

هذه أقوال رجل مصرى حكيم تشف رسائله عن غيرة تامة على مصلحة وخير بلاده ، وأحوال وطنه . واخلاص تام . ومحبة كبرى لبنى وطنه . وتنم كتاباته عن عقل راجح . ونفس عالية . وعلم واسع . أبان لنا فى كلمات قليلة أن الاخلاق الفاضلة تنشأ عن تربية الاحساس الدينى .

هذه كما سلف لنا لاتتسنى الاباتباع نظام الطبيعة فى تربية احساس وعواطف الانسان من طفولته كما أوضحها لنا بستالوزى فيما سبق لنا ترجمته عنه

وجوب التربية الاخلاقية للشبان

ومما يستلفت النظر بنوع خاص فى أقوال بستالوزى تشديده فى وجوب تربية الشبان تربية أخلاقية . والاهتمام بذلك اهتماماً شديداً . مع ايضاحه سبب هذا التشدد والاهتمام . فقد أبان الخطر الذى يحدق بالشاب فى دور انتقاله فى سن المراهقة . وما يستولى على نفسه من الضعف الاخلاقى فى ذلك الطور الذى تشتد فيه قوته البدنية . فتؤثر على الفضائل الاخلاقية التى غرستها الوالدة الحكيمة فى فؤاده . وتحاول شهواته البدنية انتزاعه من يدى والدته ويد خالقه تعالى .

لكل ذلك نرى جميع الامم المتمدينة تهتم اهتماماً شديداً بأمر التربية الاخلاقية فى المدارس الثانوية والصناعية والزراعية والتجارية والعالية . التى لا يلتحق بها الطالب عادة الا فى طور الشباب ، كما تنشىء لهم النوادى الادبية الراقية كاندية اتحاد الشبان المسيحية التى سبق لنا الاشارة اليها والتى هى اليوم منتشرة فى أوروبا وأمريكا واليابان والهند والصين لتحول دون سقوطهم فى التجارب وشباك الشر . فاذا قارنا ذلك بما نحن فيه . مع مانعلمه من ضعف تربيتنا العائلية . وفساد نظام التعليم الدينى في كتاتيبنا ومدارسنا الابتدائية . رأينا أن اهمال التربية الاخلاقية في مدارسنا الثانوية . نقص فاضح يكاد يكون جريمة لا تغتفر . وزال كل عجب لما نراه من فساد أخلاق الشبيبة وخصوصاً المتعلمة منها - وعدم وجود رادع أدبى يردعهم عن سيرهم في طرق الغواية ، وعرفنا السبب في انحطاط مبادئهم وعدم ثباتها . وانحصار مطامعهم فى الامور المادية والشهوات الجسدية حتى أصبحت الطبقة المتعلمة وأرباب الحرف الادبية ، لا جامعة لافرادها ، ولا نفوذ لها اللهم الا اذا كان في سبيل تأخر البلاد ونشر المفاسد والهوس بين أبنائها .

لذلك ننادى كل من يهمه أمر ارتقاء أمتنا العزيزة أن يعمل على سد هذا النقص وتلافي هذا الضرر

نناديهم للعناية بهذا الامر الخطير ، بادخال هذا التعديل فى برنامج المدارس الثانوية والصناعية والزراعية والتجارية والعالية ، ولانتقاء اكرم الاساتذة خلقا واوسعهم صدراً ، واشرفهم مبدأ ، واعلاهم همة ، لنشر هذه الفضائل الاخلاقية والقاء هذه الدروس الاخلاقية

الفصل الثانى عشر

(نقائص تربيتنا الاخلاقية)

- وأسبابها -

نظرة عامة فى العوامل الاخلاقية بيننا - وجوب نشر مدارس روضة الاطفال - رجاء لوزارة المعارف ومجالس المديريات - فقد الجامعة القومية بيننا - أسباب فقدان الجامعة القومية - وجوب توحيد التربية الاخلاقية فى مصر - لا ارتقاء لامة دون تربية رأى عام لها .

نظرة عامة في العوامل الاخلاقية بيننا

رأينا مما سبق بالدليل القاطع والبرهان الساطع نقائص تربيتنا الاخلاقية، كما رأينا ان العائلة وهى وحدة الامة، ومدرسة الاخلاق، لم تتكون لدينا وان بنات الجيل الحاضر لا يتعلمن فن تربية الاطفال ولا يدرسن طبائع الاطفال فيعجزن عن فهم فلذة اكبادهن ومعرفة حاجات أولادهن

لذلك ينقصنا أعظم ركن وأقوى أساس لبناء الاخلاق، فبينما نرى الطفل الغربى يخرج من مدرسة العائلة مزوداً بذخيرة لا تفنى عن معرفة الواجب . والتمسك بالحق والتحلى بمكارم الاخلاق . نرى زميله المصرى على النقيض من ذلك . يخرج الى العالم وقد غرست التربية العائلية فى نفسه . اوهاماً تعجز التربية المدرسية الراقية عن ازالتها . ونشأ على خلق وعادات . قلما تستطيع المحاضرات الاخلاقية . والنصائح الادبية . والمبادىء الفلسفية على تبديلها .

وجوب نشر مدارس روضة الاطفال

لهذا اعتقد ان البلاد المصرية اليوم فى أشد حاجة الى مدارس روضة الاطفال (Kindergarten)

تلك المدارس التى تقوم بتربية الاطفال بين الثالثة والسابعة من العمر . فتقوم بغرس الفضائل الفردية والاجتماعية فى قلوب الاطفال . وتؤهلهم للدخول فى المعاهد العلمية . والكتاتيب الاولية . ومع ان الغربيين يعلمون المرأة كيف تربى مولودها . لتقوم بكل ما يساعدها على القيام بتربية ولدها تربية صحيحة . تؤهله لحياة نافعة راقية . نراهم مقبلين على نشر مدارس روضة الاطفال . بدعوى ان التربية العائلية مع كمالها، لا تكسب الاطفال الفضائل الاخلاقية والاجتماعية التى يودون تربية اطفالهم عليها . ليكونوا رجالا وسيدات يعرف كل منهما واجباته الاجتماعية . ليقوم بهذه الوجبات نحو أمته وبلاده

لهذا وسداً لنقص التربية الاخلاقية لاطفال فقراء الامة ،ترى عدد هذه المدارس فى كل أمة يبلغ المئات بل الالوف

ولعل لنا فى أمة اليابان الشرقية الناهضة قدوة حسنة ومثالا نافعاً فى هذا الباب . فقد ورد فى تقرير وزير معارف تلك الامة عن سنة ٩٠٩ المدرسية ان عدد مدارس روضة الاطفال بين أهلية وأميرية . بلغ فى تلك السنة ٤٠٥ بزيادة ١٩ مدرسة عن سنة ٩٠٨ المدرسية . وبلغ عدد المعلمين والمعلمات فى هذه المدارس ١١٥٩ بزيادة ٩٧ عن سنة ١٩٠٨ . وبلغ عدد الاطفال اللذين دخلوها ٣٥٨٣٩ بزيادة ٧٠٧ عن سنة ٩٠٨ ـ اذا علمنا ذلك وعرفنا انه لايوجد لدينا اكثر من ثلاث فرق لروضة الاطفال فى طول البلاد وعرضها . رأينا البون الشاسع بيننا وبين غيرنا من الامم . وأسفنا كل الأسف لتأخرنا الشديد فى هذا المضمار . أسفاً يزيدنا ألماً لاننا وحالة عائلاتنا كما نعلم من الجهل بفن التربية . وفقر التربية العائلية مدقعاً كما

يدركه كل عاقل لبيب . لأدركنا أن احتياجنا لمعاهد الاطفال يوازى عشرة اضعاف غيرنا من الامم الحية . التى ارتقت فيها المرأة الى درجة تؤهلها للقيام بواجباتها نحو اولادها خير قيام .

نعم . انه مع تقصير المدارس عندنا عن القيام بهذا الواجب . وجهل المتخرجات منها بهذه العلوم والمعارف الضرورية لكل والدة ومعلمة . لا ننتظر من أمهات اليوم والمستقبل القريب القيام بتربية الاطفال التربية الصحيحة المطلوبة . ولو تحقق أملنا وسمع نداؤنا اليوم . وقامت مدارس البنات من السنة المدرسية المقبلة بتدريس هذه العلوم . فان ثمارها لن تجنى قبل زمن لا يصح ان ننام فيه .

لذلك يجب المبادرة قبل كل شيء فى هذه الفترة التى قد تطول سنيها وتمتد اعوامها . للسعى فى انشاء مدارس روضة الاطفال . فانها الوسيلة الوحيدة لتلافى وتخفيف نقص التربية العائلية التى نشكوا جميعاً منها

رجاء لوزارة المعارف ومجالس المديريات

ولهذا أكرر النداء لقادة الامة وزعمائها ، أن يلفتوا عنايتهم لهذا الامر الخطير . وأرجو حضرات أعضاء مجالس المديريات عموماً ولجانها العلمية خصوصاً . أن يخصصوا جزءاً غير يسير من ميزانية هذه المجالس في هذا السبيل النافع . ولعل أكبر خدمة تقوم بها هذه المجالس ، أن تجمع كلمتها على انتداب وفد من نابغى هذه الامة لدرس هذا الموضوع حق الدرس . والوقوف على نظاماته وطرق تدريسه في الامم التى نجح فيها نجاحاً باهراً . كالمانيا . وأمريكا . والتدبر فى تذليل المصاعب التى تحول دون انتشار هذه المعاهد النافعة بيننا . وخصوصاً فيما يتعلق بالمدرسات والمدرسين . ونشر تقرير واف عن ذلك فى طول البلاد وعرضها . ليكون مرشداً نافعاً ومحركا لهمم الافراد والجمعيات للعمل على تأسيس هذه المعاهد

الاولية الضرورية فى عصرنا الحاضر .

رأينا أيضاً أن التعليم الدينى فى كتاتيبنا ومدارسنا الابتدائية لايربى أخلاقاً وأن التلميذ لايستفيد من الدروس الدينية التى تلقى عليه بطرق عقيمة لايفهمها . وإن فهمها فلا يدرك منها مايربى فى نفسه خلقاً كريماً ونفساً عالية تترفع عن الدنايا ، ومطبوعة على حميد الفعال وشريف الاعمال .

رأينا أيضاً أن الشاب المصرى مع تعرضه فى طور الشباب الى اخطار أدبية عديدة . ومع انحطاط البيئة التى يعيش فيها فى الاخلاقيات، تهمل تربيته الاخلاقية فى مدارسنا الثانوية اهمالا مخجلا . كأن هذه المدارس تجهل أو تتجاهل وجود نفس له يجب على القائمين بالتربية العناية بها وتهذيبها

رأينا أيضاً أن المجتمع الذى يخرج اليه الشاب بعد زمن تحصيله لايشجع على فضيلة . ولا ينهى عن رذيلة . بل قد رأيناه مملوءاً بالسموم الاخلاقية والمفاسد الفردية والاجتماعية . لافرق فى ذلك بين الطبقات العالية أو الدنية . المتعلمة أو الجاهلة وقد وصل عدم الشعور لدى مجتمعنا بهذه النقائص الى حد تموت فيه الوسائط التى يأتيها بعض كرام الاخلاق من الوطنيين أو الاجانب لايجاد ملاجىء أدبية . وأندية راقية تحفظ الشبان من السقوط في مهاوى الرذيلة . لانها لاتصادف تشجيعاً من رجال الاموال ولا من رجال الاعمال ولا من المشتغلين بالامور العمومية . ولا من الشبان أنفسهم التى وجدت هذه الاندية لنصرتهم وخدمتهم وجمع كلمتهم .

فقد الجامعة القومية بيننا

يضاف الى هذه النقائص مانشاهده عياناً كل يوم من التباين في الاخلاق بين الشبان المتعلمين . والاختلاف فى الاذواق، والتنافر في المقاصد والمشارب، حتى ليخال للاجنبى أن المصريين اليوم ليسوا من دم واحد وشعب واحد .

لاأريد بذلك القضاء على استقلال الرأى وحرية الفكر . لانهما ثمار الحرية الصحيحة والتربية الحقة . ولكننى أقصد أن ألفت الانظار بأن اهمالنا التربية الاخلاقية . وعدم عناية الوالدين بها وصل الى حد من التفريط أدى الى اختلافنا وتنافرنا فى أمور كان يجب أن تكون من المبادىء الاساسية التى لا يجوز لمصرى أن يخالف مصرياً آخر فيها لانها من البدهيات القومية التى لاتقبل المناقشة ولا تحتمل الجدل

أسباب فقدان الجامعة القومية

نشأ ذلك الخلاف من نقص تربيتنا الاخلاقية واختلاف نظامات التعليم فى مدارسنا ومقاصد مؤسسيها من انشائها

نرى لمدارس الجمعيات المختلفة . والارساليات المتعددة . مقاصد أو أغراض تختلف عن مقاصد وأغراض الاخرى . فتختلف لذلك وجهة التعليم والتربية فى مدارس كل منها . فكانت النتيجة مانراه من اختلاف مبادىء وأغراض ومشارب المتخرجين من مدارس كل منها عن الآخرين لهذه الجمعية غرض سياسى . ولتلك مقاصد دينية هذه تسير على نظام غربى لارابطة بينه وبين حالاتنا الشرقية . ولاجامعة بينه وبين أماننا القومية . وتلك تسير على أسلوب عتيق انقضى زمانه ودالت دولته . وزالت عصوره

لذلك نرى البون شاسعاً فى الاخلاق . والمبادىء . والمشارب . والافكار . والنظر لامورهذه الحياة . بين عالم فى الفقه الاسلامي تخرج من الازهر الشريف والمعاهد الدينية . وبين طالب متخرج من احدى المدارس العالية .

تربى أولهما التربية التى نشأ عليها علماء القرون الوسطى . وقضى عمره دون أن يطلع على مافطعه العالم من التقدم فى العلوم والمعارف فى القرون الماضية فكأنه يكاد

ولا صلة عقلية بينه و بين مدنية العصر الحاضر . واتجاه أفكار أبنائه .

يقضى أيامه ولياليه داخل ذلك المعهد العلمي الجليل الذى حافظ على كيانه ومعظم مواد دروسه من يوم تأسيسه الى يومنا هذا . ودافع وناضل وعارض فى ادخال أى درس من الدروس العصرية والعلوم الحديثة . فكأن طالب الازهر والحالة هذه من أبناء تلك القرون السالفة . اللهم الا ما يسمعه ويقرأه أحياناً في بعض الجرائد اليومية والمجلات الدورية من أفكار جديدة لايقبلها . وقلما يؤمن بها . مع تعلمه ما أدخل حديثاً من بعض العلوم العصرية بدرجة ضئيلة لاتتناسب مع درجة التوسع والتبحر في العلوم الفقهية الاصلية

كذلك نرى فرقاً محسوساً بين شاب تربى فى مدارس الارسالية الامريكية. أوالفرنساوية . أوالالمانية . أو الانكليزية

هذا ينشأ ولا فخر له الا فى المدنية الاميريكية والنظام الامريكى والحياة الامريكية . حتى تأمرك أكثر من الامريكان أنفسهم . وذاك ينمو ولا اعجاب له الا بالثورة الفرنسية . وابطالها ومبادئها . والجمهورية الفرنسية ورجالها . والآداب الفرنسية وكتابها . وشعرائها . وذلك يرى أن انكلترا أم العالم . ومهد الحرية . وسيدة العالمين . والآخر يرى أن المانيا أمة المستقبل . معهد العلوم . ومهبط المعارف . وعنوان القوة .

أما مصر . وآأسفاه . فضائعة من أفكار بنيها . وهم . هم موضوع آمالها لايرى أحدهم لها عليه فضلا . ولا يذكر لها تاريخا . ولا يعرف لها رجالا . ولا يذكر لها علماء

لذلك لايشعر أحدهم بواجب عليه لها تطالبه به . ولا يسعى أحدهم لمصلحتها المجردة عن كل صبغة أخرى . أو يبذل النفس والنفيس فى سبيل أبنائها . مدركا

أنهم وهواخوان وأعضاء جسم واحد . مايؤلم أحدهم يضر الآخر . وما ينفع الواحد يستفيد منه الآخر

لذلك نرى المشتغلين بالسياسة منا . لايجعلون أساس ايمانهم الداخلي وقاعدة أعمالهم . مصر للمصريين . بأموال المصريين . ومجهودات ومساعى المصريين . مجردين أنفسهم من كل المطامع الشخصية والشهوات الذاتية

وجوب توحيد التربية الاخلاقية فى مصر

مسكينة يامصر ومساكين أيها المصريين ! فالعتب ليس عليها ولاعلى أبنائها بل على نظامات التربيـة المتباينة وأساليب تعاليمها المختلفة . فلا عيب على العالم الازهرى . أوالمتخرج من المدارس العالية أو المتحيز لامريكا . أو المتشيع لفرنسا أو المحتمي بانجلترا . لان كلا منهم نتيجة طبيعية لنظام تربيته . وأسـلوب تعليمه . والانسان ابن تربيته . وثمرة تعليمه . ولا يمكن أن يقال ان ذلك ناشىء عن ضعفنا السياسى . وضياع استقلالنا . لان نظرة واحدة الى سير السـياسة العثمانية بعد اعلان الدستور ترينا أن تلك الدولة المستقلة سارت فى سياستها يوماً تحت أجنحة النسر الالمانى وآخر تحت سطوة الاسد البريطانى تبعاً لمناهج تربية صدورها العظام وقواد السياسة، فان كانت تربيته المانية ساد النفوذ الالمانى. وان كانت انجليزية ساد النفوذ الانجليزى

لارتقاء لامة دون تربية رأي عام لها بتوحيد نظام التربيـة الاخلاقية

هذا هو داؤنا الاجتماعى الدفين الذى ينخر كالسوس فى اعظام أمتنا . ويعمل كالمعاول فى بناء نظاماتنا ونهضتنا . ويؤدي بفشل كل مشروعاتنا . رآه فينا الافغانى من اكثر من ثلث قرن فقال فينا كلمته المشهورة (اتفق المصريون على ان لا يتفقوا) ولا زالت هذه الحكمة تصدق علينا اليوم كما كانت بالامس . رغماً عن بوادر الاتحاد التى ابتهج بها فؤادنا فى السنتين الاخيرتين . ولـكن مالبثنا

ان رأينا أسباب الخلاف على مسائل فرعية تنسينا قضية الوطن المقدس فدسناها تحت اقدام الانقسام .

سبب هذا الداء على ما أسلفنا . راجع الى نظام تعليمنا وتربيتنا . ومع اننا نشعر بوجوده . ونعترف به سراً وجهراً . ونمسك الاضرار الناجمة عنه ملموسة باليد . فاننا لم نكلف انفسنا عناء التنقيب والبحث لمعرفة اسبابه والعمل على ازالته واستئصاله من جذوره . ليتيسر لنا القضاء عليه واستئصاله .

اما دواؤنا . فهو ايجاد نظام عام للتربية الاخلاقية . تنشأ عليه جميع افراد الامة ونابتة أجيالها المستقبلة . على عقيدة واحدة فى الوطنية وشؤوننا الاجتماعية ونظاماتنا الاقتصادية .

على أن النقص لا ينحصر فى معائب ما يوجد من النظامات . بل يتعدى الى حرمان البلاد من نظامات نافعة . وأساليب مفيدة . ولذا نرى الامم الحية تسعى فى السير مع الزمان والتقدم مع الايام .

دائرة الاصلاح فيها فى حركة دائمة . تتحرك بأمرين . وتخضع فى ذلك كله لمبدأين . الاول اصلاح الموجود والثانى ايجاد المعدوم واكمال الناقص

***

مما وصل اليه علماء الغرب من المبادىء الاجتماعية . والعمرانية . التى اصبحت لديهم من البدهيات . فعملوا بها فى تربية النابتة . وعول أغلب الامم المتمدينة على ادخالها على نظام التربية عندهم المبادىء الآتية

أولا - وجوب القاء دروس اخلاقية فى التربية المدنية.

اقتنع علماء الغرب وزعماء رؤساء الكنائس أن تغير النظام الاجتماعى الذى

أصبح للفرد فيه. صوت فى أمور بلاده. وحرية كبرى فى أعماله الفردية والاجتماعية يوجب على الهيئة الاجتماعية أن تغذى عقله وروحه بالتربية التى تساعده على ادراك هذه الحقوق الاجتماعية والسياسية . التى نتمتع بها اليوم . وتؤهله للقيام بالواجبات الاجتماعية والوطنية . المفروضة عليه تلقاء هذه الحقوق . فقرروا تدريسه بالمدارس الابتدائية والثانوية وغيرها وأدخلوه فى برامج التدريس تحت عنوان التربية المدنية « Civic Education » لانهم اقتنعوا أن الدين مهما كان فيه من القواعد العامة التى تساعده على ادراك هذه الحقوق . والقيام بهذه الواجبات . فان هذه ليست موضوع الدين وغرضه لانه يتعلق بمآل الانسان وآخرته . وبعلاقة النفس مع خالقها . لا بعلاقة الانسان مع حكومته . كما رأوا بالاختبار أنه مهما اجتهد المجتهدون فى تأويل نصوص الدين المتعلقة بهذا الموضوع. فانهم لا يستطيعون ايفاء الموضوع حقه من البيان الوافى . الكامل لكل ايضاح يشفى الغليل . ويوقف التلميذ على كل ما يجب عليه معرفته . للقيام بواجباته الاجتماعية ويؤهله للقيام بها

* * *

كان من نتائج هذا البحث . وذلك الاقتناع العام . اتفاق أهل العلم وأرباب الدين على وجوب تدريس دروس أخلاقية اصطلحوا عليها . بالتهذيب المدنى . يتعلم منها التلميذ . ماهو الوطن . ومن هو الوطنى الحقيق . وما هى واجبات الانسان نحو بنى جنسه . ونحو الانسانية عموماً . وما هو معنى الانتخاب . وما هى حقوق المنتخب (بكسر الخاء) وما هى واجباته . وما هى واجبات النائب المنتخب (بفتح الخاء) وما هى واجباته . وما هو تعريف الامة الى غير ذلك من المواضيع الاخلاقية الراقية التي سنأتى على ذكرها تفصيلا فى الفصول التالية

* * *

ثانيا - وجوب القاء دروس اخلاقية فى الاعتدال والعلاقات بين الجنسين

كذلك لاحظ العلماء . أن سقوط الشبان في مفاسد الشبيبة . وتورطهم فى الشر والنجاسة . ناشىء عن جهلهم بالقواعد الفسيولوجية . وتركيب الانسان البدنى وحاجاته . وعن عدم ادراكهم للنتائج المرة التى تقع على من يتركون لانفسهم العنان فى هذه المفاسد . فقامت فى أميركا (بناء على دعوة رئيس احدى الجامعات) حركة قوية انتهت بتقرير درس اخلاقى جديد يلقى على الشبان والشابات في هذا الموضوع سموه بالمسألة الجنسية أى المتعلقة بعلاقة الجنسين . ونشأ عن تدريسها نتائج جليلة فى نشر العفاف . ومحاربة الشبان والشابات للرذيلة والنجاسة على اختلاف أنواعها وأشكالها . بناء على اقتناعهم الخاص باضرارها ونتائجها القريبة والبعيدة . وأصبح من المقرر عندهم اليوم أن أفضل طرق وقاية الانسان من الفساد وأقوى سلاح لرد الخطر عنه هو تعليمه خطر الفساد الجنسى . وأعراضه . وأسبابه . ونتائجه وعلم الامريكان بالاختبار أن تطبيق هذه القاعدة على العلاقات الجنسية وعن سوء نتائج النجاسة . أتى بفوائد جليلة وكان أعظم عون لتحبيب الطهارة الى الشبان والشابات

ثالثاً - وجوب القاء دروس اخلاقية فى الاقتصاد

كذلك رأوا أن المسألة الاقتصادية هى مسألة اخلاقية . أكثر منها علمية أو سياسية . فايجاد روح الاقتصاد لدى أفراد أمة من الامم . وانتشال أى بلد من الضائقات المالية والازمات الاقتصادية . ليست مسألة قوانين وتشريع فقط بل هى مسألة آداب واخلاق أيضاً . وأن خير ماتفعله حكومة نحو الامة . وخير مايقوم به قواد أمة نحو مواطنيهم . هو أن يغرسوا فى اذهان الاطفال من صغرهم

دروساً اخلاقية في قيمة المال . وطرق استعماله واستثماره . وصرفه في الطرق المشروعة النافعة للوطن وبنيه فيتشبع نفس الطفل بهذه الروح الاقتصادية ويعينونه على اخراج هذه الافكار الى حيز العمل بايجاد جمعيات اقتصادية في المدارس . يديرها الطلبة تحت رئاسة أحد الاساتذة ، لتشجيعهم على الاقتصاد من مصروفاتهم الشخصية ، وايداع المقتصد في صندوق تحت ادارة الطلبة أنفسهم ، ينفقون من مجموعه في مشروعات نافعة بعد الاقرار عليها من لجنة ادارة الجمعية، كشراء كتب مفيدة ، أو ايجاد مكتبة نافعة لفرقتهم ، أو مساعدة فقير بينهم أخنى عليه الزمان ، أو للسياحة في أوقات الاجازات المدرسية

لذلك ينشأ الاطفال من نعومة أظفارهم على الاقتصاد ، ويتدربون على ادارة أموالهم المقتصدة ، ويدركون قيمة النقابات ، ويتعلمون طرق ادارتها ، وسبل نجاحها ، فمتى خرجوا الى ميدان العمل نجحوا نجاحاً باهراً في أعمالهم وأثرى الكثيرون منهم

لانقول ذلك انتقاداً لخطة حكومتنا السنية في ماسنته أخيراً من القوانين لوقاية الفلاح وحمايته من الفقر ، ولكننا أوردنا هذا الموضوع هنا لانه حلقة مهمة من حلقات التربية الاخلاقية ، سنرجع الى ايفائها حقها من التفصيل فيما يلي ، لاننا واثقون تمام الثقة أن الوقاية خير من العلاج ، وخير وقاية للانسان في هذا الموضوع أن نسلحه بسلاح الاقتصاد ، لا أن نحول بينه وبين حرية الاتجار ، ونضرب حوله سياجاً من الموانع القانونية ، فيبيت العامل والزارع والصانع مكتوفاً ، ان مد يده الى أرباب الاموال ، فقلما يجد من يسمع لندائه ، أو يصغى لرجائه ، لان أمواله التي جعلت ضمانة طبيعية له أصبحت محبوسة ، فيضطر وهو ضعيف النفس ، أن يتجرد من أملاكه دفعة واحدة ، فتعجز القوانين في مثل

هذه الظروف عن حمايته ، مع انه لو تسلح بسلاح الاقتصاد الشخصى ، لكان لنفسه واقياً ، ولاصبح عوناً للتاجر والمالي على رواج الاسواق المالية ونشاط الحركة التجارية

لكل هذا أعتقد وجوب التربية الاقتصادية فى الكتاتيب والمدارس وأن نشر صناديق التوفير فى المدن والقرى ، أنفع بكثير من القوانين ، والا فالفلاح المصرى لامشاحة نازل الى الفقر ، لايدفعه عنه قانون ، ولا يبعده عنه تشريع ، لان مالحقه من الضائقات المالية ، لم يكن أهم باعث له فى الحقيقة والواقع طمع المرابين بل جهل الفلاح بأبسط المبادىء الاقتصادية ، وقصر نظره الى حد لايتدبر معه طريق استثمار الاموال التى يقترضها وعمل حساب ردها ، فالمرابى على مايرى حضرات القراء لم يدفع الفلاح على الاقتراض ، ولم يشجعه على الاسراف وتبذير الاموال ولكنه استفاد من جهله وتبذيره

أما والفلاح يقترض باليمين ليبذر باليسار ، فى حاجات وهمية ، ومصاريف غير شرعية ، مع عدم كفاية دخله لمصاريفه الاعتيادية فحال عليه دفع مااقترضه ولو استدان بدون فائدة على الاطلاق ؛ والا لما عجز الفلاح الصغير عن دفع أقساط البنك الزراعى الزهيدة ، ولما توقف المزارع الكبير عن وفاء الاقساط المستحقة عليه للبنوك العقارية ، وكلنا يعلم أن هذه البنوك تقرض الاموال بفوائد معتدلة

نقف عند هذا الحد من بيان عيوب نظام التربية الاخلاقية الموجودة بيننا . والنظامات النافعة التى تنقصنا . وموعدنا الفصول التالية لاستخلاص نظام قاض على هذه العيوب . شامل لكل ماينقصنا من النظامات التى ينفعنا الاخذ بها .

الفصل الثالث عشر

(نظامات التربية الاخلاقية)

« لدى الامم الاجنبية »

نظرة عامة في النظام المصرى ونتائجه ـ لمصر في الولايات المتحـدة الاميريكية والدولة اليابانية عظة وذكرى ـ المذاهب المختلفة في نظام التربية الاخلاقية

نظرة عامة فى النظام المصري ونتائجه

لعل حضرات القراء الذين تتبعوا مطالعة الفصول السابقة وخصوصاً الثلاثة الاخيرة منها متفقون معى على النتائج الآتية :

أولا : ان نظام التعليم الدينى الشائع في المدارس المصرية لايربى أخلاقاً

ثانياً : ان التربية الاخلاقية الصحيحة معدومة بيننا

ثالثاً : ان ضعفنا فى كل أمور حياتنا الفردية والاجتماعية راجع الى ضعف تربيتنا الاخلاقية

لذلك أرى أن أهم واجب على كل مصرى محب لبلاده هو أن يصل ليله بنهاره سعياً فى سبيل خدمتها وارتقائها وتقدمها . مدركا أن خير خدمة يقدمها لوطنه هو بناء مجده من الاساس الى السماك الاعزل ، لامن الجو الى الارض ، وذلك بالسعى فى وضع نظام لافضل طرق التربية الاخلاقية التى تلائم بيئتنا المصرية ، وتوافق تقاليدنا القومية الممدوحة ، وتضم ماتبقى من شتات قوتنا ، لننطلق بعد ذلك الى

الامام كشعب واحد ، من دم واحد ، ننطق كلنا بلسان واحد ، قائلين هلم بنى مصر لاسترداد مجد أمتنا وارجاع الحياة الصحيحة الى وطننا ، هلم لنعمل يداً واحدة بسكون ، وتعقل ، ورصانة ، وثبات ، حتى نصل الى مانروم ، وكل من سار على الدرب وصل ،

مالاحظت بعين الحزن والألم ذلك الاختلاف بين أبناء مصر على لاشيء ؛ وذلك التنافر المؤلم ، والمناقشات العنيفة ؛ على أمور ثانوية مشتغلين بذلك العرض عن الامور الجوهرية الحيوية ، والاعمال الهامة التى فى أيديهم تحقيقها دون معارض أو منازع ، الا وقلت سبحانك الله ! أمة بنوها من دم واحد ، وجنس واحد ، قضوا ألوف السنوات يتقاسمون السراء والضراء ، يتنافرون ويتباغضون ، وبعضهم على بعض رقيب ؛ بينما نرى في جوانب هذه الارض من الامم والممالك أفرادها كاستواء المشط فى الاسنان على وفاق تام فى المبادىء العامة ، واتحاد لاتزعزعه المصالح الشخصية ؛ متى قامت أمامهم مصلحة المجموع ، وشرف الوطن ، وارتقائه ، زالت من اذهانهم تلك المصالح الفردية ، والفوارق الحزبية ؛ واختفت الخلافات بين الاحزاب ؛ وأصبح الجميع ينظرون الى أمر واحد ، دون غيره ، هو المصلحة العامة لا الخاصة ، وشرف الوطن دون المجد الشخصى ؛ والمنفعة الذاتية ؛ مع أنهم خليط ، أصلهم من أمم مختلفة ؛ وشعوب متباينة ، ولغات متعددة ؛ ومذاهب دينية واجتماعية متغايرة

لمصر فى الولايات المتحدة الامريكية والدولة اليابانية عظة وذكرى

نعم يجب أن يكون لنا نحن المصريين فى مثل الامة اليابانية أو جمهورية الولايات المتحدة الامريكية ، عظة وذكرى ، توجب علينا درسها درساً دقيقاً ، ليتسنى لنا معرفة ذلك السر العجيب ، الذى يكاد لغير المتأمل أن يكون سحراً غريباً

نرى تلك الجمهورية الامريكية الكبيرة تبتلع كل الاجناس المختلفه والامم المتباينة . وتجعل من هذا الخليط الغريب أمة قوية متحدة منيعة الجانب

يزيد اعجابنا بالجمهورية الامريكية الكبيرة متى قارناها بمصر ، فمع اننا أمة واحدة ؛ من دم واحد ؛ وجنس واحد ، ترانا على مانحن عليه من ضعف الرابطة ، ووهن الوحدة القومية ، فضلا عما يبدو في سماء وطننا العزيز من وقت لآخر من غيوم التنافر ، والتباغض ، مما يجزع له قلب كل محب لبلاده ، راغب فى تقدمها ، متشوف أن يراها آخذة بأسرار تقدم الامم ، لابتلك الظواهر الخارجية الكاذبة ، التى تمتص قوة الممالك ، وتنخر كالسوس فى جسم أقوى الامم

ترى فى تلك الجمهورية الغريبة العظيمة المهاجرين من جميع الاجناس واللغات ، والمذاهب الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية ، لايلبثون بها سنوات معدودات حتى يكونوا جماعة واحدة ؛ لهم جنس واحد هو الجنسية الامريكية ، ومذهب واحد هو الوحدة الامريكية ، وغرض واحد هو العمل لاعلاء شأن حكومتهم الحديثة ، ووطنهم الجديد ، وسياسة واحدة هى الاخلاص لعلم الجمهورية الامريكية ولا يمضى جيل واحد أو بضع جيل حتى يكون لاغلبهم ولجميع أبنائهم لسان واحد هو اللسان الانجليزى بلهجته الامريكية ، هذا هو حال الروسى السلافى ؛ واليونانى الاغريقى ، والايطالي ، والاسبانى ، والفرنسى ، والالمانى ، والانجليزى ، والاسيوى اليابانى ، أو الصينى ، أوالهندى ، أوالسورى ؛ كل هؤلاء الاجناس المختلفة مع تعدد لغاتهم ، وتباين أجناسهم ، وتباعد أوطانهم ، وتنافر عاداتهم ؛ واختلاف أديانهم ومذاهبهم ، تراهم فى الولايات المتحدة الامريكية شعباً واحداً ، ومذهباً واحداً ، لاتسمع في جو تلك البلاد بينهم أدنى خلاف ناشيء عن اختلاف فى الدين ، أو اللغة أو الاصل .

حقاً اننا فى مصر محتاجون لاخذ درس عن تلك الجمهورية الغريبة ، فما هو ذلك السر العجيب ؟ السر هو في نظام التربية الامريكية ؛ فالولايات المتحدة الامريكية كما هو معروف ، مركبة من عدة ولايات ؛ كل ولاية منها مستقلة فى ادارتها الداخلية ! ! كانها دولة مستقلة ، داخل هذا النظام الكبير ، ولكن يجمع جميع هذه الولايات المستقلة مبادىء عامة تسرى اليها وتتشعب فى ذلك الجسم الكبير من الحكومة الرئيسية فى واشنجتن Washing ton عاصمة الجمهورية

من تلك المبادىء العامة والقواعد الاساسية مايتعلمه كل طفل فى البلاد مهما كان أصله ، أوجنسه ، أودينه ، أولونه ، فى المدارس العامة من الاخلاص لعلم الجمهورية الذى يظلهم جميعاً ، ويحميهم جميعاً على السواء ، يتقاسمون خيرات البلاد على السواء ، كما أن التعليم الابتدائى لغاية سن الرابعة عشرة اجبارياً ومجانياً للجميع على السواء والحرية الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية ، ملك للجميع على السواء ، لذلك لايدخل قلب أحدهم غل أو حقد على حكومته ، ولا ينشأ في فؤاد واحد منهم غيرة أو حسداً نحو الآخر .

وهذا هو الحال فى الامة اليابانية . يتمتعون بحريتهم . واموالهم . وفى جميع مرافق الحياة العامة والخاصة على السواء . دون نظر الى مذاهبهم . واديانهم ، نرى دين العائلة المالكة هو دين الاقلية ومع ذلك فالامة التى يدين السواد الاعظم منها بدين آخر ، تحترم الامبراطور الى درجة التقديس [1] كذلك نرى المتنصرين من اليابانيين يرتقون الى أعلا المراتب السياسية والادارية والعسكرية دون ان يخطر

---

(١) السواد الاعظم من اليابانيين يدين بالدين البوذى والاقلية (ومنها العائلة المالكة) تدين بدين الشينتو Shintuism وقد دخل النصرانية من اليابانيين فى آخر القرن الماضى واوائل القرن الحاضر مايبلغ نحو المليون نسمة

بفكر واحد ان دينهم الجديد مانع لهم دون وصولهم الى هذه المراتب . وانتفاع وطنهم بمواهبهم . ولقد ذكرنا فيما مضى ما جادت به العائلة المالكة وأساطين السياسة والمال فى اليابان لجمعية اتحاد الشبان المسيحيين ، وما صادفته هذه الجمعيات من تعضيد الامبراطور والامبراطورة وكبار اليابانيين ،لما كان لها من القدح المعلى فى تهذيب اخلاق الشبان وحفظ افراد الجيش من الاندفاع فى المفاسد التى يندفع اليها المتحاربون عادة

وسنرى فيما يجىء ان السر فى كل هذا التقدم، وسعة الصدر، والتسامح،عند اليابانيين هو فى نظام التربية الاخلاقية الذى اتبعوه وساروا على منهاجه

المذاهب المختلفة فى نظام التربية الاخلاقية

لذلك نرى قبل بيان ما نظنه أحسن النظامات للتربية الاخلاقية فى ديارنا المصرية ان نبدأ ببيان النظامات المتبعة فى ذلك لدى الامم المختلفة حتى يمكن للقارئ بعد ذلك ان يحكم بنفسه فيما يوافقنا فنتبعه ومالا يوافقنا فننبذه

والامم فى هذا الصدد كالافراد، لها مذاهب مختلفة تنحصر فى ثلاثة مذاهب أساسية ـ المذهب الاول ـ واصحابه يرون ان الدين هو الوسيلة الوحيدة للتربية الاخلاقية ـ المذهب الثانى ـ واصحابه يرون ان تدريس علم الاخلاق كعلم مستقل، عن التعليم الدينى هو الوسيلة المثلى ـ والمذهب الثالث ـ واصحابه يرون ان الجمع بين الامرين ضرورى جداً لتربية الانسان على الفضيلة الاخلاقية القويمة

الفصل الرابع عشر

(مذهب التربية الاخلاقية)

« بواسطة التعليم الديني »

الانسان حيوان متدين ـ نظام التربية الدينية في المانيا ـ نظام التعليم الديني لطلبة المذاهب والاديان المختلفة بألمانيا ـ بروجرام التعليم الديني في المدارس الابتدائية الالمانية ـ برنامج التعليم الديني في المدارس التجهيزية الالمانية ـ محاسن وسيئات التدريس الديني على هذه الطريقة ـ انتقادات كبار الالمان والانجليز ـ رأى مصرى كبير في نظام التعليم الديني في مصر

الانسان حيوان متدين :

الانتفاع بالدين لاصلاح الاخلاق أمر شائع من أقدم الازمان لدى جميع الامم القديمة، وما زال كذلك لدى أغلب الامم فى عصرنا الحاضر حتى ضربت الامثال فى ذلك فقالوا «الانسان حيوان متدين» أى انه لا يعيش بلا دين، فان لم يرسل الله لامة نبياً ومرشداً اخترع كبار العقول فى تلك الامة ديناً يتخذونه واسطة لكبح جماح الشر الذى طبع عليه الانسان، ويستعملونه وسيلة لاصلاح النفوس، وآلة فى سبيل نشر مبادئهم السياسية والاجتماعية

لذلك نرى جميع الامم القديمة على اختلاف مدنياتها، تدين بدين ما من الاديان الكتابية أو الوثنية التي اخترعها الكهنة أو الفلاسفة : وفى الواقع إن الانسان بما

طبع عليه من الشر والفساد، وما ركب عليه جسمه من الميل الى ماديات هذه الحياة والاندفاع في تيارها ، وخضوع عقله الانساني لمظاهر الحياة الدنيا وزخرفها لا تستطيع التغلب على تلك الطبيعة الانسانية والجسدية والارتفاع بنفسه الخالدة فوق مستوى هذه الماديات، الا بالوسائط الدينية بما فيها من الزواجر والنواهي عن الشر وما يصيب النفس الشريرة من العقاب الاليم وما تسمو اليه النفس الصالحة من سعادة الدارين ونعيم الحالتين .

لذلك نرى جميع الاديان الالهية والوثنية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حتى قيل «الدين المعاملة»، وما عدا ذلك من الاوامر الدينية زجر عن الشر وبيان عواقبه، وتشجيع على الخير وبيان ثماره الحلوة والجزاء الحسن لمن اتصف به ، ومن ذلك يرقى المتشرع الديني الى أعلى درجات الاختبارات الروحية فيرفع النفس الانسانية الى أسمى درجات الكمال الانساني ببيان علاقة النفس الانسانية بالله تعالى خالق الكون، وموجد تلك النفس، ويفتح أمامها أبواب النمو في الاخلاق ، والسمو في الكمال حتى تدنو الى درجة الارتباط بخالقها تعالى ، وهذا بلا شك أسمى ما تطمح نفس الانسان الوصول اليه ، ومتى تشبعت النفس بذلك الاعتقاد السامي وسمت في الروحيات الى تلك الدرجة الراقية، سمت عن مستوى ماديات هذه الحياة واستحال بعد ذلك هبوطها الى ارتكاب الموبقات، وتدنيس الفكر بالانقسامات والمشاغبات بل كان جل مرغوبها، وكل مطمحها، العمل لارتقاء الانسانية عامة، فتطرق أبواب الاصلاح جزلة مسرورة بعمل النافع للهيئة الاجتماعية وتطهيرها من ادران الرذيلة واستئصال عوامل الفساد في الهيئة الاجتماعية، والاخذ بأسباب رقي الانسان الروحي والعقلي والمادي، حتى يصبح العالم نعيما لا يسطو فيه القوي على الضعيف بل يصبح الجميع سواء الاب آدم والام حواء

هذه هى اسمى درجات التعليم الدينى بلا جدال. الا اننا نرى والأسف ملء الفؤاد ان التعاليم الدينية لم تصل فى بلد من البلدان الى ذلك السمو اللهم الا بين نفر قليل يظهرون من جيل الى آخر وهم من خاصة خيار الناس اقامهم الله عظة وذكرى لمن حولهم

على ان الامم التى اتخذت التعليم الدينى أساساً للتربية الاخلاقية . اختلفت نتائج سعيها لاختلاف اساليب القائه على التلاميذ والتلميذات. ففى بعض البلدان نرى النتائج محمودة تكاد تفى بالغرض المطلوب من التعاليم الدينية . وفى البعض الآخر نرى النتائج محزنة لما يعتور أساليب التعليم الدينى من الاعوجاج وما ينقص معلمى الدين من مكارم الاخلاق. والرقى العقلي. والاخلاقى. الذى وضع الدين واسطة لاصلاحه فيتخذ معلمو الدين ورؤساء المجتمعات الدينية الدين وسيلة لتسميم عقول الناشئة بما يغرسونه فى عقولهم من الأوهام. وما يدرسونه من الانقسامات بين أبناء البلد الواحد فيصبح الدين نقمة على بنى الوطن الواحد . وبذلك ينقلب الدين الذى وضع لتأليف القلوب. وتهذيب النفوس. وترقية العواطف. ونشر آيات المدنية الصحيحة . ووضع أسس قوة الامم على أمتن القواعد الى ضده بما يدخله عليه صغار العقول. والاحلام. وذوى الغايات. من الاعتقادات الفاسدة. والتحمس الممقوت والغيرة الكاذبة

نظام التربية الدينية في المانيا

الامة الألمانية من أشد الامم الاوروباوية محافظة على اتخاذ التعليم الدينى أساساً للتربية الاخلاقية . فانه رغماً عن انتشار مذهب القائلين بادخال نظام التربية الأدبية المجردة عن العنصر الدينى فى برامج دروس المدارس الاميرية في أغلب الامم الاوروباوية - حتى ان الأمة الانجليزية المشهورة بشدة المحافظة على التقاليد بدأت تفكر فى ذلك كما سيرى القارىء فيما يلي - نرى الأمة الألمانية لا زالت

محافظة على هذا المبدأ لاتلوى عنه عناناً ولا تفكر فى تغييره أو تبديله

نظام التعليم الديني لطلبة المذاهب والاديان المختلفة بألمانيا

ومما يجدر بالامة المصرية ملاحظته فى هذا الصدد أن الامة الالمانية وحكومتها تحترمان الدين لذاته وتعتبر انه أساساً متيناً للتربية الاخلاقية دون التقيد بدين رسمى مخصوص أو كنيسة رسمية خاصة تعضدها الحكومة وتصرف الاموال العامة على قسيسيها ورؤسائها. فمع أن المذهب المسيحى الشائع فى تلك الامة هو المذهب البروتستانتى نرى الحكومة تحترم عقيدة كل فرد من الطلبة يهودياً كان أو مسيحياً من أى مذهب كان . وما على والدى الطفل عند ادخاله احدى المدارس الاميرية (حيث التعليم اجبارياً ومجانياً) الا أن يعلنا رغبتهما فيما يريدانه لولدهما من التربية الدينية ، فان اختارا له تعليم الدين اليهودى قامت المدرسة بتعليمه أصول هذا الدين بواسطة أحد المعلمين التابعين لهذا الدين . وتقوم الحكومة بدفع مرتبه من أموال الامة كغيره من المعلمين، وان اختار والدا الطفل تعليمه الدين المسيحى على المذهب الكاثوليكى قام بتعليمه أحد المعلمين التابعين للكنيسة الكاثوليكية . وهكذا اذا أراد والداه تعليمه المذهب البروتستانتى . وما ذلك الا لاقتناع أفراد تلك الامة وحكامها أنه متى كان جوهر الدين صالحاً وضرورياً لتكوين أخلاق ناشئة الامة وكانت المدارس الاميرية قائمة بأموال جميع أفراد الامة على السواء فمن الحق والعدل والحكمة أن تحترم الحكومة والامة عقيدة كل فرد من أفراد الامة وتوفر له الوسائل فى تعلم مايختاره لولده من التربية الدينية مقابل مايدفعه من الضرائب كغيره من أفراد الامة . اذ لايجوز ولا تستطيع الحكومة جباية الاموال من فريق من أبناء الامة لتصرفها على فريق آخر وتحرمه من الانتفاع بما تضربه عليه من الضرائب

برو جرام التعليم الديني في المدارس الابتدائية الالمانية

تهتم الامة الالمانية بالتربية الدينية الى درجة شديدة فتخصص أسبوعياً لهذا الغرض أربعة ساعات فى المدارس الابتدائية يلقى المعلم على تلاميذ السنتين الاولى والثانية حكايات وقصص من العهد القديم والعهد الجديد ويعلمهم أيضاً بعض آيات من الكتاب المقدس وبعض الترانيم الدينية . أما فى السنوات المدرسية الاخرى فتعلم التلاميذ تاريخ «العهد القديم» و «العهد الجديد» وتاريخ الكنيسة. وتاريخ رسل المسيح . وآباء الكنيسة . وانتشار المسيحية فى أوروبا فى القرون الوسطى . وتاريخ دخول المسيحية فى ألمانيا . وتاريخ حياة لوثيروس مؤسس المذهب البروتستانتى . وتاريخ الحركة الاصلاحية التى قام لوثيروس بها (وهذا يتعلمه التلاميذ التابعون للمذهب البروتستانتى كما يتعلمون أيضاً قانون ايمان المذهب البروتستانتى) ويطالع التلاميذ أيضاً الكتاب المقدس ويشرح لهم المعلم عقائد الكنائس وطقوسها . وتاريخ الاعياد الكنائسية ومقاصدها ، ويفرض عليهم حفظ كثير من فصول وآيات الكتاب المقدس . حتى ذكر واضعو دائرة المعارف الالمانية أن الصبى الالمانى يخرج من المدرسة الابتدائية فى سن الرابعة عشر من عمره وهو يعى على ظهر قلبه ثلثماية وخمسين آية كتابية على الاقل . وخمسة وثلاثين ترنيمة دينية

برنامج التعليم الديني فى المدارس التجهيزية الالمانية

عدد ساعات التعليم الدينى فى السنة الاولى تجهيزية هى ثلاثة فى كل أسبوع . وأما فى بقية فرق الدراسة الثانوية فهى اثنتان فقط فى كل أسبوع أما مواضيع الدروس فتكاد تكون كما هى فى المدارس الابتدائية ولكنها بدرجة أرقى وتفصيل أتم مع توسع فى تاريخ الكنيسة وطقوسها واضافة دروس فى علم اللاهوت وآداب الديانة المسيحية

أما المعلمون المكلفون بتدريس الدين فى المدارس التجهيزية فهم من متخرجى المدارس الجامعة

محاسن وسيئات التدريس الديني على هذه الطريقة

لاحظ كبار الاساتذة فى المانيا وكبار العلماء والمفكرين من الاوروبيين والامريكيين والشرقيين . أن التدريس الدينى بهذا الشكل فى المانيا والشرق ومصر له حسنات وسيئات. فمن محاسنه مايغرس فى عقول الطلبة من قدرة الخالق تعالى . ووقوفه على دقائق عواطف الانسان . والافكار والعواطف . التى تدور فى خلده وفى أعماق صدره . وما يتعلمه عن تسامحه تعالى . ورحمته الواسعة . التى لا يدرك لها الانسان حداً . واستعداده عز وجل لقبول التائب . والصفح عنه متى ثاب الى رشده . واعترف بآثامه . وندم على ما فرط منه . وعزم عزماً صادقاً ثابتاً على عدم الرجوع الى ماضى فعاله وآثامه . وما يعده من حسن الجزاء لمن طابت سيرته . وحسنت سريرته . حيث يدخل جنة الخلد ونعيم الحياة الأبدية التى لا شقاء ولا تجارب فيها وما يوقعه من شديد العقاب . وصارم الجزاء على من ضلوا سبيلا وأعوجوا سريرة . حيث يقذف الله بهم فى نار الوعيد يصلون نار الشقاء وبؤس الحياه التى لا نهاية لها

كل هذه العقائد الدينية متى رسخت فى عقل الانسان فى فجر حياته واستقرت فى عقيدته بعثت فيه روح مقاومة الرذيلة والتغلب على سبيل الغواية ودفعته الى التمسك بالفضيلة فيشب طاهر الذيل . نقى النفس . صالح الفعال . كريم الخصال . أما سيئات هذا النظام فهى النزول بالمبادىء والتعاليم الدينية الى مستوى الدروس العلمية الاعتيادية . كدروس النحو . والجغرافيا . والتاريخ . والحساب . وغيرها . فينصرف هم التلميذ الى حفظ التاريخ الدينى والطقوس الكنائسية والتعاليم اللاهوتية

لمجرد القيام بواجب مدرسى والنجاح فى فرقته ، دون ان يكون لهذه التربية الدينية الأثر المقصود من تدريسها الى تكوين الاخلاق وترويض النفس على الفضيلة . حتى ان كبار أساتذة المدارس الالمانية لاحظوا ان تدريس الدين على هذا النظام هو مجرد اثقال لكاهل الطلبة وتكليف لذاكرتهم دون التأثير على عواطفهم واخلاقهم حتى أصبحت النتيجة الفعلية تعلم التلميذ عن الدين دون تأثره بجوهره واليكم قول بعض كبار الالمان

انتقادات كبار الالمان والانجليز

قال البروفسر كرشنر Proffessor Krischner من كبار أساتذة مدرسة برلين « ان نظام التعليم الدينى على هذا النمط يوجد لدى التلاميذ تخمة دينيه مدارها المبادئ الدينية والآيات الكتابية والتراتيل الروحية والطقوس الكنائسية »

وكتب آخر ما يأتى : « ان التعليم الدينى من الضروريات ، ولكن النظامات المتبعة الآن فى تعليمه لا تؤدى الى الغرض المقصود منه فيلزم اجراء اصلاح تام يقتلع هذا النظام من جذوره »

وقال أحد الاساتذة الالمان لصديق له « ان ما تعلمته من الدروس الدينية فى المدارس الالمانية لا رابطة بينه وبين الحياة العملية اليومية ، فان هذا التعليم الدينى اقتلع جذور روح هذا الدين من فؤادى ولم يشجعنى على اتباع الفضيلة »

وقال المرحوم المستر رجينلد بلفور Mr Reginald Balfour أحد كبار أساتذة انجلترا الذى أوفده المؤتمر الانجليزى (١) لفرنسا لبحث التربية الاخلاقية بواسطة

---

(١) أفردنا لاعمال هذا المؤتمر الانجليزى للتحقيق الدولي في التربية الاخلاقية فصلا خاصاً هو الفصل الثامن عشر فليراجع بامعان لاهميته

التعليم الدينى ونتائج العمل بمذهب التربية الادبية بها . قال « ان جميع من قابلتهم من اللاهوتيين ومديرى المدارس الكاثوليكية اعترفوا آسفين بان تعاليم أصول الايمان (الكتب الموضوعة في أصول الايمان المسيحى من بدء الخليقة الى عهد رسل المسيح والحواريين) ليس بها تعاليم اخلاقية وافية وانى آسف انهم لم يسعوا لتلافي هذا النقص بادخال نظام التربيه الادبيه والاخلاقيه فى مدارسهم مع استمرارهم في تدريس أصول الايمان ولكننى سررت بوجود استعداد وحركة في فرنسا لتحقيق أمنيتى واكمال هذا النقص فى التربيه الدينيه

رأي مصري كبير في نظام التعليم الديني في مصر

ذكرنا آراء هؤلاء الاساتذة الالمان فى نقائص نظام التعليم الدينى عندهم، برأى ذلك المصرى الكبير واضع رسائل أسباب ونتائج فى نظام التعليم الدينى عندنا وأرى رغماً عن سبق الاستشهاد به تكراره هنا لعلاقته التامة بما نحن الآن فى صدده وتشابه النتائج فى البلدين لتشابه نظاماتهما فى التعليم الدينى

قال فى رسالته العاشرة تحت عنوان « أصول التربية » مايأتى . —

« ونحن واأسفاه نكاد نكون مجردين عن الاحساس الدينى الذى يودع فى الشخص تلك الكمالات ويربيها . ولست أتكلم عن أبناء المدارس فقط بل وعن طلبة العلم الدينى الذين قصروا تعلمهم على مايلقى فى الجامع الازهر الشريف من العلوم الدينية وما يتبعها . وأمثالهم لان هؤلاء قد تعودوا أن يتلقوا أحكام الشريعة كعلم يجب حفظه فى الذهن مهملين مع ذلك كل ماينتج تولد الاحساس الدينى الحقيقى وتنميته »

الفصل الخامس عشر

مذهب التربية الأدبية

- سرعة انتشار هذا المذهب -

انتشر هذا المذهب انتشاراً واسعاً فى العالم وما زال يمتد وينتشر بين ممالك الارض وأممها بدرجات مختلفة ، فالبعض يقتصر على التربية الأدبية ويعتمد عليها وحدها فى تربية أخلاق الناشئه، والبعض الاخر يجمع بينها وبين التعليم الدينى

وضعت قواعد هذا المذهب وأساسه أمتان من أقوى واكبر الامم فى العصر الحاضر . احداهما فى الشرق الاقصى هى الامة اليابانيه التى تعتبر اليوم حامية الشرق البعيد وصاحبة النفوذ فيه . وعنوان قوة الشرق أقصاه وأدناه . والاخرى فى الغرب هى فرنسا . مصدر المبادىء الجديدة . ومبتدعة المذاهب التى لعبت فى القرن الماضى دوراً كبيراً فى الحرب . والسياسه . والفلسفه . والادب . حتى قال عنها أحد كبار مؤرخى العالم . ان فرنسا تلعب بمستقبل الامم وما زالت فرنسا الى اليوم من أقوى الامم الاوربلوية وأحسنها تهذيباً

لما بدأت فرنسا بهذه الفكرة فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر . وقدمت الحكومة مشروع القانون لمجلس النواب . قامت له قيامة المحافظين والاكليروس . ونظر بعض الامم الاوربلوية الى هذه الحركة بتخوف وتحفظ . ولكن لم يمض على العمل بهذا المشروع بضع سنوات حتى اطمأنت له القلوب . ورضي عنه كثير من الاكليروس الفرنساوى الراقى . فادخلته الحكومة فى برامج

المدارس الثانوية بعد ان كان قاصراً على المدارس الابتدائية . ووصل الحد بالامة الانجليزية - أشد الامم الاوروباوية محافظة على التقاليد القديمة - ان تفكر فى العمل بهذا النظام . فقامت من بضع سنوات حركة من ارباب العقول الكبيرة يدنهم أساطين الاساتذة والفلاسفة والساسة . وانضم اليهم رؤساء المذاهب الدينية المختلفة. واكليروس الكنيسة الانجليزيه . وباشحاخام اليهود . وانشأوا مؤتمراً للبحث فى نتائج التربية الادبية لتهذيب الاخلاق الفرديه والاجتماعيه . والنظر في امكان العمل به فى البلاد الانجليزية فبحثوا الموضوع من كل وجوهه . وقتلوه درساً . وقلبوه من كل وجوهه ونشروا نتيجة ابحاثهم فى مجلدين كبيرين - وأدت بهم نتيجة البحث والتنقيب الى وجوب الاخذ به لنشر المبادىء الاخلاقية . وخصوصاً فيما يتعلق بالاخلاق الاجتماعيه والصناعيه والوطنيه . وسنأتى فيما يلي على بعض مباحثهم. وأقوال كبارهم ليستنير القراء حتى يتسنى لنا التفكير فى هذا الموضوع على هدى لعل لنا في ذلك فائدة وذكرى

لذلك رأيت تقديم الكلام على بيان نظامات التربية الادبية فى البلاد اليابانية والفرنساويه ثم ذكرت بعد ذلك أقوال علمائهم . وقواد الرأى العام في البلادين . عن نتائج العمل بهذا النظام . ثم ذكرت بعد ذلك طرفا وجيزاً عن ذلك المؤتمر ومباحثه وقراراته . وملخص أهم النقط الواردة فى تقرير المؤتمر المذكور

الفصل السادس عشر

(التربية الادبية فى اليابان)

روح التربية اليابانية ـ رأى الوزير اليابانى فى فضل نظام التربية عندهم ـ الامر الامبراطورى الياباني فى التربية ـ درجات المدارس اليابانية وبرامج التربية الادبية فى كل منها ـ التربية الادبية فى المدارس الابتدائية اليابانية ـ الامر الامبراطورى في التدريس الابتدائى ـ تعليمات وزارة المعارف في التربية الادبية ـ برنامج التربية في المدارس الابتدائية ـ برنامج التربية الادبية للسنة الاولى الابتدائية ـ برنامج السنة الثانية الابتدائية ـ برنامج السنة الثالثة الابتدائية ـ برنامج السنة الرابعة ـ التربية الادبية في المدارس الابتدائية العالية ـ التربية الادبية في المدارس الثانوية اليابانية ـ برنامج السنتين الاولى والثانية الثانوية ـ برنامج السنتين الثالثة والرابعة ـ برنامج السنة الخامسة ثانوية ـ المبادىء الادبية العاملة في تكوين الاخلاق

روح التربية اليابانية :

كتب البارون كيكوشى Baron Kikuchi الذى شغل مركز وزير المعارف للامة اليابانية من سنة ١٩٠١ الى سنة ١٩٠٣ رسالة ضافية (بناء على طلب لجنة المؤتمر الذى سبق لنا الاشارة اليها) عن روح التربية اليابانية وخصوصاً عن طرق التربية الادبية فى أدوار التعليم المختلفة ولا أرى وصفاً أفضل ، وبياناً أحسن ، لايقاف القراء على ما للتربية الاخلاقية من العناية التامة لدى الامة الشرقية الناهضة وما جنته من يانع الثمار بفضل ذلك النظام الذى اتبعته من أن آتى هنا على أهم المواضيع التى ذكرها

رأي الوزير الياباني في فضل نظام التربية الادبية عندهم

قال الكونت فيما يختص بنتائج التربية الادبية لاصلاح الاخلاق الضرورية والاجتماعية عندهم مايأتى : —

« تسألونني اذا كان اختبارنا بعد العمل بهذا النظام أقنع أمتنا بفائدته فى تكوين أخلاق الامة ؟ فأجيب على ذلك باقتناع تام بأننا لو لم نقتنع بذلك اقتناعاً تاماً لقلبنا نظام التربية عندنا رأساً على عقب خصوصاً لاننا لانفهم للتربية معنى سوى أنها الوسيلة لاصلاح الاخلاق . وهذا هو اعتقادنا من قديم الازمان وماضى القرون

نعتقد أن ارتقاء الامم وتقدمها ونجاحها يتوقف على التربية الصحيحة وفى الواقع ، فتاريخ أمتنا يؤيد ذلك ، فلما غيرنا كل نظاماتنا القديمة وقلبنا كل شىء لدينا رأساً على عقب فى سنة ١٨٦٨ ، أهملنا نظام التربية الاخلاقية الذى كان متبعاً لدينا قبل ذلك التاريخ، وكان أساسه مطالعة آداب اللغة الصينية ؛ وهذه عبارة عن كتب في الفلسفة الادبية والتاريخ ، فكان الطفل الذى لايتجاوز الرابعة أوالخامسة من العمر يبدأ بمطالعة كتب الفيلسوف كونفوشيوس Confucius ثم يحفظها على ظهر قلبه ومتى شب يلقى عليه المعلمون محاضرات هى عبارة عن شرح تعاليم هذا الفيلسوف

وكانت أوقات أبناء ذلك الزمان تسمح لهم بالتفرغ لذلك ، (لعدم التزاحم العصرى فى التجارة والصناعة والزراعة) فكانوا يستفيدون بهذه الواسطة عقلياً وأخلاقياً ، كما كانوا يكثرون من الالعاب الرياضية المعروفة لدى الامم القديمة كالرماية بالسهام والطعان بالسيف والسباحة وغيرها التى لاتقتصر فائدتها على تقوية ابدانهم بل عودتهم احتمال المشقات والصبر على الشدائد

«فلما غيرنا فى سنة ١٨٦٨ هذه النظامات القديمة، لم نلتفت لما للتربية الاخلاقية من الاهمية، ولم نعرها ماتستحق من العناية عند وضع نظاماتنا الحديثة، وكان أقوى سبب لهذا التغافل مارسخ فى اذهاننا من نظاماتنا القديمة من عدم التفريق بين التربية الاخلاقية والتربية العقلية، اذ كان موضوع التربية للامرين علماً واحداً كما أسلفنا

«لذلك حصل خلط كبير فى التربيه الاخلاقية عندنا بعد الانقلاب الحديث وكان الناس يخبطون فى هذا الموضوع خبط عشواء، خصوصاً فيما يجب أن نتخذه أساساً يبنى عليه نظام التربية الاخلاقية»

ففى ذلك الوقت اقترح فوكو ساواFukusawa أن نعتنق الديانة المسيحية، ولم يكن ذلك اعتقاداً منه فيها؛ ولكنه مجرد اقتراح لاتخاذ تعاليمها أساساً لتربيتنا الاخلاقية العصرية؛ واقترح غيره اقتراحات عديدة مختلفة الى أن أصدر امبراطورنا المحبوب فى سنة ١٨٩٠ أمره الامبراطورى فى التربية، فصادف من جميع المفكرين ارتياحاً تاماً وقبولا سريعاً دون أدنى تردد، لما وقر فى نفوسنا نحن اليابانيين من الاحترام للعائلة المالكة الى درجة لايفهمها الغربيون، لاننا نتطلع الى الاوامر الامبراطورية أكثر من تطلع الغربى الى أوامر ملوكه وحكامه؛ بل نكاد نعتبرها أوامر الهية

«أما تعاليم ذلك الامر الامبراطورى فمستمدة من التعاليم القومية القديمة، وعلى هذا الامر الامبراطوري أسسنا بعد ذلك نظاماتنا الحديثة في التربية الاخلاقية فقطعنا بعد صدور هذا الامر والعمل به شوطاً بعيداً فى سبيل اصلاح أخلاقنا العائلية والوطنية»

«وأؤكد أن نجاحنا الباهر في حربنا الاخيرة ضد الدولة الروسية، وما

أظهره العسكرى اليابانى من الشجاعة والتفانى ، يرجع معظم الفضل فيه الى نظاماتنا المدرسية فى التربية الادبية »

« نعم فاننا لولم نتعلم الدروس الاخلاقية فى الوطنية والاخلاص مدة مئات من السنوات وخصوصاً فى القرون الاخيرة ، لاستحال علينا الوصول الى هذه الدرجة بمجرد اتباع النظام الاخير مدة الثلاثين أوأربعين سنه الاخيرة ، ولكنى أعتقد اننا بواسطة هذا النظام الحديث قد أقمنا حاجزاً منيعاً دون ضياع مبادئنا واضمحلال أخلاقنا القومية الشريفة ، فاننا كنا قبل اتباعنا ذلك النظام الاخير نتخبط دون أن نعرف أين نضع أقدامنا ، فانحلت روابطنا أو كادت ، نعم اننا حافظنا على المبادىء الاخلاقية العائلية ، ولكن كان ينقصنا الاساس الذى يرتكن عليه نظامنا العام ، فلما صدر ذلك الامر الامبراطورى ملأ ذلك الفراغ الكبير ، وأصبحنا الآن نجد مانرجع اليه في تأييد مانذهب اليه من اتباع هذه الخطة أوتلك عند الخلاف

« فاذا طلبتم منى دليلا آخر على فائدة نظام التربية الادبية الذى اتبعناه فى الثلاثين سنة الماضية لو لم ندخل فى رحى تلك الحرب الطاحنة ، لأجبت على الفور انه لدينا أموراً كثيرة تؤيد نفع ذلك النظام »

« فمن الامور العديدة التى تؤيد نفع ذلك النظام مايدور في مجالسنا النيابية من المناقشات فى الامور التشريعية ، فان أهم غرض يرمي اليه نوابنا فى مناقشاتهم هو البحث فيما اذا كان مشروع القانون المطروح أمامهم مفيد للامة أم لا ، فلا تجد والحالة هذه أثراً للمصلحة الشخصية فى مناقشاتهم ، وبهذا يمكن للقارىء أن يتبين أن روح مناقشاتنا التشريعية هى نفس الروح التى أظهرناها فى حربنا ضد الدولة الروسية »

« أما أعمالنا الفردية فى معاملاتنا فانه يصعب لاول وهلة الوقوف على أثر هذه الروح فيها ، ولكننى أعتقد أن كل من يدقق النظر في هذه المعاملات الفردية يجد لهذه الروح الاثر المطلوب فى المعلات بين الافراد »

« ومن الصعب علي أن أجزم باننى راض تمام الرضى عن أخلاقنا بوجه عام ، لاننى وكثيرين غيرى فى اشتغال دائم ببيان ما يجب اصلاحه من أمورنا ، ولكننى أؤكد تمام التأكيد اننى أشعر بارتياح تام نحو مانحن عليه من الاخلاق العائلية والوطنية ، فانه ان جاز لي الشكوى من بعض الامور فى أخلاقنا الفردية فلا يجوز لي مطلقاً أن أشكو من علاقاتنا العائلية واخلاصنا لامبراطورنا ووطننا »

أنقل أقوال ذلك الوزير اليابانى الى لغتنا العربية وأنا تحت عاملين ، عامل الاعجاب الشديد بما وصلت اليه تلك الامة الشرقية من رقى الاخلاق العائلي والوطنى وهما أساس عظمة الامه — وعامل الاسف والخجل ، لان المصريين يفتقرون تمام الافتقار لهاتين الفضيلتين على الخصوص — وهما فى الواقع مجموعة فضائل عديدة لا قائمة لامه بدونها ، ولا أمل لمصر فى الرقى والنهوض بدونها ولو أصبح جميع البيوت والعزب والكفور والاكواخ فى مصر مدارس ، مع خلونا من الاخلاق التى تبعث فينا تلك الروح الشريفه وتربى فينا تلك الفضائل العائليه والوطنيه

أخال القارىء يطالبنى ببيان ذلك الامر الامبراطورى فهاهى ترجمته : —

الامر الامبراطوري اليابانى في التربية :

«اصغوا أيارعاياى :

«قد أسس أسلافى الامبراطره مملكتنا على أسس متينة دائمة . وغرسوا الفضيلة ، كما عاش رعايانا على الدوام مرتبطين بروح الاخلاص الوطنى والتقوى البنويه . التى أظهروا جمالها من جيل الى جيل ، هذه الصفات هى مجد مملكتنا ،

ومنها تنبعث مبادىء التربية لدينا :

« كونوا اذاً يارعاياى أولاداً خاضعين لوالديكم . محبين لاخوتكم واخواتكم . مرتبطين ببعضكم البعض فى حياتكم الزوجية. مخلصين الود لاصدقائكم . محتملين بعضكم البعض باعتدال وتواضع

« أجزلوا عطاءكم للجميع دون تميز أو تفضيل . واسعوا فى تحصيل العلم والفنون . حتى تنمو قواكم العقلية ـ وتكمل صفاتكم الادبية . واسعوا فوق ذلك فى نمو روح المصلحة العامة ـ والاهتمام بخير المجموع ـ احترموا الدستور على الدوام . واخضعوا للقوانين . واذا قضت الحالة فقدموا نفوسكم لخدمة أوطانكم باقدام . حتى تحرسوا وتحافظوا على سلامة ورفع شأن تاجنا . ليبقى كذلك مابقيت الارض والسماء . وبذلك لا تكونون شعباً صادقاً وأميناً فقط بل تكونون قد حافظتم على أفضل تقاليد اجدادكم واسلافكم

« ان ما أوضحناه هنامن التعاليم هوما أوصانا به أسلافنا الامبراطره والشعب على السواء ، على ممر القرون فى كل مكان

« وقد قضت ارادتنا بحفظ هذه المبادىء على ظهر قلبنا بكل احترام . والعمل بها بالاشتراك معكم أيها الرعيه . حتى تحصلوا جميعكم على هذه الفضيلة »

صدر فى اليوم الثلاثين والشهر العاشر من السنه الثالثة والعشرين من عهد ميجى « Meiji »

وجب علي بعد هذا البيان ايضاح نظام التربية الادبية فى المدارس اليابانية .

درجات المدارس اليابانية وبرنامج التربية الادبيسة فى كل منها ..

تنقسم المدارس اليابانية الى ثلاثة درجات

القسم الاول : المدارس الابتدائية للاطفال من السادسة الى الرابعة عشر من

عمرهم ويوجد فوق ذلك مدارس ابتدائية عالية تعطى بها دروس خصوصية

القسم الثانى : المدارس الثانوية من سن الثانية عشر الى السادسة عشر والسابعة عشر من العمر ، وهذا القسم يشمل المدارس المتوسطة لتعليم التلاميذ والمدارس العالية لتعليم التلميذات والمدارس الصناعية والفنية

القسم الثالث : الكليات الخصوصيه والكليات الصناعية والفنية الخصوصية وذلك بخلاف مدارس المعلمين والمعلمات المتوسطة والعالية ولم يدخل فى هذا القسم الجامعات الامبراطوريه والجامعات الاهلية لانه لا يلقى فيها دروس خصوصيه فى التربية الأدبيه

التربية الادبية في المدارس الابتدائية اليابانية

برنامج التربية الادبيه فى المدارس الابتدائيه مبنى على المادة الاولى من الامر الامبراطورى بشأن المدارس الابتدائيه وهذا نص ترجمته :-

الامر الامبراطورى فى التدريس الابتدائى

« المقصود من المدارس الابتدائيه هو تعليم الاطفال مبادىء التربيه الاخلاقيه والتربيه المدنيه (ما يتعلق بحقوق الافراد فى الأمه وواجباتهم نحوها ونحو الحكومه الخ) مع بعض المعلومات العموميه الضروريه فى الحياة والعناية التامة لنمو الاجسام بصحة ونشاط » .

تعليمات وزارة المعارف فى التربيه الادبيه

تصدر وزارة معارف تلك البلاد فوق ذلك تعليمات وارشادات يسترشد بها المعلمون والاساتذة عند القاء الدروس المختلفه ولبيان طرق التدريس وروحه والغرض المقصود من تدريس كل علم

أما التعليمات عن تدريس التربيه فى المدارس الابتدائيه فكما يأتى :-

« يجب أن تكون التربية الادبيه مؤسسه على تعاليم الأمر الامبراطورى فى التربيه لان الغرض من التربيه هو تهذيب الفطرة الادبيه لدى التلاميذ وارشادهم الى ممارسة الفضائل »

« ففى الفرق الاوليه ، يجب أن تلقى على الاطفال تعاليم مناسبه لعقولهم تؤهلهم لممارسه بعض الفضائل كالتقوى البنوية ، والطاعه لمن كان أكبر منهم سناً ، والصداقه والمحبه والاقتصاد والاجتهاد والوداعه والاخلاص والشجاعه فى سبيل الحق الى غير ذلك من الفضائل »

« ويجب بعد ذلك أن يتعلم الاطفال واجباتهم نحو الحكومه والهيئه الاجتماعيه لتسمو أفكارهم وأخلاقهم وتقوى ارادتهم ، وتزداد نفوسهم جراءة واقداماً وتجعلهم يقدرون الفضائل الاجتماعيه حق قدرها وتنمي فى نفوسهم روح الاخلاص والوطنيه »

« أما فى الفرق الراقيه فى هذه المدارس الابتدائيه فتلقى نفس هذه الدروس بتوسع أكبر وايضاح أكثر لترسخ فى اذهان الطلبه »

« ويجب أن يراعى فى تعليم البنات فوق ذلك الاهتمام الزائد بالتعاليم عن العفه والوداعه »

« ويجب أن يتعهد المدرسون والمدرسات انماء روح الفضيلة فى نفوس الاطفال بما يلقونه عليهم من الحكم والامثال والقصص عن الاعمال الشريفه والاخلاق الحميدة حتى تتأثر بها عقول الاطفال وتستقر فى قلوبهم »

برنامج التربية فى المدارس الابتدائية

سيرى القارىء من اطلاعه على برنامج التربيه الادبيه الذى سنأتى على بيانه فيما يلي، أن وزراء معارف تلك الامه الرشيدة استعملوا منتهى الحكمه فى وضعه

آخذين بمبدأ النمو الطبيعى من الابسط الى الارقى، سائرين في سبيل الترقى مع نمو الانسان العقلي والادبى ؛ ولذلك أحاطوا بجميع أطراف المبادىء الاخلاقيه اللازمه لاكمال تربيه الطلبه أخلاقياً ليكونوا رجالا ونساء - يعرفون حقوقهم وواجباتهم نحو أنفسهم وعائلاتهم وأمتهم

ولم تقتصر عنايه وزارة المعارف بالتربيه الادبية على نشر التعليمات السابقه ، بل انتدبت لجاناً من كبار الرجال لوضع الكتب الاديبه وشرحها ، وسنذكر بعد بيان برنامج السنه الاولى بعض ماورد في هذه الكتب عن الدروس الاديبه المقررة

برنامج التربية الادبية للسنة الاولى الابتدائية

أول درس يتعلمه الطفل عند دخوله المدرسه هو عن المدرسه نفسها ، والغرض منها ، وفائدتها - ويستغرق هذا الدرس أربعه ساعات

والدرس الثانى عن المعلم ، وعدد ساعات هذا الدرس ثلاثه ، ويتلوهما الدروس الاخلاقيه الآتيه : —

موضوع الدرس	عدد ساعات تدريسه
واجب القيام بالعمل بجد ونشاط	٣
غرفه التدريس وملعب المدرسه	٣
اللعب	٣

وهذه الدروس السابق بيانها كما يرى بداهة تتعلق بروابط التلاميذ بالمدرسة ويليها جملة دروس خاصة بالروابط العائليه وهى كما يلي : —

موضوع الدرس

موضوع الدرس	عدد ساعات تدريسه
الوالد والوالدة	٣
التقوى البنوية	٣
الاخوة والاخوات	٣
المسرات العائلية	٢
ويلي ذلك الدرسين الاتى بيانهما في الروابط الاجتماعية: —	
الاصحاب	٢
جلالة الامبراطور	٣
ثم يتلوهما الدروس الاتية وهى مجموعة فضائل شخصية : —	
الجسم الانساني	٣
كن حياً نشيطاً	٢
حسن السير والسلوك (مع بيان أمثلة عملية لآداب السلوك)	٤
اجتنب المشاجرات والمشاغبات	٢
تكلم الصدق	٢
لا تجتهد فى اخفاء عيوبك	٢
لا تعطل الغير اثناء عملهم	٢
اعرف مالك وما عليك	٢
الاشياء الحية	٣
الجيران	٢
اجتنب كل ما يضر بالغير	٢

ويلقى على التلاميذ بعد الفراغ من هذه الدروس درساً اجمالياً تلخيصاً لكل ما سبق موضوعه، الاطفال الصالحين يلخص فيه المعلم فوائد الفضائل السابق بيانها وجوب تحلي التلميذ بها ليكون محبوباً نافعاً. أما وقد فرغنا من برنامج السنة الاولى فنأتى الآن على ما ورد فى الكتاب الذى وضعته اللجنة شرحاً لموضوع الدروس المقررة ايفاء للموضوع وانموذجاً للغرض المقصود من هذه الدروس. واخترنا لذلك ما ورد فى هذا الكتاب عن الدرس الأول وهو المدرسة

« جئتم أيها الاطفال لأول مرة فى حياتكم الى المدرسة. فما هو غرض والديكم من ارسالكم اليها؟ غرض والديكم ان تصبحوا رجالا صالحين وكلكم بطبيعة الحال ترغبون ان تكونوا كذلك. وحينئذ يجب عليكم ان لا تهملوا فى المواظبة على الحضور الى المدرسة. خصوصاً وانها ليست محلا لمضايقتكم وعدم راحتكم. ففيها ترون المعلم يقص عليكم حكايات لطيفة ويعلمكم العابا مسليه، وفيها ترون أشياء كثيرة لم تروها من قبل ويسركم مشاهدتها ومعرفتها. ففيها ملعب فسيح طلق الهواء حيث تلعبون مع رفاق وأصحاب عديدين، وبذلك ترون ما يسركم وينفعكم بمواظبتكم على الحضور اليها يومياً وحينئذ تدركون وتقتنعون ان المدرسة محل للتسليه والنفع فلا تهملون الحضور يومياً اليها »

هذا هو مثال لابسط وأول الدروس الادبية التى يتعلمها الطفل اليابانى فى مدرسته. ومن يقارن بين هذا الدرس وما فيه من المبادىء. وما يشير اليه عن بناء المدرسة الابتدائية اليابانية. وما حوته من ملاعب فسيحة. وما يجتهد المعلم اليابانى فى تلقينه للطفل اليابانى من قصص مفيدة نافعة لتحبيب المدرسة اليه. لرأى الفرق شاسعاً بينها وبين تلك الكتاتيب المصرية بل كثير من المدارس

الابتدائية . ولرأى البون كبيراً بين المعلم اليابانى والمعلم المصرى فقيهاً كان أوعريفاً ممن لا يفهمون من واجباتهم الا الارهاب وتعويد الطفل على الحفظ دون الفهم ، حتى أصبحت الكتاتيب والمدارس الأولية فى نظر التلميذ المصرى جحيما لا يطاق ، لايميل للحضور اليها لانه لا يفهم فيها الا انها وسيلة للضغط على حريته ، وتكليفه ما لايطيق ، فتسأم نفسه المدرسة وما فيها ومن فيها . فيشب وهو لا يقدر للعلم قيمة لما وقر فى نفسه الصغيرة من الكراهة لها والسآمة منها

برنامج السنة الثانية الابتدائية

يكون تلميذ السنة الثانية قد تعلم فى السنة الاولى مبادىء المطالعة وفهم ما يطالعه ولذلك يتعلم الدروس الأدبية بمطالعته كتاباً وضع لهذا الغرض . وهو عبارة عن قصص ونوادر لكل منها مغزى أدبى لما يراد تعليمه للطفل من المبادىء الاديبه وها هو عنوان دروس السنة الثانية : —

الوالدان والاطفال : الوالدة والوالد : ساعد نفسك : المعلم : كبار السن : الاخوة والاخوات : الطعام : النظافة : الأمانة : النظام : أدب المحادثة : الوعد : عيوب الغير : الصديق الجاهل : الاصحاب : العناية بالصغائر : العيوب : الاشياء الفاقدة : الاشياء الحية : راية الشمس المشرقة « أى العلم اليابانى » اطاعة الأوامر : جلالة الامبراطور : الشجاعة : اجتناب ما يضر بالغير : الاطفال الصالحون :

برنامج السنة الثالثة الابتدائية

﴿ ملحوظات عمومية عن بروجرام السنتين الثالثة والرابعة ﴾

نرى من الضرورى هنا قبل تبيان برنامج السنة الثالثة ان نذكر ان ما يتعلمه تلاميذ السنتين الثالثة والرابعة من المبادىء الأدبية مأخوذة عن الدروس التاريخية وحياة مشاهير الرجال والسيدات . ففى السنة الثالثة يجتهد المعلم فى تفصيل الفضائل الشخصية والمكارم الاخلاقية الفردية . وأما السنة الرابعة التي هى آخر سنوات

الدراسة الابتدائية . فتنصرف عناية المدرس الى بيان الفضائل الاجتماعية والوطنية حيث يتعلم التلاميذ حقوقهم وواجباتهم بصفتهم رعايا الامبراطورية اليابانية وها هو بيان دروس السنة الثالثة : —

« جلالة الامبراطور : الاخلاص للوطن : احترام السلف الصالح : التقوى البنويه : الاجتهاد : التعلم : الاعتماد على النفس : الثبات : الشجاعة : ثبات الجأش فى الخطوب : احتمال المشقات . الامانة : عدم مخالفة الضمير : لا تتفاخر : كن هماماً شريف النفس : الاقتصاد : الاحسان : حسن معاملة الخدم : لاتنس جميلا : الصداقة : لا تكن حسوداً : رقة الطباع : العناية بما اؤتمنت عليه : الجيران : المصلحة العامة : مراجعة دروس السنة

برامج السنة الرابعة

الامبراطورية اليابانية العظيمة (يشمل هذا الدرس تاريخ تأسيس المملكة اليابانية وعلاقة العائلة المالكة بالامة اليابانية . والغرض من هذا الموضوع ايقاف التلاميذ على بعض مبادىء الامبراطورية وشكلها)

الوطنية : الاخلاص للامبراطور : قيمة الوقت : ثبات المبدأ : الشجاعة : الجسم الانسانى : تثقيف العقل : اجتناب الأوهام : حسن السلوك : احترام شرف الغير : الاحسان : المصلحة العامة : الخدمة العسكرية : الضرائب : التربية : الانتخاب (الواجب الوطنى يقضى بانتخاب أحسن الرجال) احترام القوانين واللوائح : الانسان سيد المخلوقات : واجبات الرجل : واجبات المرأة : اليابانى الفاضل :

التربية الادبية فى المدارس الابتدائية العالية

التربية الادبية فى المدارس الابتدائية العالية هى على النظام السالف ذكره وتكاد مواضيع الدروس تكون واحدة الا انها تلقى بتوسع اكبر : وها هو

ملخص المواضيع المقررة : المعرفة : الشجاعة : الثبات . اختبار الذات : كبح جماح هوى النفس . الاعتدال : التواضع . شرف النفس والحديث : الملبس . العمل : الاعتراف : التزاحم فى الحياة : الثقة المالية : المال : النظام : الاعتماد على النفس والاستقلال . تطبيق المبادىء العلمية . تهذيب الاخلاق . ارتقاء الانسان . تداول المعاملات بين الناس . الرفق بالحيوان . الوطنية الصحيحة . واجبات الفرد نحو أمته وحكومته . المجالس النيابية على اطلاقها من مجالس بلدية ومجلس الامة الخ . انتخاب النواب . وأخيراً يلقى على الطلبة درساً مدة خمسة ساعات متقطعة يلم باطراف جميع الفضائل السابق بيانها موضوعه « اليابانى الفاضل » وما يجب ان يكون عليه من الاخلاق الشخصية والعائلية والاجتماعية .

التربية الادبية

(فى المدارس الثانوية اليابانية)

لا يختلف نظام التربية الادبيه في المدارس الثانويه عن نظام التربية الأدبية فى المدارس الابتدائية ولكنه يلقى على التلاميذ بطريقة أوسع ودرجة أرقى تناسب عقول الطلبة

وتعنى تلك الامة عناية خاصة بتربية شبانها التربية الاخلاقية الصحيحة وتضع المنشورات العامة فى هذا السبيل ليسترشد بها الاساتذة فى المدارس الثانوية وها هو ترجمة احدها : —

« يجب ان يكون مدار التربية الادبية فى المدارس الثانوية مؤسساً على الامر الامبراطورى الصادر بشأن التربية . وليكن نصب أعين الاساتذة على الدوام ان الغرض من التربية الأدبية فى هذه المدارس هو انماء وتقوية روح الفضيلة فى

نفوس الطلبة حتى يصيروا رجالا ذوى اخلاق ومبادىء فاضلة تليق برجال الطبقتين الوسطى والعليا . فتقوم الاعمال الفاضلة التى يؤدونها فى حياتهم اليومية شاهداً عدلا على ما وصلوا اليه من الرقى الاخلاقى »

« وليبدأ الاساتذة الدرس بايضاح المبادىء الأساسية فى علم تربية النفس مطبقين هذه المبادىء على الامثلة المشهورة . والاقوال المأثورة . وفعال أفاضل الناس . وعظمائهم ويتخلصون من ذلك الى بيان واجبات الانسان نحو نفسه . ونحو الهيئة الاجتماعية . ونحو حكومته»

برنامج السنتين الاولى والثانية الثانوية

يشمل هذا البرنامج على الاخص شرح المبادىء الاساسية المرتبطة بالحياة اليومية للطلبة والطالبات مع الامثلة العملية والاستشهاد بالحكم والامثال المشهورة

وقد خولت وزارة المعارف الاساتذة الحرية فى نظام التدريس وتركتهم أحراراً فى مراعاة ترتيب المواضيع الآتى ذكرها وهم مخيرون فى تقديم البعض وتأخير البعض الآخر تبعاً لما يلاحظونه من قوى الطلبة وظروفهم والاحوال الخصوصية أو العمومية التى تطرأ عليهم لينتهزوا مثل هذه الفرص والمناسبات لالقاء المواضيع الاخلاقية الموافقة لهذه الظروف والاحوال ، موضحين مبدأ أدبياً عاماً متخذين واقعة الحال أو الحوادث الجارية مثالا لتطبيق هذه المبادىء الادبية عليها .

وغاية ما ألفتت وزارة المعارف عناية الاساتذة اليه فى هذا الموضوع وقيدتهم به ، هو ان تكون المبادىء الأدبية التى يستلفتون نظر الطلبة اليها ويغرسونها فى قلوبهم مبادىء عملية يسهل على التلميذ تطبيقها فى أعماله اليومية . وحياته العملية. أما البرنامج فيدور حول المواضيع الآتية . —

«واجبات التلميذ» احترام قوانين المدرسة . علاقة التلميذ بالاساتذة . واجبات

التلميذ المدرسية ونحو ذلك

« العمل بالقواعد الصحية » فائدة التمرينات البدنية . الاعتدال فى المأكل والمشرب . نظافه الجسم والملبس والمسكن الخ .

« واجباته المدرسية » ثبات المبدأ . النشاط فى الدرس . الثبات فى احتمال المشقات ومقاومة الصعوبات الخ

«التمسك بالصدق» الصداقة . الاخلاص . الشفقة . المحبة . تبادل التعاون الخ .

« واجبات التلميذ نحو نفسه » تقدير الوقت والحرص عليه . حسن النظام . الوداعة الخ .

«واجبات التلميذ نحو عائلته» التقوى البنوية . المحبة بين الاخوة والاخوات الخ

« واجبات التلميذ نحو حكومته » احترام دستور الامة . احترام القوانين واللوائح . تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة

«واجبات التلميذ نحو الهيئة الاجتماعية» احترام الرؤساء . الفضائل الاجتماعية مسئولية الانسان الناشئة عن مركزه الاجتماعى أو وظيفته أو حرفته الخ

« ما ينبغى على التلميذ عمله لنموه فى الفضائل وتدريب نفسه على ممارستها »

وينحصر واجب الاساتذة عند القاء هذا الدرس فى ايضاح الفضائل . وبيان طرق انمائها فى النفس وترويضها عليها . وبيان اخطار التجارب والسقوط فيها . مع بيان فوائد التمسك بالفضيلة والتعلق باهدابها .

برنامج السنتين الثالثة والرابعة

يتعلم الطلبه فى هاتين السنتين المبادىء الأدبية بايضاح أوفر وتفصيل أوسع مع مراعاة الامور الآتية :-

أولا « واجبات الانسان نحو نفسه » وصحة البدن والعقل . والعناية بهما . تربية الفكر والاحساس . والارادة . والاستقلال . والواجبات الشخصية

ثانياً « واجبات الانسان نحو عائلته » نحو الوالدين . نحو الاخوة والاخوات نحو الابناء والبنات . الزوج والزوجه . الاقرباء . السلف . خدم المنزل

ثالثاً « واجبات الانسان نحو الهيئة الاجتماعية » وهذه تنقسم الى قسمين عامين وكل منهما ينقسم الى فضائل خاصة . أما القسمان العامان فهما (ا) الواجبات نحو أفراد الهيئة الاجتماعيه . و (ب) الواجبات نحو الهيئة فى مجموعها . وها هى بيان الفضائل المتعلقه بكل من هذين القسمين العامين

(ا) «واجبات الانسان نحو أفراد الهيئة الاجتماعيه»

« واجبات الانسان نحو شخصية الغير » شخص ذلك الغير . وماله ـ وكتمان أسراره التى يفضى اليه بها . والوفاء بالوعد ليكون الانسان أهلا للثقة . الشكر والشعور بالجميل والصداقه .

واجبات الصغير نحو الكبير وبالعكس

واجبات المرؤوس نحو الرئيس وبالعكس

واجبات الشبان والرجال نحو الجنس اللطيف

(ب) واجبات الانسان نحو المجموع . التعاون والاتحاد . النظام . الهيئة الاجتماعية . تقدم الهيئه الاجتماعيه . الجمعيات والشركات والمجالس

« واجبات الانسان نحو حكومة البلاد » الامبراطور . العائلة الامبراطورية . الحكومة . الدستور والقوانين . الوطنية . الخدمة العسكرية الضرائب . التربية . الخدمة العمومية . الحقوق العامة

« واجبات الانسان نحو الانسانية » الواجبات نحو الطبيعة بما فيها من حيوان ونبات : الواجبات نحو الحق والنافع والجميل

*
* *

وقد الفتت وزارة المعارف نظر الاساتذة الى وجوب الافاضة والتفصيل فى هذه الواجبات بقدر الاستطاعه . دون ان يتركوا شاردة أو واردة الا أحصوها وأوفوها حقها من البيان . مع ذكر ما يناسبها من الحكم والامثال . وأعمال عظماء الرجال وفضليات النساء . فاذا ألقى الاستاذ درساً عن واجبات الانسان لترقية مداركه العقلية مثلا وجب عليه ان يتكلم عن ماهية العقل وتربيته . وانماء قواه المختلفة والاعتدال فى الاهواء والرغائب . وتربية الشعور والاحساس . وتقوية الارادة وتربية الذوق السليم الخ الخ

وكذلك اذا ألقى درساً عن احترام الانسان لشخصية الغير يلزمه بيان واجبات الانسان نحو حقوق الغير وأفكارهم . ومعتقداتهم . وشعورهم وآمالهم . وأمانيهم الخ الخ

ومما يظهر شدة عناية الوزارة بتربية أخلاق الشبيبة ما نشرته من التعليمات وهى : —

أولا يجب على الاساتذة أن يتذكروا ان تلاميذ السنتين الثالثة والرابعة ثانوية هم فى سن المراهقة وهو طور الانتقال الذى يكونون فيه بحكم حالتهم الجسميه والعقليه عرضة لاخطار أدبيه مختلفه ، يصبحون معها هدفاً لعوامل وتجارب تجعلهم عرضة للسقوط فى التجارب والآثام . ولذلك يجب على الاساتذة . استعمال منتهى الحكمة . والعناية بحفظ شبان هذا حالهم من السقوط بواسطة الوسائل الادبية

النافعة وذلك بتقوية عزائمهم وارادتهم فى سبيل عمل الخير والصلاح وبتعويدهم العادات الحسنة

ثانياً يجب على الاساتذة ان يلاحظوا عند القائهم الدروس عن الواجبات ان مستقبل الطلبة وأعمالهم بعد المدرسة تكون مختلفة ومتعددة . فيجب والحالة هذه أن تكون الامثلة التى يذكرونها لتطبيق المبادىء الادبية متنوعة ومتعددة. ومستمدة من أعمال الحياة المختلفة ودرجات طبقات الهيئة الاجتماعية المتباينه

ثالثاً يجب على الاساتذة ان يلاحظوا عند الكلام على أعمال كبار الرجال ومشاهيرهم عدم التمثيل بأمثلة كثيرة جداً . بل يوجهوا عنايتهم لانتقاء عدد محدود من الامثلة المعتدلة النافعة . الموافقة لظروف العصر الحاضر . وأحوال الطلبه .واذا رأوا فى سيرة أحد المشاهير أو اعماله شيئاً من التطرف والغلو فليحذروا الطلبه منه وليظهروا لهم ما أحاق بذلك الشخص من الضرر . وما انتاب عمله من النقص لتطرفه وتهوره

رابعاً يجب على الاساتذة كلما سنحت لهم الفرصة سواء فى اجتماع مدرسى عام . أو فى الاعياد العامة . أو لحادثة من الحوادث الوطنية أن يدعوا جميع طلبة المدرسة لاجتماع عام ويلقوا عليهم ما يناسب المقام من الخطب الأدبية أو الوطنية المفيدة

برنامج السنة الخامسة ثانوية

يلقى على تلاميذ هذه السنة مبادىء عامة فى الفلسفة الأدبية مع اجتناب المبادىء النظرية التى لا أهمية لها فى الحياة اليومية العملية . والمناقشات العقيمه فى النظريات الخيالية المختلف عليها بين الفلاسفة . بل يجب على الاساتذة ان يقصروا كلامهم على بيان المبادىء العامة المتفق عليها مثل .

المبادىء الادبية العاملة فى تكوين الاخلاق

الضمير . طموح الانسان الى المعالي . والوصول لارقى درجات الكمال . الواجبات . الفضائل وطرق تربيتها وانمائها فى النفوس . العلاقة بين قوانين الفلسفة الادبية والقوانين الطبيعية

الفصل السابع عشر

(التربية الادبية فى فرنسا)

تعليمات عمومية عن التربية الأدبية واغراضها ومميزاتها - واجبات المعلم - اغراض هذه التربية وقيودها - طرق تدريس التربية الأدبية - بروجرام التربية الادبية في مدارس فرنسا - برنامج المدارس الابتدائية - القسم الابتدائى للتلاميذ من التاسعة الى الحادية عشر من عمرهم - القسم الابتدائى العالي للتلاميذ من الحادية عشر الى الثالثة عشر من العمر - برنامج المدارس الثانوية - نتائج نظام التربية الادبية بفرنسا - أقوال العلماء ومشاهير الرجال فى ذلك - رأى المسيو جول ستيج - رأى المسيو ألفرد رمباند - رأى ناظر مدرسة المعلمين العالية بسان كلو - رأى المسيو جول بايو - رأى المستر رجنالد بلفور

نظرة عامة

بدأت الامة الفرنساوية سنة ١٨٨٢ بادخال نظام التربية الادبية فى المدارس الابتدائية أولا ورأت بعد الاختبار فائدة هذا النظام فعملت به أخيراً فى المدارس الثانويه ومدارس البنات العالية

ينقسم التعليم الابتدائى فى فرنسا الى ثلاثة أقسام وهى : —

أولا مدارس الاطفال Ecole Maternelle

ثانياً المدارس الابتدائية

ثالثاً المدارس الابتدائية العالية

ويعطى لكل قسم من هذه الاقسام دروس فى التربيه تناسب قوى التلاميذ العقليه وتلائم عمرهم . ومن يمعن النظر فى برنامج الدروس الأدبيه فى فرنسا يرى انه يقرب كثيراً من برنامج الامة اليابانيه الذى أوضحناه فيما سلف ، ولكنه يرى التعليمات تختلف بعض الاختلاف لاختلاف البلدين تاريخاً ونظاماً ودينا ، ولذلك أرى من المناسب تقديم الكلام على التعليمات التى أصدرتها وزارة معارف الجمهوريه الفرنسيه فى التربية ، ثم آتى بعد ذلك على برنامج التربية الأدبيه فى المدارس المختلفة واختم هذا البحث بفصل يتضمن آراء كبار الثقات فى فرنسا وغيرها عن نتائج العمل بهذا النظام فى فرنسا

***

تعليمات عمومية عن التربيه الادبية اغراضها ومميزاتها

« الغرض من التربيه الأدبيه هو اكمال التربيه المدرسيه على اطلاقها ، حتى يصبح لدى التلميذ فكرة عالية من دروسه ، وينظر الى المدرسه نظرة الاحترام ، ويقدرها حق قدرها »

«الغرض من تدريس العلوم العقليه هو تدريب قوى العقل المختلفة . وتغذيته بالمعارف المفيدة ، أما غرض التربيه الأدبيه فهو تربية الانسان نفسه ، والوصول به الى درجة الكمال الممكن بتربية فؤاده وقواه العقلية وضميره . يظهر جلياً من هذا ان التربية الاخلاقيه فى مستوى أعلا وأرفع من كافة فروع التعليم الاخرى ، ويتوقف ادراك حقائقها على دقة الشعور ، وسمو الاحساس ، والتمسك بالاعتقاد اكثر منها على قوة الاستنتاج والاستدلال المنطق والعقلي البحت»

من ذلك يظهر ان غرض التربيه الاخلاقيه هو تربية الارادة لا اكثار المعارف فهى تدفع الانسان الى العمل لا الى التأمل ، مصدرها القلب لا العقل ، فهى لا

تدقق النظر فى أسباب الأعمال الاخلاقية ؛ وتحليل عناصرها ؛ ولكن مهمتها الاولى الحض على الفضائل ، والتدرب على ممارستها ، والعمل بها ، حتى تصبح عادة راسخه فى الانسان وقانوناً لحياته »

ومما يجب ملاحظته ان التربيه الاديبه لا تدرس لتلاميذ المدارس الابتدائية كعلم بل كفن ، هو فن استمالة التلاميذ لارادة عمل الخير والنعود عليه »

واجبات المعلم

«يجب على المعلم أن يتذكر عند تدريسه فن التربية الأدبيه أنه يمثل الهيئة الاجتماعيه، ومن أهم أغراض الهيئة الاجتماعية ذات النظام الجمهورى المدنى (يشير بذلك الى الجمهورية الفرنسية) أن تربى أفرادها من الصغر بواسطة دروس ومحاضرات على الاستقلال الفكرى ، واحترام النفس ، والشعور بالواجب ، وبالمسئولية الملقاة على عاتق كل فرد نحو الهيئة الاجتماعية»

«وللوصول لهذا الغرض يجب على المعلم أن يتذكر عند مخاطبة التلاميذ انهم ليسوا خلواً من معرفة الخير والشر ، بل ان معظمهم نشأوا فى عائلات تعلموا ويتعلمون فيها عن الله خالق الكون ووالد البشر ، مع ما يرتبط بذلك من عقائد العبادات مسيحية كانت أو يهودية (لان الفرنساويين معظمهم من المسيحيين والاقليه الباقية من اليهود كما لا يخفى) وانهم تعلموا أيضاً المبادىء الأولية فى التربيه ، التى يجب على المعلم أن يعمل على انمائها ويدرب تلاميذه عليها »

«لهذا يظهر جلياً ان مهمة المعلم منحصرة فى انماء وتقوية فكرة الفضيلة فى عقول الطلبة ، والعمل على غرسها فى قلوبهم وتأصيلها فى أفئدتهم، لدرجة لاتقتلعها عوادى الايام وشدائد التجارب والحوادث ، وتعويدهم ممارستها فى حياتهم اليوميه حتى تتشبع نفوسهم بالمبادىء الأدبية التى يشترك فيها جميع انواع البشر على

اختلاف عقائدهم ودياناتهم ، وفى استطاعة المعلم القيام بهذه المهمة بدون التعرض الى المبادىء الدينية المختلفه التى نشأ عليها تلاميذه فى عائلاتهم ، فلتكن عنايته اذاً موجهة لغرس المبادىء الأدبية العامه واضعاً نصب عينيه تدريبهم وتعويدهم ما يهم الهيئة الاجتماعيه ، وهى أن يصبح التلميذ عضواً عاملا نافعاً فى الهيئة الاجتماعية، مطبوعاً على مبادىء عاليه شريفه »

أغراض هذه التربيه وقيودها

من ذلك يظهر ان التربيه الأدبيه فى المدارس ، تختلف عن التربية الدينية دون أن تناقضها ، فان المعلم ليس كاهناً ولا رئيس عائلة بل مهنته أن يسعى ويجتهد ويشترك معهما فى العمل ، ليصبح التلاميذ رجالا أمناء عاملين على ما فيه صلاح الهيئه الاجتماعيه وخيرها ، فهو يعمل دائماً على ما يربط أفراد الهيئة الاجتماعية ويضمهم تحت لواء واحد ويجتنب كل ما يوسع مسافة الخلف بينهم من العقائد والمبادىء المختلف عليها ، ويجتهد فى تعويدهم المبادىء الشريفه وترويضهم على ممارستها فقد يختلف التلاميذ فى كبرهم بما يعتقده كل منهم من العقائد والمبادىء المختلفه ، ولكنهم مع ذلك يعيشون فى وئام واتفاق تامين فى وضع الشرف والمبادىء الساميه نصب عيونهم ، ويشتركون فى استهجان القبيح والدنىء من الاعمال والافكار ، وفى تقدير الواجبات حق قدرها ، والسعى فى الوصول الى درجة الكمال مهما كلفهم ذلك من المشقات ، ويشعرون باتفاقهم على احترام الفضيلة والصدق والجمال وهى من أهم أركان الشعور الدينى »

طرق تدريس التربية الادبية

«يجب أن يكون المعلم أقوى مثال يقتدى به التلاميذ فى أخلاقه ومعاملاته وقدوته ، فان المبدأ الاساسى فى فن التربيه الاديبه ان التعاليم التى لا تخرج من

قلب المتكلم لا تخترق فؤاد السامع ، فالمعلم الذى لا تتجاوز تعاليمه حد تلاوة النصائح الادبيه ، والذى يتكلم عن الواجبات دون اعتقاده شخصياً بوجوبها ، عدمه خير من وجوده ، وضرره أبلغ من فائدته ، لان تعاليم التربيه الادبية بفتور ولمجرد التعليم فقط ، لا لغيرة تتقد في قلب المعلم ، لا تفيد ولا تربى اخلاقاً ، لانها لا تنمى فى التلميذ محبة الفضيلة ولا تترك فيه أثراً يحمله على التعلق بالفضائل ، ولكنك تجد ان أبسط التعاليم الادبيه يتأثر بها التلميذ لما يراه فى المعلم من روح الاخلاص والغيرة ، أفضل بكثير من مئات الدروس التى يلقيها المعلم بتكلف وقياماً بالواجب دون اقتناعه الشخصى بصحتها والعمل بها فى حياته مهما كانت كفاءته الشخصية

ومن البداهة ان من أهم واجبات المعلم اجتناب كل ما يفهم منه عدم احترامه للعقائد الدينيه التى نشأ عليها تلاميذه

برنامج التربية الادبية فى مدارس فرنسا

التربيه الادبيه فى مدارس الاطفال

تنحصر مهمة المعلم أو المعلمه فى القاء قصص أدبيه بسيطه طليه على التلاميذ سواء فى قاعة الدرس أو فى الملعب مع تحفيظهم أبياناً شعرية أدبية بعد تفهيمهم معناها ومغزاها ، وأغانى أدبية بسيطة أيضاً . وأهم عمل للمعلم أو المعلمه هو مراقبة الاطفال مراقبة تامه حتى اذا ما ظهرت بوادر اعوجاج أدبى فى أحدهم . وأميال فاسدة بودر فى استئصالها وبذل الجهد فى تقويمها واصلاحها

﴿ برنامج المدارس الابتدائية ﴾

القسم الأولي : وهو للتلاميذ من السابعة الى التاسعة من عمرهم

محادثات ومطالعات فى مواضيع أدبيه متعارفه . وأمثال وحكم أدبيه وليجتهد المعلم فى حمل التلاميذ على ممارسة الفضائل بالوسائل الآتية : —

أولا بأن يراقب أخلاق كل تلميذ على حدته ويسعى في اصلاح اعوجاجه بلين ورفق وتشجيعه على انماء فضائله .

ثانياً بأن يقدر نظام المدرسة حق قدره ويستخدمه فى التربية .

ثالثاً بأن يربى عواطف التلاميذ ليحملهم على تميز الخير من الشر .

رابعاً بأن يسعى في اصلاح الاوهام الشائعة . ويجتهد فى نزع الخرافات من عقول الطلبة .

خامساً بأن ينتهز فرصة الحوادث التى تمر على الطلبة فيتخذها مثلا يضربه لبيان مبدأ أدبى ووسيلة لترقية أخلاقهم .

القسم الابتدائى للتلاميذ

(من التاسعة الى الحادية عشر من عمرهم)

يتبع المعلم نظام القسم الاولي في القاء قصص وأمثال وحكم مع التوسع المناسب لما بلغه الطلبة من القوة ومراعاة نظام محكم فى تطبيق مايتعلمونه من المبادىء على أعمالهم اليومية ويحسن مراعاة الترتيب الآتى :

أولا الواجبات العائلية والوطنية .

ـ ا ـ الطفل في العائلة : واجباته نحو والديه وسلفه : الطاعة : الاحترام : المحبة : الاعتبار : مساعدة الوالدين فى أعمالهم : القيام بخدمتهم فى مرضهم . والعناية بهم في شيخوختهم — واجباته نحو اخوته وأخواته : محبة الاخوة والاخوات لبعضهم البعض : عناية الاكبر بالاصغر منهم سناً — تأثير القدوة : واجباته نحو الخدم : معاملتهم برفق وأدب .

ـ ب ـ الطفل في المدرسة . الجد والاجتهاد : اللين : النشاط : اللطف ـ واجباته نحو معلميه : واجباته نحو رفاقه .

ـ ج ـ الوطن : عظمة فرنسا ومصائبها : واجبات الطفل نحو الوطن والهيئة الاجتماعية .

ثانياً واجبات الانسان نحو نفسه وماله .

ـ ا ـ العناية بالجسم : النظافة : الاعتدال والعفة : اخطار المسكرات : التمرينات البدنية .

ـ ب ـ العناية بالملك واستعماله : الاقتصاد ـ اجتناب الدين : تأثير المقامرة : الاسراف : البخل الخ الخ

ـ ج ـ النفس : الصدق والاخلاص : شرف النفس: احترام الذات : الوداعة : واللطف : التواضع : اعتراف الانسان بخطأه : اضرار التكبر والغرور والزهو بالنفس : الخلاعة والتغنج : الطيش : الخجل من الجهل والكسل : الاقدام فى أوقات الاخطار والمحن : الصبر : الابتداع الشخصى فى العمل دون التقيد بالتقاليد والقواعد المحفوظة : اضرار الغضب .

ـ د ـ العناية بالحيوان : الرفق به : الهيئة الاجتماعية هى الحامي الطبيعى له

ثالثاً الواجبات نحو الغير

العدل : المحبة : القاعدة الذهبية : عامل الغير كما تريد أن يعاملوك . الرفق : الاخاء : التسامح وسعة الصدر : احترام عقائد الغير وعباداته

ملحوظه : يجب على المعلم عند القاء هذه الدروس أن يفترض وجود الضمير والقانون الادبى والمسؤولية الادبية فى طبيعية كل تلميذ وبذلك يجتهد في التأثير

على عواطف التلاميـذ وضمائرهم . وليجتنب اثبات المبادىء الادبية بالنظريات الفلسفية .

رابعاً الواجبات نحو الله

لايطلب من المعلم أن يلقى درساً على طبيعة الله تعالى وصفاته . بل المطلوب منه أن يعلم جميع التلاميذ على السواء ، أمرين : —

الاول : أن يغرس في قلوبهم الاحترام الكلى لله تعالى . وعدم الاستخفاف باسم الجلاله خصوصاً في كلامهم عنه والاشارة اليه

الثانى : أن يغرس في قلوب الطلبة أنه تعالى خالق هـذا الوجود والذات الواجب الاحترام وينمي فيهم روح الورع الذى يجتهد فى غرسـه رؤساء دياناتهم ومذاهبهم .

بهذه الواسـطة فقط (دون التقيد بنشر العقائد المختلف عليها بين الديانات والمذاهب) يمكن للمعلم أن يغرس فى عقول التلاميذ أن أول واجباته نحو الله هى الطاعة لاوامره تعالى وقوانينه كما يظهرها له تعالى بواسـطة الضمير الذى أودعه فى نفسه .

القسم الابتدائى العالى للتلاميذ

(من الحادية عشر الى الثالثة عشر من العمر) .

يتعلم تلاميذ المدارس الابتـدائية العالية نفس دروس المدارس الابتدائية بتوسع وشرح أوفى مع العناية التامة بالواجبات الاجتماعية والحقوق والواجبات المدنية والوطنية (Civic) المتعلقة بمعرفة حقوق وواجبات الانسان نحو الهيئة

الاجتماعية . والوطن وهاهى مواضيع الدروس : —

العائلة : الهيئة الاجتماعية : العدالة : حالات طبقات الهيئة الاجتماعية : التضامن . الآخاء : المسكرات: (ضررها بالهيئة الاجتماعية وفتكها بشعور الانسان نحو الهيئة الاجتماعية لاضعافها ارادة الفرد وإماتة شعوره بالمسؤولية)

الوطن : بيان واجبات الوطنى الحقيقى (طاعته للقوانين : قيامه واستعداده لاجابة نداء الوطن : اخلاصه للعلم الوطنى) : الضرائب (ذم واحتقار من يختلسون أموال الحكومة ويجتهدون فى غشها وسلب حقوقها) التصويت فى الانتخابات (وهو واجب أدبى فيجب أن يكون حراً : لايخالف الانسان فيه ضميره ويحيد فيه عن الحق للاغراض الشخصية)

الحقوق التى ينالها الوطنى مقابل هذه الواجبات :

الحرية الشخصية : حرية الاعتقاد : حرية واحترام العمل أيا كان : حرية الاجتماع : التأمين على الحياة والمال : سلطة الامة : ايضاح شعار الجمهورية : الحرية والأخاء والمساواة :

ويجب على المعلم عند الكلام على كل موضوع يتعلق بالآداب الاجتماعية . والحقوق والواجبات الوطنية أن يجتنب المناقشات النظرية المجردة ، مع ملاحظة ما يأتى : —

أولا التميز بين الواجب والمصلحة بأن يبين بوضوح تام طبيعة الواجب فى حد ذاته مجرداً عن المصلحة الشخصية والنفع الذاتى

ثانياً التميز بين القوانين المكتوبة والقوانين الادبية فان القوانين المكتوبة تحدد الواجبات مع بيان العقاب الذى يترتب على مخالفة احدى هذه الواجبات . أما

القوانين الادبية فهى ما يكتبه ضمير الانسان على فؤاده من الواجبات التى لا يرغمه أحد على القيام بها ولكن ضميره يقف حارساً أميناً على تنفيذها . فان اهملها شعر فى داخله بأنه اخطأ الى نفسه والى غيره والى خالقه

ولم تكتف الحكومة الفرنسية بوضع البرنامج السابق فى التربية الادبية مع ما نشرته من التعليمات والملاحظات المفيدة بل كلفت لجانا من أفاضل الامة الفرنسية وضعوا الكتب المناسبة لشرح برنامج كل فرقة من الفرق المدرسيه

برنامج المدارس الثانويه

تلقى الدروس الادبية فى المدارس الثانوية بصفة محاضرات حيث يلقى المعلم الدروس فيكتبه كل طالب أو طالبة بلغته أو لغتها باسلوب الكتابة الذى اعتاده كل منهما . وقد يختار بعض الاساتذة طريقة المناقشة فى كل موضوع ويختار البعض الآخر طريقة شرح الدروس ثم يملى بعد ذلك على الطلبة أو الطالبات ماخص ما ألقاه قبل أو بعد القائه

يلقى على طلبة وطالبات السنه الاولى الثانوية مبادىء أولية فى عدة مسائل أخلاقية مثل المسؤولية الادبية : حرية الارادة : الواجب : القانون : الفضيلة : الخ

أما السنتان الثانية والثالثة فيلقى عليهم محاضرات فى الحقوق والواجبات العائلية والاجتماعية : والعلاقة بين العائلة : والوطن وواجبات العائلة نحو الوطن الخ .

ويلقى على طلبة وطالبات السنة الرابعة مبادىء عامة وآراء مشاهير الفلاسفة. مع مطالعة منتخبات مما كتبه كل منهم مثل أفلاطون وارسطو وابكتيتوس (Epictetus) وأوريليوس قيصر ومونتان (Montagne) وباسكال وبوسيه . ثم

يشرح لهم بعد ذلك فلسفة القرن الثامن عشر بايضاح تام حتى ينتهى بهم الامر بدرس فلسفة كانت (Kant) وكتاباته

ويلقى على طلبة السنة الخامسة دروس فى علم النفس (Psychology) مع تطبيقها على التربية .

نتائج نظام التربيه الادبيه بفرنسا

اقوال العلماء ومشاهير الرجال فى ذلك

لما قدم المسيو جول فيرى (Jules Ferry) فى سنة ١٨٨٢ مشروع ادخال التربية الادبية فى المدارس الفرنسية . قامت قيامة المحافظين والاكليروس ونادوا بالويل والثبور وندبوا حظ الامة الفرنساوية وتنبأوا بأفول مجدها وانحطاطها . ولكن هذا لم يثبط عزيمة صاحب المشروع وزملائه الوزراء فدافعوا عنه دفاع الابطال حتى أقره مجلس النواب وصدر به القانون وترك للايام الحكم فى صحته ونفعه أو ضرره ، فحققت الايام آمال المسيو جول فيرى وأشياعه . وأيد الاختبار صحة رأيه وقوله : وقام مشاهير الرجال فى فرنسا وغيرها ينادون بوجوب تعميم التربية الادبية فى جميع المدارس . حتى انضم اليهم كثير من كبار اللاهوتيين والاكليروس فى فرنسا . وقام كثير من رؤساء الكنائس البروتستانتية والكاثوليكيه وكنيسة انجلترا وباشحاخام اليهود فى البلاد الانجليزية يطلبون ادخال التربية الادبية فى المدارس الانجليزية كما سنذكره تفصيلا فيما يلي : ولكننا نكتفى فى هذا الفصل بنقل آراء كبار الرجال فى فرنسا وانجلترا فى نتائج العمل بهذا النظام فى فرنسا .

رأى المسيو جول ستيج Jules Steeg

قال المسيو جول ستيج سنة ١٨٩٤ ما يأتى : « لي ثقة كبرى فى هذه الدروس الأدبية واعتبر ان هذا المشروع الخطير وهو قيام مدارسنا بالتربية الادبية بدون التقيد باجراءات دينية معينة وبدون غرس عقائد دينية مختلف عليها فى قلوب الطلبة، بل بالاعتماد على ضمائر المعلمين والطلبة، هومشروع دينى خطير خارج من صميم الفطرة الدينية فى الانسان فأنعم بتلك الثقة فى الفطرة الانسانية والثقة بالله تعالى الحال في أعماق قلوب الناس التى تسعى التربية الادبية الى احيائها في نفس الانسان »

رأى الموسيو ألفرد رمباند (Alfred Ramband)

وقال المسيو ألفرد رمباند « لايوجد بين قوانين الامة الفرنسية التى صدرت منذ مائة سنة، قانون من أقوى الادلة على ما نالته أمتنا من التقدم اكثر من قوانين التربية . والقانون الذى استبدل التعليم الدينى بالتربية الادبية والمدنية الخارج من أعماق شعورنا الوطنى . أما الفساد الادبى الذى يتخذه المعترضون دليلا على فساد هذه التربية الادبية فليس ناشئاً عن هذه التربية بل عن أسباب أخرى أهمها ما يأتى : —

أولا الانتقال الفجائى من الوصايه تحت القسوس الى الحريه الفكريه المطلقه

ثانياً اهمال بعض المعلمين شأن الكنيسة والاشارة اليها باحتقار وعدم اكتراث . فهو اذاً عيب في المعلم شخصياًلا في النظام نفسه الذى يوجب على المعلم عكس ذلك.

ثالثاً تشجيع الحكومة الفرنسية للمشروبات الروحية (خصوصاً الابسنت

(Absinthe) رغبة فى زيادة الضرائب للميزانيات الحربية الثقيلة وعدم محاربتها لها كما حاربت الحكومة الصينية الافيون وكما حاربت حكومة نروج والولايات المتحدة الاميريكية المشروبات الروحية

رابعاً عدم العمل على منع الكتابات والصور المفسدة للاخلاق

رأى ناظر مدرسة المعلمين العالية بسان كلو

وقد أقامت لجنة معرض باريز العام في سنة ١٩٠٠ قسما خاصاً للتعليم والتربية ومما وضع فيه من التقارير تقريراً مسهبا وضعه المسيو بيير (Piêrre) ناظر مدرسة المعلمين بسان كلو (StCloud) امتدح فيه نظام التربيـة الادبية فـي المدارس وفوائده الجليلة بفرنسا

رأى المسيو جول پايو « JulesPayot »

وكتب أيضاً المسيو جول پايو وهو من أكبر الثقات في فرنسا في فن التربيه قائلا « ان التربيه الاديبه التى لايزال بعضهم يسىء الظن بها ، وكثير من المعلمين لايصلح لالقائها وتعليمها ؛ هى فى مدارس كثيرة نافعه ولذا تقرر ادخالهـا في المدارس الثانوية بعد أن كانت قاصرة على المدارس الابتدائيه

رأى المستر رجنالد بلفور (Reginald Balfonr) المنتدب من لجنة البحث الدولي بانجلترا لدرس نظام التربيه الاديبه بفرنسا ، والمستر رجنالد بلفور هو من كبار أساتذة انجلترا أوفدته اللجنه المذكورة بانجلترا (والتى سنأتى على تقريرها فيما يلي)

الى البلاد الفرنساوية لدرس نظام التربية الأدبية بها واستقصاء نتائجه وبيان فوائده واضراره فكتب تقريراً نأتى على طرف منه قال : « ان جميع من قابلتهم من اللاهوتيين ومديرى المدارس الكاثوليكيه اعترفوا آسفين بان تعاليم أصول الايمان (الكتب الموضوعة فى أصول الايمان المسيحى من بدء الخليقة الى عهد رسل المسيح والحواريين) ليس بها تعاليم اخلاقيه راقيه . واننى آسف انهم لم يسعوا لتلافي هذا النقص بادخال نظام التربية الأدبية والاخلاقية فى مدارسهم مع استمرارهم على تدريس أصول الايمان . ولكننى سررت لوجود استعداد وحركة فى فرنسا لتحقيق أمنيتى هذه واكمال هذا النقص فى التربية الدينية »

« أما رأيى فى مبادىء وتعاليم التربية الأدبية فى فرنسا فيمكننى تلخيصه فى الامور الآتية :»

« أولا ان فوائد التربية الأدبية المدنية لا تقدر في غرس فكرة الوطنية والواجبات الاجتماعية والامانه فى المعاملات التجاريه والمالية ، ويلزم تشجيع هذه الدروس والتوسع فيها »

« ثانياً يمكن تعليم الدروس الاخلاقية والصحية ودروس فى الاعتدال (عدم شرب المسكرات) والعفاف فى أوقات مستقلة عن الدروس الدينية الى درجة محدودة . »

« ثالثاً ان التوفيق بين الرؤساء الدينيين والسياسة فى أمر التربية الاخلاقية الادبية لايتيسر الا اذا انحصرت التربية الادبية فى تعليم الامور السابق بيانها (أى التعاليم الوطنية والاجتماعية والصحية والاعتدال) »

« رابعاً ان تدريس التربية الاخلاقية الادبية بدون التجاء الى الوازع الدينى بل لمجرد قيام الانسان بالواجب نحو نفسه أو نحو الهيئة الاجتماعية لا تكفل

الوصول الى الغرض المقصود من تدريسها وهى تربية الفضيلة الشخصية وتأسيس الفضيلة القومية »

هذه هى خلاصة آراء مشاهير الاساتذة فى التربية الادبية مالها وما عليها ومنه يرى حضرات القراء ان الاجماع قام على وجوب ادخال نظام التربية الادبية فى المدارس لغرس الروح الاجتماعية والوطنية والفضائل الصحية فى نفوس الناشئة وأنها لا تصلح فى تربية الفضائل الشخصيه وترويض النفس على هـذه الفضائل وتنفيرها من الرذائل الا بالاستعانة بالافكار الدينيه وتشويق النفس الى السعى في الارتباط بالله تعالى ، مصدر الحياة ، وموجد الوجود ، وناصر الضعيف ، القوى القدير ، يهب الابرار جنة الخلد والسعادة الدائمة ، ويسوم الاشرار عذاب الآخرة حين تلدغهم أفكارهم لما عملوا من شر ، فيهبطون الى هاوية الجحيم التى لا قرار لها ولا ميعاد لنهايتها

*
* *

ونرى قبل ختام موضوع التربية الادبية اتماماً للفائدة واستيفاء لهـذا الموضوع الجليل من كل وجوهه ان نأتى هنا على بيان وجيز لتلك الحركة الجليلة التى قامت فى انجلترا وأمريكا لهذا الغرض وتقرير اللجنة التى قامت بالتحقيق الدولي لبحث موضوع التربية الادبية ، ثم نتكلم بعد ذلك على أفضل نظامات التربية الاخلاقية التى تصلح للديار المصريه

الفصل الثامن عشر

(تقرير لجنة المؤتمر الانجليزى للتحقيق الدولي)

« في التربية الادبية »

كيف بدأت الحركة — تشعب المسائل وصعوبة الحكم — المسائل الواجب تدبرها وبحثها — اجماع الرأى على عقد مؤتمر — تكوين المؤتمر — تكوين مؤتمر آخر بأمريكا — طريقة العمل التي جرى عليها المؤتمر — الاجماع على وجوب عناية المدارس بالتربية الاخلاقية — العوامل المختلفة لاهتمام الامم بالتربية الاخلاقية — العوامل الاقتصادية — العوامل الصناعية — الاجماع على وجوب ادخال التربية المدنية (Civic) فى برامج التربية الاخلاقية بالمدارس — وجوب تحديد المثل الاعلى في التربية — وجوب تحديد الوازع وصعوبة ذلك — المذاهب المختلفة في العلاقة بين التربية المدنية والتربية الادبية — وجوب اطلاق الحرية للمعلم ضمن دائرة التسامح واحترام العقائد المختلفة — وجوب التعاون بين العائلة والمدرسة في سبيل التربية الاخلاقية — أثر التربية العقلية فى الاخلاق — صعوبة تعريف الشخصية — أهم أركان التربية الاخلاقية بالمدارس — شخصية المعلم — الوسط المدرسى — جمعيات متخرجى الطلبة — مالبعض العلوم العقلية من التأثير الخاص فى فى تربية الاخلاق — تعويد الطلبة مزاولة الامور العملية — امتحانات المسابقة من أعظم آفات التعليم العقلي — نقد المؤتمر لاهمال التربية الاجتماعية والمدنية والاقتصادية — ملحق ببيان

المواضيع التي وضعتها اللجنة التنفيذية للبحث والدرس — المواضيع الخاصة بالتعليم الابتدائي والتعليم الابتدائي العالي — المواضيع التي تحول دون مجهودات المدارس فى تكوين أخلاق الطلبة — الوسائل العملية لزيادة أثر المدارس فى تكوين أخلاق الطلبة — المواضيع الخاصة بالمدارس الثانوية والعالية — المواضيع الخاصة بمدارس المعلمين والمعلمات — المواضيع الخاصة بالمدارس الليلية — المدارس الصناعية والاصلاحيات

وضع الاستاذ م.ى. سادلر (M.E. Salder) أستاذ تاريخ ونظامات التربية بجامعة منشستر Manchester بصفته سكرتير اللجنة، تقريراً ضافياً جليلا ضمنه آراء تلك اللجنة وقراراتها فى موضوع التربية الادبية ومقامها فى سبيل التربية الاخلاقية وامكان العمل بها في بلاد الانجليز . فأتى هذا التقرير جامعاً وافياً ولذلك رأينا أن لايفوت قراء العربية عموماً وابناء مصرنا العزيزة خصوصاً ، الاستفادة به والاستنارة بنوره لعل فيه هدى لنا فى ظلمات نظاماتنا المدرسية وحياتنا الاجتماعية ونشأتنا الاخلاقية فأتينا على أهم جزء من التقرير وهو الآتى : —

كيف بدأت الحركة

أجمعت كلمة بعض كبار الرجال المولعين بالتربية فى بلاد الانجليز وأميركا وهم الدكتور باتون . Dr Paton . والمستر هارولد جونسون . Mr.Harold Johnson والمستر كلفورد بارنس Mr. Clifford Barnes أحد علماء الولايات المتحدة الاميريكية ، والمستر ستيد Mr.W.T.Stead (المعروف في مصر بمجلته مجلة المجلات الانجليزية، على عقد اجتماع قاصر عليهم فاجتمعوا لاول مرة بلندن فى خريف سنة

١٩٠٦ المداولة معاً فيما اذا كان فى الامكان رفع منار الفضيلة ونشر روح مكارم الاخلاق ، وتقوية الفطرة الادبية ، ونمو استعداد الافراد للعمل لمصلحة المجموع وخير الهيئة الاجتماعية ، بواسطة ادخال التربية الادبية فى برامج المدارس وتدريسه للناشئة وتدريبها على تلك المبادىء الشريفة ، وقد حملهم على هذه الحركة وبعث فيهم هذه الفكرة ما كان يشعر به كل منهم بالعمل العظيم الذى قامت به المدارس فى سبيل تهذيب أخلاق الناشئة ، فعقدوا اجتماعهم هذا أملا فى توصلهم بعد البحث والمناقشة الى وسيلة لزيادة تأثير المدارس فى تهذيب الاخلاق وتقوية الفضيلة فى نفوس الناشئة ، بادخال التربية الادبية فى برامج المدارس وتدريسها للطلبة بانتظام متسائلين عما اذا كان لهم فى عمل فرنسا عظة وعبرة ، وفى اختبار الامة اليابانية حجة أقوى ؟

تشعب المسائل وصعوبة الحكم

ولا يظن القارىء أن أفراد هذا الاجتماع مع قلة عددهم أجمعوا رأياً على أمر فقد أسفر اجتماعهم على تباين فى الرأى ، فذهب بعضهم الى وجوب الرجوع الى الوازع الدينى لدعم مبادىء الدروس الادبية ، ورأى آخرون أنه يكفى عند القاء هذه الدروس الادبية فى المدرسة الاعتماد على الفطرة الانسانية والبواعث الاجتماعية ، وقد شعر كل فريق بعد الاخذ والرد وما استند عليه كل منهم من الاسانيد والادلة ، بقوة حجة مناظره وصحة مايذهب اليه من الاعتبارات والادلة ، واستقر بهم البحث الى الاقتناع التام بأن الامر ليس كما ظنوه من السهولة والبداهة ، وأنه يحول دون الوصول الى جواب قاطع فى هذا الموضوع ، البحث فى كثير من المسائل الاخلاقية والاجتماعية العويصة منها مايأتى : -

المسائل الواجب تدبرها وبحثها

أولا : ماهى الشروط الواجب توفرها فى المدارس لتقوم بالواجب عليها فى تربية الناشئة تربية أخلاقية صحيحة ؟

ثانياً : ماهى درجة تأثير القدوة الشخصية ومقدار نصيبها فى التربية الاخلاقية ؟

ثالثاً : ماهى درجة المبادىء الادبية التى ينشأ عليها الانسان بالفطرة ، وما هو مقدار مايكتسبه بالتفكير والتأمل ، ومقدار مايكتسبه بالتعليم المرتب المنتظم ؟

رابعاً . ألا يوجد بين تعاليم التربية الاخلاقية مايجب على المعلم عند تدريسها الرجوع فيها الى الاعتبارات الاجتماعية والقومية والوطنية دون ارجاعها الى أسانيد دينية ؟

خامساً . هل يحسن بالمدارس الاقتصار على هذه التعاليم الاخلاقية السابق بيانها تاركة الامور الروحية والدينية لعناية الوالدين والهيئات الدينية ؟ أليست التربية الاخلاقية وحدة لاتتجزأ جوهرها التعاليم الدينية ؟

سادساً : ما الذى يمكن الاخذ به فى هذه الامور من اختبار الاساتذة فى هذا الديار (يقصد البلاد الانجليزية) واختبار فرنسا واليابان ؟ وقد رأى أعضاء هذه اللجنة أنه لايتسنى لهم الفصل فى المسائل وحدهم

اجماع الرأي على عقد مؤتمر

لذلك اجتمعت كلمتهم على عقد مؤتمر للبحث والتنقيب والنظر الى الموضوع من جميع وجوهه فى المملكة الانجليزية وفى الممالك الاجنبية ، وللوصول لهذا الغرض رأوا من الواجب تأليف لجنة مؤقته مركبة من أفراد الجمعية الاصليه ودعوا اليهم القس بريرلي (Rev.J.Brierely) والمستر . ج . ه . يوكسال (Mr.J.H.Yoxall) أحد أعضاء مجلس النواب الانجليزى ، والمستر سادلر (كاتب هذه السطور الذى دعى ليشغل مركز سكرتير شرف) وبعدذلك بزمن قصير كتبت رسالة أمضاها كل من أسقف ريون (Bishop of Ripon) وأسقف هرفورد (Bishop of Hereford)

وأسقف ستبنى (Bisop of Stepney) والسير ادوارد فراى (Sir.Edward Fry) والمستر ا . ه . ديك اكلاند (Mr A. H. Dyke Acland) والسير أوليفر لودج (Sir. Oliver Lodge) والدكتور باتون (Dr. Paton) والمستر هارولد جونسون السابق ذكره والسكرتير ، وأرسلت هذه الرسالة الى مئات من كبار العلماء ، والاساتذة ، والفلاسفة ، والكتاب السياسيين وأساقفة الكنيسة الانجليزية ، ورؤساء المذاهب الدينية المختلفة فى انجلترا ، وباشحاخام الطائفة اليهودية فيها ، وقد أوضح مرسلو الرسالة الغرض المقصود من عقد المؤتمر ودعوا كل من أرسلت اليه الدعوة الى الانضمام لتأليف مجلس شورى تخضع له لجنة التحقيق المذكورة وترجع اليه فى مباحثها وتخضع لقراراته .

تكوين المؤتمر

صادفت هذه الدعوة صدراً رحيباً ممن أرسلت اليهم ، فانضم الى مجلس الشورى المذكور مايزيد عن السبعمائة من أكبر وأعظم رجال البلاد الانجليزية فى الدين والعلم ، والفلسفة ، والادب ، والسياسة ، ومن ذلك يظهر للقارىء أهمية موضوع التربية الاخلاقية فى المدارس ومقدار اهتمام كبار عناصر الامة الانجليزية به . ومما يستلفت النظر فى مجلس الشورى المذكور ؛ تباين أفراده فى المبادىء الاجتماعية والمذاهب التهذيبيه والمشارب الدينيه لدرجة لم يسبق اجتماع مجلس مثله فى الامة الانجليزية يمثل جميع المذاهب التهذيبيه المختلفه ، والمبادىء الاجتماعية والدينية المتبانيه . وكان لاهتمام أعضاء هذا المجلس وتعضيدهم لاعضاء اللجنه التنفيذيه تأثير كبير ساعد أعضاء هذه اللجنه على القيام بالواجب الخطير الذى ألقى على عاتقهم.

عقد المجلس اجتماعه الاول يوم ٥ فبراير سنة ٩٠٧ فى قاعة ككستون بوستنمستر (Caxton Hall.Westminister) تحت رئاسة المستر جمس بريس

Mr. James Bryce O.M. فوافق على تقرير اللجنه المؤقته وصادق على بروجرام التحقيق وانتخب لجنة تنفيذيه عدد أعضائها خمسة واربعون

تكوين مؤتمر آخر بأمريكا

وقد سعى المستر كلفورد ويبستر بارنس الذى كان له الفضل فى عقد الاجتماع الخصوصى السالف الذكر ، فى تكوين جمعية أخرى بالولايات المتحدة الامريكيه تحت رئاسة الدكتور نكولاس مراى بتلر (Dr, Nicholas Murray Butler) رئيس جامعة كولمبيا بمدينة نيويورك ، لتعاون مجلس الشورى الانجليزى ولتسعى فى نشر التربيه الادبيه ، ونمو روح الوطنيه بواسطة المدارس العامه (المقصود بالمدارس العامه (Public Schools)فى أمريكا هى المدارس الاميريه التى تقوم بواجب التعليم الاجبارى المجانى لكل أبناء وبنات أمريكا للسنة الرابعة عشر من العمر)

وقد أنتهى على عاتق اللجنه التنفيذيه الانجليزيه واجب القيام بالتحقيق والوقوف على المعلومات اللازمه الا ما كان منها خاصاً بامريكا فقد ألقى أمره على عاتق اللجنه التنفيذيه الاميركيه ، ولكن مما يجب ذكره فى هذا المقام ان اللجنه التنفيذيه الانجليزيه مدينة فى ما وصلت اليه الى المساعدات العظيمة التى أمدتها بها اللجنه التنفيذيه الاميركيه وخصوصاً المستر كلفورد ويبستر بارنس ، ولولا هذه المساعدات لما أمكننا التوسع في البحث والتحقيق الى الدرجة التى وصلنا اليها

طريقة العمل التي جرى عليها المؤتمر

وللوقوف على المعلومات اللازمه للبحث ، وضعت اللجنه التنفيذيه الانجليزيه بيان المواضيع الواجب بحثها وطبعها ونشرها [1] ثم سارت فى عملها بان سعت

---

(١) يجد القارىء بيان هذه المواضيع تفصيلا فى ختام هذا الفصل

أولا الى الوقوف على آراء جميع أعضاء مجلس الشورى بما طلبته من كل منهم من البيانات

ثانياً الى الوقوف على أقوال شهود منتخبين من مشاهير الاساتذة الخبيرين

ثالثاً أوفدت بعض مشاهير الاساتذة الى الممالك الآتى بيانها لدرس نظامات التربية الادبيـة المتبعة لديها ، وكتابة تقارير وافية عنها وهى بريطانيا العظمى . وأرلندا . وفرنسا . وألمانيا . وسويسرا . وبلجيكا . ونروج . والدانمارك . وكندا . وزيلندا الجديدة . واليابان .

وقد رأت اللجنة التنفيذية تعضيداً ، وارشاداً تذكره بالشكر ، من جميع طبقات المدرسين والاساتذة فى جميع انحاء الامبراطورية الانجليزية ، والممالك الاجنبية ، ولابد لها هنا أن تعترف بشكرها لوزارة المعارف العمومية الانجليزية ووزارة الخارجية أيضاً لتعضيدهما لها فى الحصول على ترخيص الحكومات الاجنبية لمساعدة الاعضاء الموفدين لزيارة المدارس الاجنبية ومساعدتهم على الوقوف على مايريدون من المعلومات

الاجماع على وجوب عنـاية المدارس بالتربية الاخلاقية

علمنا من البحث في جميع الممالك التى وصلت الى أيدينا تقارير عن التربية الاخلاقية فيها ، أن جميع علماء الاجتماع مجمعون على ما للتربية الادبية فى المدارس من التأثير العظيم والاثر النافع للامة ، حتى أصبحت التربية الادبيـة المحور الذى تدور عليه التربية الحديثة فى العالم ، فاذا أهملت كان الخطر على الآداب عظيما ، ويزيد أمر التربية الادبية أهمية ماحدث فى العالم أخيراً من الانقلابات العظيمة فى النظامات الاجتماعية وانتشار المبادىء والمذاهب الحديثة ، وما حل بالتقاليد القديمة من الوهن وما دخل على العادات والعقائد من التغيير والتبديل ، حتى أصبح من

أول الواجبات على المدارس اعداد الاحداث لمقابلة هذه الطوارىء والتغييرات ، ومن حسن الحظ أن التقارير التى جاءتنا تنبىء بما قامت المدارس من الخدم الجليلة للهيئة الاجتماعية اذا وجهت عنايتها وصادفت تأييداً ساعدها على القيام بواجباتها ، كما أنها أظهرت لنا أن عناية الامة واهتمامها بالتربية لتقوم بخدمتها النافعة يتوقف على مقدار اقتناعها بأثر التربية على حياتها ومستقبلها ومركزها بين الامم ، وبذلك تقطع مثل هذه الامة شوطاً بعيداً في هذا المضمار ويصبح أفرادها أكثر استعداداً لعمل كل مايؤدى الى نمو الناشئة نمواً بدنياً صحيحاً وتثقيف عقولهم . وهما أمران عظيما الاهمية في ذاتهما ويزيدهما قيمة مالهما من الاثر فى التربية الاخلاقية والعمل فى تكوين الاخلاق الفاضلة . وقد يتساءل البعض . أليس فى هذا الميل الى المدارس والنظر اليها كأهم عامل في التربية الاخلاقية اهمال للعوامل الاخرى واظهار ليأسنا من نفع تلك العوامل كا ننا اعتقدنا قطعياً بأن الاختبار أثبت عدم كفاءتها للقيام بهذا الواجب ؟ جوابنا أن من يوجه هذا السؤال يخطىء فهم تلك الحركة القائمة بنشر فكرة استخدام المدارس فى سبيل التربية الادبية . فالواقع أن القائمين بتلك الحركة يدركون تمام الادراك أن المدرسة ليست الا احدى العوامل الكثيرة فى سبيل التربية الاخلاقية . فالعناية بتربية الانسان فى طفولته ، حينما تغرس فى فؤاده المبادىء لاول مرة ، ويبدأ باكتساب عاداته ، ليست من وظيفة المدرسة ولايتسنى لافضل مدارس العالم أن تغرس فى نفس الطفل المبادىء الاخلاقيه التى يكتسبها من الوسط العائلي اذا كان راقياً . يضاف الى ذلك أن التلميذ فى المدارس الخارجيه لايبقى تحت سلطة المدرسه أكثر من ثلث وقت صحوه بل تنقص هذه النسبة الى الربع اذا لاحظنا أيام العطلة المدرسيه . نعم اننا لانتكر على المدارس تأثيرها النافع فيما يعهد اليها القيام به من فروع التربيه . ولكن يجب أن نتذكر أيضاً أنها

احدى العوامل العديدة فى حياة الطفل ولا يكمل عملها الا بضم مجهوداتها الى مجهودات الوسط العائلي والجمعيه الدينيه التابع لها والديه . ومن الوجهة الاخرى لايمكن فصل وظيفة المدرسة فصلا تاماً عن غيرها من العوامل الاخرى فنخص المدرسه بالتربيه العقليه والبدنيه فقط ونترك للعوامل الاخرى القيام بالتربيه الاخلاقيه ، لان للمدرسة على أى حال تأثيراً أدبياً على التاميذ لا ينكر ، فالنتيجه العمليه المترتبه على ذلك هى وجوب البحث فيما يمكن عمله حتى نستخدم ذلك التأثير الادبى للوصول لأحسن النتائج فى سبيل تهذيب أخلاق الطالب ورسوخ الفضيلة فى نفسه .

العوامل المختلفة لاهتمام الامم بالتربية الاخلاقية

فضلا عن ذلك فان عوامل كثيرة كان لها شأن يذكر فى اهتمام الامم الحاضرة بالتربيه الاخلاقيه فى المدارس ، ومن هذه العوامل زيادة الشعور بالتضامن الاجتماعى بين الامم - ذلك التضامن الذى أدى الى شعور كل فرد بالاضرار الكبيرة التى تلحق المجموع من اهمال عائلات كثيرة أمر تربية أطفالهم كما يلحق الوباء الاصحاء فى البلد الذى يحل به . وثبت أيضاً بالاختبار ما كان للمدارس من التأثير النافع في محو بعض الآثار السيئه التى غرستها التربيه العائلية المنحطه فى نفس الطفل . لذلك أصبح عقلاء الامم يعلقون على المدارس آمالا كبيرة فيما يمكنها القيام به من الخدم الجليلة فى هذا الشأن ، خصوصاً متى كان لها من العوامل الاخرى الاجتماعيه معضد ومعين .

العوامل الاقتصادية

ومن العوامل العصرية ما أدخلته الاحوال الاقتصادية من التغيير في أحوال المعيشه بالارياف والقرى عموماً والمدن خصوصاً ، حيث أخذت المسألة الاجتماعيه شكلا جديداً له من المساوىء والمفاسد ما يكاد يفوق ماله من المحاسن . مساوىء

ومفاسد تدعو الافراد عموماً وخدمة الهيئه الاجتماعيه خصوصاً لمقاومتها والا ساءت العاقبه وبئس المصير ، فوجب على المدارس والحالة هذه أن تغرس مكارم الاخلاق وسمو المبادىء فى نفوس الاطفال بالتربيه الاخلاقيه الراقيه . يضاف الى ذلك مايشعر به العالم المتمدين اليوم من وجوب تربية الناشئه على الشعور بواجبات الفرد نحو أمته ، وما يجب علينا نحن كأمة عظيمه (الامه الانجليزية) ذات أملاك واسعه ، غرسه فى قلوب أبنائنا من واجبات كل فرد نحو بقية أفراد مملكتنا العظيمه ورعاياها فى مشارق الارض ومغاربها ، ومع ذلك لايجب أن يغفل عن بالنا أننا كاعضاء ذلك المجتمع الانسانى الكبير علينا واجبات نحوه وله حقوق علينا ، فيجب أن نربى فى نفوس أولادنا الشعور بالواجب عليهم نحو الامم الاخرى أفراداً كانوا أو جماعات .

العوامل الصناعية

يضاف الى ذلك أن ماطرأ على الصناعات من الانقلاب والتقدم ، كان له أثر ظاهر في نظام المعيشة العائلية ، فقد توفرت بذلك سبل الراحه والرفاهيه حتى أصبح الفقير يتمتع اليوم بما كان يعد فى سابق الازمان من أنواع الترف والبزخ لايتيسر لغير الامراء والاغنياء . كما أن هذه الانقلابات والتقدم الذى طرأ على الصناعه فتح أبواب التقدم والارتقاء لكثير من الشبان ومهد لهم سبل العمل والاستقلال وهم أحداث ، فضعفت بذلك سلطة الوالدين على الابناء عما كانت عليه فى سابق الايام . لكل هذه الاعتبارات وجب على المدارس اعداد الطلبة لهذه الحياة الجديدة التى أوجدتها هذه النظامات الحديثه وغرس الفضيلة فى قلوبهم حتى لايكون لهذه الانقلابات تأثير سيىء على آدابهم وأخلاقهم

الاجماع على وجوب ادخال التربية المدنية {Civic} في برامج التربية الاخلاقية بالمدارس

ومن الواضح أن الغرض الذى نسعى فى تحقيقه ، ليس مجرد تحسين الآداب وترقية التربية الاخلاقية وحسب ، بل الوصول بذلك الى تطبيق المبادىء الادبية على حياتنا العصرية وأحوالنا المدنية والسياسية والوطنية ، الواجب على كل فرد في أمة دستورية معرفتها والقيام بها ، وخصوصاً لامة كأمتنا الانجليزية تتوقف حياتها على التزاحم في الصناعة والتجارة .

وجوب تحديد المثل الاعلى فى التربية

هذا ولا يمكن الحكم على خلق فرد أوأمة الا بعد الوقوف على المثل الاعلى الذى يضعونه نصب عيونهم ويسعون للوصول اليه وتحقيقه بواسطة التربية الاخلاقية والمجهودات الاجتماعية ، لان تحديد هذا المثل الاعلى هو المرشد الامين لما يجب التحلي به من الخلق وما يجب التمسك به من المبادىء ؛ وقد اعترض البعض على المدارس لسعيها في وضع مثل أعلى نصب أعين تلاميذها تخضع لاوامره وتسترشد به في طريقها المختنقة بأشواك الصعوبات ، الا ان مؤيدى مذهب التربية الادبية في المدارس يذهبون لوجوب قيامها بوضع هذا المثل الافضل أمام عيون الطلبة وغرسه فى قلوبهم ليسعوا الى تحقيقه . ولكن يوجد كثيرون ممن يعترفون بتقصير المدارس في هذا الصدد ، يحجمون عن مطالبة الاساتذة بوضع هذا المثل الاعلا أمام عيون تلاميذهم وحجتهم فى ذلك صعوبة تحديد المثل الاعلى الاجتماعى وسط هذه المناقشات والمنازعات الصناعية والاقتصادية . الا انه مما لانزاع فيه انه وان كان قصور ادراكنا لبعض الاسباب الاخرى مما يحول دون الاتفاق على مثل أعلى اجتماعى تجمع عليه جميع طبقات الامة ؛ فاننا نجزم بأن لدينا من الاخلاق القومية مايمكن اتخاذه أساساً للتربية الاخلاقيه فى مدارسنا دون نقد أواعتراض ؛ كما أجمع شهودنا على هذا الرأى ، ولادليل على صحة مانذهب اليه أقوى من اجماع

الرأى العام الانجليزى على ماورد بقانون التعليم في المدارس الابتدائية الانجليزية بشأن تعريف التربية الادبية وأغراضها . يضاف الى ذلك أن أبناء هذه البلاد لا يطمحون الى تلقين مبادىء اجتماعية واحدة لكل تلميذ في طول البلاد وعرضها ، بل يكتفون بأن تكون المواضيع العامة المجمع عليها مشتركة تلقى على جميع الطلبة ؛ وفيما عدا ذلك فانه لا خوف علينا من الاخطار الناشئة عن وحدة التعليم ، ولا عن حدة المناقشات الاجتماعية العقيمة ؛ لان نظاماتنا التهذيبية الادارية تفتح مجالا واسعاً لحرية العمل لتختار كل مدرسة ماينا سب أخلاق الوسط الذى تعيش فيه وما يتفق مع عقائد آباء التلاميذ الذين يتلقون العلم بها

وجوب تحديد الوازع وصعوبة ذلك

بقيت أمامنا صعوبة أشد مما سبق بكثير ؛ ألا وهى صعوبة تحديد الوازع ، لاننا اذا وفقنا الى وضع برنامج للتربية الاخلاقية تقبله جميع طبقات الامة ، ظهرت لنا صعوبة تحديد الوازع الواجب الرجوع اليه لحمل نفوس الطلبة على احترام هذه المبادىء الاخلاقية وخضوعهم لها ، فقد كان اختلاف الاراء فى تحديد الوازع أكثر من اختلافهم على برنامج التدريس .

تنحصر هذه الاراء في ثلاثة وهى وان اختلفت من الوجهة النظرية الا أنها في نظرنا متفقة من الوجهة العملية : —

الرأى الاول الوازع الدينى . الثانى الوازع الاجتماعى أو المدنى أو الوطنى . الثالث الوازع الشخصى

قد لوحظ أن كثيراً من الامور الاخلاقية كالنظافة والرفق بالحيوان ومحبة الاوطان يكفى لتأييدها فى نفوس الطلبة الرجوع الى الوازع الاجتماعى أو الوازع الشخصي أو لكليهما معاً وهذا هو رأى جميع المذاهب بالاجماع ، ولكن مما لا نزاع

فيه أن مواضيع أخرى مثل التقوى، والصدق، والامانة، والرفق بالضعيف، لا يمكن اقناع الطلبة بالتخلق بها دون الرجوع الى الوازع الدينى ، ولهـذا أجمع المؤتمر انه لايمكن الاحاطة بمواضيع التربية الاخلاقية دون الرجوع الى الوازع الدينى

هذه النتيجة فتحت باب المناقشات والتساؤل في أى وازع دينى يجب الرجوع اليه في مدارس الحكومة وهى كما لا يخفى قائمة بمجموع أموال أفراد الامـة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم الدينية ؛ صعوبة حل هذا السؤال لاتسوغ الهرب منه بانكار الوازع الدينى بالمرة ، والاقتصار على نظام التربية الادبية وحده ، بل يجب أن يرجع كل أستاذ في تعليم بعض الفضائل الاخلاقية الى وازع دينى ما . ففى نظر الامة اليابانية ينصرف لفظ دين الى الديانات الوثنية والمذاهب المسيحية ، وفى فرنسا ترى كثيرين من أساتذة مدارس الحكومة تتدفق تعاليمهم بروح دينية حقيقية دون تقيدهم باحدى المذاهب المسيحية ، والنتيجة أن المعول عليه فى هذا المقام هو الروح الدينية الحقيقية والجوهر دون العرض

فعلى كل أستاذ عند تدريسه بعض الفضائل الاخلاقية أن يرجع الى الوازع الدينى بالمعنى السابق ايضاحه مهما كانت عقيدته أو مذهبه .

المذاهب المختلفة فى العلاقة بين التربية الدينية والتربية الادبية

بقى علينا بيان المذاهب المختلفة فى علاقة التربية الادبية بالتعليم الدينى وهذه المذاهب أربعة . المذهب الاول : ـ وأصحابه يذهبون الى أن التربية الدينية والتربية الادبية عنصران لايتجزآن ولا ينفصلان . المذهب الثانى : ـ وأصحابه يذهبون الى عدم وجود رابطة بين التربية الدينية والتربية الاخلاقية على الاطلاق بل يعتبرون كلا منهما قائماً بذاته وهؤلاء يطلبون أن يكون التعليم فى المدارس القائمة بأموال الامة قاصراً على التربيـة الادبية مجردة عن الاساس الدينى .

المذهب الثالث : - وأصحابه يعترفون بأن الملجأ الاخير لكل التعاليم الادبية هو الوازع الدينى ولكنهم يرون أن التعليم الدينى هو من واجبات العائلة والجمعيات الدينية ، وأنه يجب أن يقتصر عمل المدرسة على تعليم المبادىء الاخلاقية التى يرجع فيها الى وازع عام يشترك فيه جميع أبناء الامة على السواء . المذهب الرابع : - وأصحابه يذهبون الى أن التربية الدينية والتربية الادبية متصلتان فى بعض الامور الهامة ، وان تكون دائرة تعاليمها منفصلة تمام الانفصال في بعض الامور مثل آداب السلوك والفضائل الاجتماعية والوطنية ، فانه لاسبيل الى اكمال التربية الاخلاقية الا باستكمال الطفل لعنصرى التربية الاخلاقية أو التربية الادبية والتربية الدينية ، ولذلك يجب أن يكون نظام التربية الاخلاقية فى المدارس القائمة بأموال مجموع الامة مؤسساً على التربية الادبية والتربية الدينية على وجه ملائم لجميع الطلبة المختلفى العقائد مع ترك الحرية للمدارس المذهبية الدينية لتعليم عقائدها لابناء من يذهبون هذا المذهب الدينى .

كان لكل مذهب من المذاهب الاربعة أنصار ، الا أن السواد الاعظم من أفراد الامة الانجليزية من أنصار المذهب الرابع . على أن ماوصل اليه علماء علم النفس أخيراً من اكتشاف الوسائل التى تساعد على تشبع أفكار الاطفال والناشئه بالروح الدينيه ، وتستقر بواسطتها الروح الدينيه فى نفوسهم ، تذلل الصعوبات السابق بيانها حتى ذهب بعضهم الى حد الاعتقاد بأن فى الامكان وضع نظام للتعليم الدينى يقبله أصحاب المذاهب الدينيه المختلفه ، وان كان يذهب أغلب أعضاء المؤتمر الى أن ارتقاء طرق التعليم لن تؤثر على الاختلافات الدقيقة بين العقائد الدينيه . ولكنها مع تقدم التعليم ومضى الزمن تضعف كثيراً من حدة المناقشات المذهبيه

وخلاصة القول اننا رأينا بعد البحث أن لكل بلد من البلدان ولدى كل أمة من الأمم مثلا أعلى للفضائل الشخصية والوطنية يمكن اتخاذه أساساً للتربية الادبية فى المدارس ، ويمكن لحكومة كل أمة الاستعانة بهذا الاجماع على المثل الاعلى الشخصى أو الوطنى واتخاذه أساساً تبنى عليه برامج التربية الادبية فى مدارسها الاميرية ، ولكنها تخطىء اذا اتخذته الاساس الوحيد فى سبيل تربية أخلاق الناشئة لان أهم الامور الاخلاقية يرجع الى الوازع الدينى ، ولذلك ذهبت أغلبية المؤتمر الى وجوب اطلاق الحرية للناس فى عقائدهم الدينية وفى تعليمها لخلفهم وان هذه الحرية لازمة لمصلحة أمة كأمتنا ، للوصول الى الوحدة الحقيقية فى نظام التربية عندنا .

وجوب اطلاق الحرية للمعلم ضمن دائرة التسامح واحترام العقائد المختلفة

وتعتقد اللجنة فوق هذا أن حل المسألة يصبح هيناً يسيراً اذا اطلقت للمعلم حرية التعليم داخل احترام عقائد الغير والتحفظ من الاشارة الى عقيدتهم بسوء ، واذا وجد التسامح لدى أهل العقائد المختلفة فسمحوا بتعليم أولادهم عقائدهم الدينية فى المدارس العامة ، فان اللجنة تعتقد أن مواضيع الواجبات والاخلاق التى يمكن تدريسها فى المدارس تكثر الى درجة الاجماع المطلق (ان لم يكن اجماعاً تاماً) من جميع طبقات الامة على مبادىء عامة تجعل أساساً للتربية الاخلاقية فى مدارسنا على العموم ، كما انه يمكن الوصول الى الوحدة التامة فى الامور الاخلاقية باطلاق حرية الرجوع الى أكثر من وازع واحد لا باقامة نصوص القانون الوضعى حاجزاً دون الرجوع الى الوازع الروحى زعماً من واضع ذلك القانون أن هذا يؤدى الى وحدة الاخلاق ، أما اذا خولت المعلمين حرية العمل ضمن دائرة الاعتدال والحكمة لخطونا بالتربية الاخلاقية خطوات واسعة نحو التقدم والنجاح وانتفعنا بهذه الحرية نفعاً محسوساً

وجوب التعاون بين العائلة والمدرسة فى سبيل التربية الاخلاقية

هذا وقد أوصلنا البحث الى الاقتناع التام بأنه لو نالت التربية الاخلاقية المدرسية من التربية العائليه العون الكافي ؛ ومن الهيئات الدينية التعضيد الوافي ، لأثمرت ثمراً صالحاً وأورثت فؤاد الطفل ميراثاً دائماً من المبادىء السامية والاخلاق الصالحه ، ولترتب على ذلك انتشار روح الوطنية ورسوخها في قلوب جميع أفراد الامة كما وقع في اليابان .

أثر التربية العقلية فى الاخلاق

أما وقد اقتنعنا بأن الاعتماد على التربية الاخلاقية المدرسية وحدها ، لايكفل الوصول الى الدرجة الاخلاقية الراقية مهما ارتقت درجة المدرسة ، فلا نغمض حق التربية العقليه المدرسيه وما لها من الفضل والأثر الفعال والفوائد الملموسة في تطهير نفس التلميذ مما علق بها من الاوهام الناشئة عن الأوساط المنحطة التى شب عليها ، لان التربية المدرسية تنفخ في التلميذ روحاً جديدة وآمالا عالية تولد في نفسه روح الاستقلال والبحث ، وتوجد لديه شعوراً تاماً بواجبه نحو الهيئة الاجتماعية ، وتكون خير معوان له على نزعات الشهوات الى الشر ، وأقوى حارس له ضد التجارب والمفاسد

قد يسألنا البعض في هذا المقام ما هى الطرق التى تتبعها المدارس للوصول لاحسن النتائج في التربية الاخلاقيه ؟ وما هى أفضل الوسائل لتغذية نفوس التلاميذ بأسمى الاغراض والمقاصد الادبية والاجتماعية ؟ جوابنا هو اختبار علماء الاخلاق ، فقد ثبت لديهم أن نمو الانسان الاخلاق ووصوله الى ذروة الفضيلة يتناول عدة أمور ، منها توجيه العواطف للمقاصد الشريفة ، وتقوية الارادة ، وثبات العزم على وجهة خير ومقصد سام يرمي اليه الفرد في حياته ، ومن البديهى انه لايتيسر للوصول الى هذه الغاية اتباع قاعدة واحدة لان المشاهد بالاختبار أن تلاميذ

المدرسة الواحدة بل وأعضاء العائلة الواحدة الذين نشأوا تحت سقف واحد وشبوا تحت عوامل واحدة وفقاً لنظام بيئة واحدة ، يختلفون عن بعضهم اختلافا شاسعا فى قوة مداركهم العقليه وأميالهم الاخلاقيه ، وذلك لان فى طبيعة كل فرد من الافراد عوامل وراثية مختلفه تتأثر بالبيئة تأثراً مخصوصاً وتؤدى الى نتائج لا يمكن لأعقل وأحكم الناس التنبؤ بها

يضاف الى ذلك أن طرق التربية الاخلاقيـة تختلف باختلاف سن التلميذ ، فما يكفى من التأثير على الطفل لا يكفى للتأثير على الصبى أو الصبية ، وما يناسب الاخير لا يصلح للشاب أو الشابة ، ويلاحظ أيضاً أن مسألة التربية الاخلاقية فى المدارس الخارجية تختلف عن المـدارس الداخلية ، وأن ما يصلح لتربية البنات لا يصلح لتربية الاولاد ، كما أن نظام التربية يختلف اختلافاً كلياً عن جميع ماسبق بيانه فى المدارس التى يتعلم فيها الاولاد والبنات معاً وخصوصاً فى طور الشباب

يظهر جلياً من ذلك أنه لا يتيسر وضع نظام واحد للتربية الاخلاقية لكل تلك الظروف والاحوال المختلفة ؛ ومن هـذا يتبين أن أتم حل للمسألة أن يترك للمعلم (بشرط أن يكون على خلق كريم وكفاءة تامة للقيام بهذا الواجب) مجالا واسعاً من الحرية لاختيار مايراه مناسباً من طرق التعليم ولالقاء ماينا سب المقام من النصح والارشاد ، سواء عرضا عند سنوح الفرصة المناسبة بطريق المحادثة الفردية ، أوبواسطة الخطب العامة ، على فرقة أوعلى المدرسة جميعها ، ولهذا رأت اللجنة الفات النظر الى الامور الآتيه :

(١) قد ظهر لنا من التحقيق أن أعظم الثقاة والاخصائيين يعتقدون أن أقوى عامل فى التربية الاخلاقية هو شخصية المربى سواء كان معلماً أو أحد الوالدين ، أوصاحب حرفة لديه شاب تحت التمرين ، أو رفيقاً فى المدرسه أو المعمل أو العائلة

أكبر سناً وأرشد عقلا

صعوبة تعريف الشخصية

(٢) على أنه يصعب كثيراً تعريف الشخصية وبيان أركانها ومميزاتها، ولكن بالرغم من هذه الصعوبة فان المجمع عليه أن أثر شخصية المعلم أو غيره يرجع الى عدة أمور منها العطف المتبادل بينه وبين التلميذ، ومنها بعد النظر وتأثير القدوة، والقوة الادبية الناجمة عن التمسك بمطمح أدبي سام، مع اختيار أحكم طرق التأثير ليستطيع المعلم أسر عواطف المتعلمين بالحكمه واللطف

يضاف الى ذلك أنه يجب أن يترك لروح الزمن أو البيئة الحكم على صواب أو خطأ احدى طرق تعليم الآداب وتربية الاخلاق، فالمعلم لا يستطيع مقاومة الالحاد والكفر المنتشر الآن بين الشبان، الا باستعمال منتهى الحكمة والالمام التام بالفلسفة الادبية ومذاهبها، كما يجب عليه عند النظر في عيوب التلاميذ تقدير البيئة التي نشأ فيها كل تلميذ، والعادات التي شب عليها، فمن المشاهد المحقق أن اختلاف النظر الى بعض الفضائل والرذائل لا يوجد فقط بين الامم المختلفة، بل قد يختلف هذا النظر بين الطبقات المختلفة في أمة واحدة، فما تقدره احدى طبقات هذه الامة فضيلة قد تعتبره طبقة أخرى منها نقيصه، كما أن بعض الرذائل لا تمقتها طبقات أمة واحدة بدرجة واحدة، فقد تتسامح فيها احدى هذه الطبقات بينما تستنكرها طبقة أخرى من نفس الامة بشدة متناهية

يترتب على هذا الاختلاف في النظر، التفاوت بين الفضائل والرذائل، حتى لترى أن عدم تقدير احدى الفضائل لدى أمة أو طبقة من طبقات الامة، يعادله تقديراً أكبر لاحدى الفضائل الاخرى وبالعكس، هذا التباين والخلاف في وجهة النظر منشأهما غالباً التوارث القومي والتقاليد الاجتماعية، فيجب والحالة هذه على

الاستاذ الماهر الخبير أن يقدر هذه الاحوال المختلفة ويقابل هذه العقائد المتباينة بما يليق من سعة الصدر ، فيعالجها بالحكمة ودقة النظر والاشتراك فى الشعور والاحساس والعطف على الطلبه

أهم أركان التربية الاخلاقية بالمدارس

رغماً عن كل هذه الاختلافات الناشئة عن اختلاف الاحوال الاجتماعية والتهذيبية ، أجمع رأى أعضاء المؤتمر بعد البحث والتدقيق ، على امكان وضع مبادىء عامه يسترشد بها عند وضع نظام عام للتربية الادبية فى المدارس وأهم هذه المبادىء هى : - شخصية المعلم - العطف - الكفاءة الاخلاقية - العناية - العدالة - صفاء الطوية - النظام - الثبات - توجيه الفكر للامور الروحية والالهية - الايمان بالخلود

شخصية المعلم

فأهم ركن للتربية هو اخلاص المعلم وشعوره بسمو عمله ومركزه فى حد ذاته دون النظر الى النفع المادى والشهرة الظاهرة ، ولا يسعنا بهذه المناسبة الا شكر العناية لاقبال الكثيرين من أبناء الامة الانجليزية على هذه المهنة السامية ، ولانه يوجد فى كل أمة متمدينة عدد كبير من أعاظم رجالها الحقيقيين قاموا بهذه الخدمة الجليلة لابناء أوطانهم ، فعاشوا وماتوا وأسماؤهم مدفونة فى عداد تقاويم أبطالها المجهولين

على أنه لا يحسن اكتفاء المعلم بشعوره بسمو مركزه بل يجب عليه محافظة على سمو هذا المركز وحفظاً لتقاليد حرفته الشريفة أن ينكب دواماً على العمل والتحصيل ليكون بذلك معلماً قديراً وأستاذاً ماهراً ، كفؤاً لاشغال هذا المنصب السامي

ويجب على الامة من الوجهة الاخرى أن تهيىء للمعلمين فيها طرق معاشهم

بسعة، حتى ينصرفوا للاهتمام بمركزهم وعملهم دون أن يمر بخاطرهم أمر المستقبل فيوجد لديهم القلق والجزع على شيخوختهم اذا أطال الله في عمرهم، وعلى أولادهم الذين يتركونهم من بعدهم ، فتشوش هذه الخواطر على أفكارهم وتذهب بصفاء عقولهم وسماحة طباعهم ، لان أعظم خطر يهدد مستقبل التربية والتعليم ويقضى على النظامات التهذيبية الحديثة ، هو خيبة المسعى فى استمالة أعظم الرجال والنساء استعداداً للقيام بهذا العمل السامي ، فيضطرون للابتعاد عن الاشتغال بالتعليم فلا يقبل عليه الا البليد غير الكفؤ

الوسط المدرسي

يتلو شخصية المعلم أهمية فى سبيل التربية الاخلاقية الوسط المدرسى ، وجوهر هذا الوسط روحى يتغذى بالمؤثرات الروحية ويظهر في أشكال خفية غامضة ، ولكن قوامه وعوامل نجاحه ، النظامات الرشيدة التى تسير عليها ادارة المدرسة ، والمبانى المنتظمة الفسيحة المزدانة بالاشكال الجميلة ، والموقع الصحى ، فقد أجمع الثقات على ما لتوفر الوسائط الصحية (مثل توفر النور والهواء والغذاء والملبس والنوم الكافي والتمرينات البدنية)من التأثير العظيم على أخلاق الطلبة ، فان الالعاب الرياضية المعتدلة (اذا لم يذهب نظار المدارس فيها مذهب الغلو بتفضيل مهرة اللاعبين على غيرهم دون نظر الى أخلاقهم) يصبح لها تأثير نافع للغاية على وسط المدرسة الاخلاق

كذلك نرى الوسط المدرسى يرتقى ارتقاء محسوساً اذا ترك للتلاميذ من الادارة القدر الكافي ، لانه يربى فيهم الشعور بالمسئولية وهذا الشعور يساعدهم على النمو وسلوك سبيل الترقى والتدرج في القيام بمسئوليات أكبر وأعظم ، فقد أظهر الاختبار أن ما اتبعته المدارس الثانوية والعليا في انجلترا من نظام الحكم الذاتى فى

ادارتها بواسطة الطلبة نجح نجاحاً باهراً ، وارتق بخلق الطلبة الى درجة استلفتت أنظار القائمين بالتعليم فى العالم حتى اتبعته المدارس فى ألمانيا وأميركا ونجحت نجاحاً باهراً

ويجب علينا هنا عند بيان العوامل المفيدة فى ايجاد الوسط المدرسى النافع فى تكوين أخلاق الطلبة أن نذكر الامور الثلاثة الآتية :

الاول أن يترك لناظر المدرسة فى الادارة الداخلية حرية كافية فى العمل دون التقيد التام بالتعليمات والنظامات (وقد ضرب الكاتب الانجليزى على ذلك أمثلة لتأييد هذا المبدأ لم نر داعياً لترجمتها لانها حوادث محليه تاريخيه لايقدرها الا بعض الانجليز الواقفين على تفاصيل تاريخ الحوادث ونتائجها)

جميات متخرجي الطلبة

الثانى ايجاد رابطة متينة بين المدرسة والطلبة المتخرجين منها ، فان تذكار الصبا والاجتماعات المدرسية وروابط الأخاء بين الطلبة مع ما يتخلل ذلك من السرور والشعور بالاخلاص للمدرسة ، وحفظ الطلبة الجميل لها فى قلوبهم ، لها تأثير نافع على ايجاد وسط أخلاق راق فى المدرسة وقد أثبت الاختبار ما نجم من الفوائد الجليلة والرقى الاخلاق فى المدارس التى قامت بانشاء جمعيات متخرجى الطلبه

الثالث الاجتماعات الدينية وجمال مبانى المدرسة وتنسيق ملاعبها وحدائقها لها تأثير نافع جداً على أخلاق الطلبة فى مدة الدراسة وبعدها ، على انه يجب علينا هنا ان نذكر أن الثقات ألفتوا نظرنا الى ما ينجم عن كثرة الاجتماعات الدينية من قلة التأثير ، فقد ثبت ان كثرة هذه الاجتماعات تضعف تأثيرها على قلوب وعقول الطلبة ، كما أظهر واعدم ثقتهم الكبرى فى تأثير المواعظ الدينية على الاخلاق الى الدرجة المزعومة

(٣) يضاف الى العاملين السابقين عامل ثالث لا يقل عنهما أهمية الا وهو برنامج التدريس الذى تظهر فيه شخصية المعلم

ما لبعض العلوم العقلية من التأثير الخاص فى تربية الاخلاق

وقد اجتهدنا كثيراً فى مباحثنا ومناقشاتنا أن نتبين أى الدروس المدرسية لها الأثر الاكبر فى خلق الناشئة، وقد أجمع الشهود والاخلاقيون على أن درس آداب اللغة هو أهم درس لهذا الغرض بعد درس الكتاب المقدس درساً جيداً (١) فيتلوهما فى نظر أغلب الاساتذة درس التاريخ أو درس الرياضيات أو درس العلوم الطبيعية، وقد شهد الكثيرون بما للموسيقى الرافية والأغانى الادبية من التاثير النافع على الاخلاق كما ثبت أيضاً أن الرسم وكثيراً من العلوم والاعمال اليدوية لها أثر نافع فى تكوين الاخلاق .

تعويد الطلبة مزاولة الامور العملية

وقد أثبت الاختبار فى بعض مدارس العصر الحاضر ان ارشاد الطلبة وتدريبهم على مزاولة الاعمال المختلفة له مزايا وفوائد جليلة ، فاشتغال التلميذ بالامور العملية سواء من باب الولع والتسلية ، أو من قبيل خدمة المدرسة هو من أفيد الامور لصرف أوقات الفراغ وقد تفردت بذلك جمعية الاصدقاء باميركا (Society of Friends) فاستفاد الطلبة من ذلك فوائد جليلة وأفادوا المدارس أيضاً

ومن البديهى انه متى كان التدريس حسناً وبرنامج الدراسة مرتباً ترتيباً عقلياً منطقياً، فان التعليم العقلي يكون له حسن الاثر على خلق التلاميذ وخصوصاً النشيط الذكى منهم .

---

(١) وفي هذا المقام نستلفت الانظار الى أهمية اختيار الكتب النافعة وانشاء مكتبة مدرسية مفيدة من مجموعة هذه الكتب مع ايجاد علاقة بين المكاتب العمومية والمدارس وعلى المعلمين السعى فى تربية أذواق التلاميذ وانماء ملكة مطالعة الكتب المفيدة فيهم

ويجدر بنا هنا الاعتراف أن اشتغال التلاميذ وانهماكهم بالامور العقلية ليس من مميزات السواد الاعظم من تلاميذ المدارس الانجليزية الاميرية ، ومع ذلك فلا يجب أن يفهم من اعترافنا هذا أن التعليم العقلي فى مدارسنا الاميرية عقيم وان هذه المدارس فقيرة العقول ، لان القول بهذا من السخافة بمكان اذ لايوجد الا القليل من مدارس العالم تضارع كلية ايتون (Eton College) وكلية ونشستر (Winchester College) وغيرهما فى قوة تعاليمها العقلية

امتحانات المسابقة من أعظم آفات التعليم العقلي

ومن أعظم آفات التعليم العقلي فى مدارسنا الثانوية تغالينا فى امتحانات المسابقة ، ولكن اخطار هذا الاجهاد هو فى مدارسنا الثانوية للاولاد أقل بكثير من المدارس الثانوية فى البلاد الاخرى ومن مدارس البنات الثانوية في بلادنا وخصوصاً بين اللاتى يعددن أنفسهن لحرفة التدريس ، وقد أثبت الثقاة أن الوقت الذى تقضيه الطالبة فى المذاكرة والتفكير هو أحسن الاوقات لنموها البدنى والعقلي والاخلاقى .

نقد المؤتمر لاهمال التربية الاجتماعية والمدنية والاقتصادية

ومن الامور المعيبة فى نظام تعليمنا الاهلي اهمالنا لتدريس الامور الاجتماعية والاقتصادية فى مدارسنا الاميرية مع اننا لو قمنا بتدريس هذه الامور تدريساً منتظماً وخصوصاً فيما يتعلق بالواجبات الاجتماعية والوطنية ، لقمنا بواجب عظيم نحو الطلبة والوطن معاً ، فعلى نظار المدارس ومجالسها الادارية اعداد من يرشحونهم للتعليم للقيام بهذه الواجبات بواسطة القاء دروس علمية وعملية من طرق ونظامات الادارة المحلية والعمومية ونظاماتنا الاجتماعية والصناعية فان أهم ماينقص الطلبة في هذا العصر ويجب عليهم تعلمه ، هى الامور العصرية مؤيدة بالامثلة التاريخية والمبادىء الاقتصادية ، وعلى الاساتذة أن يشغلوا أفئدة وعقول الطلبة بحب البحث

والاستقراء فى المسائل الاجتماعية بالوسائل العلمية واقناعهم اقناعاً تاماً بأن مسألة الاصلاح الاجتماعى هى من أهم المسائل وأصعبها ، وأن مناقشات الاحزاب فى هذه الامور تزيدها غموضاً وتعضيداً حتى يشعر الطلبة قلبياً أن من العار والاسف السكوت على هذا الحال ، وعدم تدريس هذه المسائل الهامة وتطبيقها على المبادىء العلمية والفلسفية ، لان نتيجة هذا الاهمال عدم اشتغال الطبقات الراقية في انجلترا بالمسائل الاجتماعية ، وتركها لافراد الطبقات الاخرى الذين لم يكن لهم من مركزهم المالي والاجتماعى وسائط التربية والتهذيب المتوفرة لافراد الطبقات العالية .

ملحق

(ببيان المواضيع التى وضعتها اللجنة التنفيذية للبحث والدرس)

رأيت من الواجب اتماماً للفائدة وايفاء للبحث وتبياناً لطرق البحث والعمل التى يتبعها الفرنسيون في مؤتمراتهم ومجتمعاتهم أن أنقل الى العربية هذا الملحق لعله ينير طريق سيرنا فى الحركة التهذيبية التى أرجو لها المزيد والرقى الحقيقى وقد وضعت تلك اللجنة أسئلة لاعضاء المؤتمر لكل قسم من أقسام التعليم بترتيب درجات التعليم وهى كما يأتى :-

أولا - المواضيع الخاصة بالتعليم الابتدائى والتعليم الابتدائى العالي

« ا »

(١) مقارنة بين العلوم المدرسية المختلفة فى بيان تأثيرها على الاخلاق

(٢) ماهى نتائج نظامات التربية الاخلاقية المتبعة فى الوقت الحاضر سواء كانت بواسطة التعليم الدينى أو بغيره ؟

(٣) هل تعتقد أنه يمكن الوصول الى نتائج أفضل في التربية الاخلاقية بوسائط أخرى مضافة الى الوسائط المعلومة التى هى شخصية المعلم ونظامات التدريس والوسط المدرسى والالعاب ؟ واذا كنت من هذا الرأى فهل تعتقد أن ذلك يكون

ا - بطريقة التدريس الضمنى كتدريس الاخلاق ضمن دروس آداب اللغة والتاريخ ؟ أو

ب - بجعله قسما من التعليم الدينى ؟ أو

ج - بجعله درساً خاصاً فى الاخلاق وتربيتها دون ارتباطه بالدروس الدينية ؟ أو هل تعتقد أن الجمع بين هذه الطرق الثلاثة أفضل ؟

(٤) الى أى حد يصل التعليم المدرسى الحالي بالطالب من وجهة ادراك واجباته المدنية والوطنية ؟ وهل اختبرت تدريس الوطنية بواسطة القاء دروس خاصة موضوعة لهذا الغرض ؟

(٥) ماهو الحد الذى وصلت اليه كل مدرسة من مدارسنا بنظاماتها الحالية لتتوصل بذلك الى ايجاد روح المسئولية الشخصية وشعور الطلبة بها ؟

(٦) فوائد ومضار الجمع بين الاولاد والبنات فى التعليم الابتدائى والتعليم الابتدائى العالي

(٧) هل تستصوب ادخال التمرينات الحربية ضمن النظامات المدرسية ؟

(٨) طريقة المكافآت والعقوبات

(٩) ماهى الدرجة التى وصلت اليها المدارس في عصرنا الحاضر فى الجمع بين عمل المدرسة وأعمال متخرجيها فى حياتهم بعد المدرسه ؟

« ب »

الموانع التى تحول دون مجهودات المدارس فى تكوين أخلاق الطلبه

(١) أحوال الوسط العائلي والهيئة الاجتماعية

(٢) حالة الاطفال الصحية ـ نقص العناية الصحية والمراقبة الصحية ـ تدخين صغار السن

(٣) تشغيل التلاميذ بعد أوقات المدرسة

(٤) الزيادة فى عدد تلاميذ الفرق وعدم تمكن المعلمين من مراقبة كل طفل بالذات وتعليمه تعليما مستقلا

(٥) عدم اتساع الوقت لدى المعلمين حتى يتمكنوا من ايجاد الروابط بين المدرسة وعائلات التلاميذ ومتخرجى الكلية ـ المشغوليات الكتابية العديدة على نظار المدارس ومساعديهم الحائلة بينهم وبين المراقبة التامة على المدرسة والتعارف بعائلات الطلبة أيضا

(٦) عدم توفر الروابط الكافية بين المدارس وأرباب الاموال وأصحاب الاعمال الذين يشتغل لديهم متخرجو الكلية

(٧) التغالي فى مبدأ المركزية لادارة المدارس

(الوسائل العملية لزيادة أثر المدارس فى تكوين أخلاق الطلبه)

(١) النظامات النافعة فى التمرينات البدنية والالعاب الرياضية باعانات الحكومة لمساعدة المدارس للقيام بهذا الغرض بهبتها أراض فسيحة للالعاب الرياضيه .

(دعوة التلاميذ الى الخلوات والمنتزهات فى غير أوقات الدراسة)

(٢) افساح المجال لكبار الطلبه وتخويلهم بعض السلطة الادارية فى حفظ النظام .

(٣) اختبار نظام التربية الادبيه

(٤) اختبار تأثير القاء دروس خصوصيه فى الاعتدال وقواعد حفظ الصحه

(٥) تعديل البرامج المدرسيه بالاكثار من الدروس العمليه والحرف اليدوية (كالتجارة والطباعة الى آخره) وزيادة ساعات تدريس التاريخ وآداب اللغة وتشجيع الطلبه على مطالعة الكتب الغير مدرسيه بايجاد مكاتب مدرسيه واحكام الروابط بين المدارس والمكاتب العمومية . تحسين وتشجيع الأغانى المدرسيه والموسيقى فى المدارس

(٦) تشجيع اللجنة الادارية لكل مدرسة ومساعدة ناظر المدرسة وأساتذتها الاكفاء على ما يريدون ادخاله من الاصلاح ، وابتداع الطرق الحديثه فى التربية والتعليم دون التقيد بالنظامات

(٧) السعى فى جمال المدارس من الداخل والخارج

(٨) ايجاد جمعيات مدرسيه من الطلبه

(٩) القاء الخطابات الادبية على التلاميذ بواسطة ناظر المدرسة وأساتذتها

(١٠) السعى لاشتراك عائلات الطلبه فى احوال المدرسة بايجاد روابط بين العائلات والمدرسة حتى يتمكن الوالدان والمدرسة من مراقبة التلاميذ مراقبة تامة فعلية تتبادل معلوماتها وملاحظاتها والوقوف على خطوات تقدمهم أوتأخرهم

(١١) تنظيم الاجازات المدرسيه حتى يسهل على التلاميذ زيارة معاهد التعليم الراقية والمتاحف والاقامة فى الخلوات والمنتزهات

(١٢) انشاء نواد مدرسيه من متخرجى الطلبه

ثانياً — المواضيع الخاصه بالمدارس الثانوية والعاليه

(١) مقارنة بين العلوم المدرسيه المختلفه من وجهة تأثيرها على الاخلاق وهل

يحسن أن نعدل برامج التعليم بالاكثار من الاشغال العمليه والتعليم اليدوى

(٢) ما هى نتائج نظامات التربية الاخلاقيه المتبعه فى العصر الحاضر سواء كان بواسطة التعليم الدينى أو بغيره ؟

(٣) هل تعتقد انه يمكن الوصول الى نتائج أفضل فى التربيه الاخلاقيه بواسطة أخرى مضافة الى الوسائط المعلومة التى هى شخصية المعلم ونظامات التدريس والوسط المدرسى والالعاب ؟ اذا كنت من هذا الرأى فهل تعتقد أن ذلك يكون

ا - بطريقة التدريس الضمنى كتدريس الاخلاق ضمن دروس آداب اللغة والتاريخ ؟ أو

ب - بجعله قسما من التعليم الدينى ؟ أو - ج - بجعله درساً خاصاً فى الاخلاق وتربيتها دون ارتباطه بالدروس الدينيه ؟ أو هل تعتقد أن الجمع بين هذه الطرق الثلاثة أفضل ؟

(٤) أهمية الثبات على التربيه الاخلاقيه والاضرار الناجمة عن كثرة التنقل من مدرسة الى أخرى وترك التلميذ المدرسة قبل ختام السنة المدرسيه

(٥) الموانع الخصوصيه التى تحول دون مساعى المعلمين فى تربية أخلاق الطلبه الناجمة عن أحوالهم العائليه - مثل الترف العائلي والموانع الاجتماعيه التى تستغرق كل أوقات الفراغ لدى التلميذ (كالمراقص وغيرها) ونقص النظام العائلي والتربيه العائليه

(٦) المقارنة بين المدارس الداخليه والخارجيه للصبيان والبنات من وجهة تأثيرها على الاخلاق

(٧) كيف يتسنى العمل بالنظامات التي نجحت فى المدارس الداخليه وفى المدارس الخارجيه وهي كما يأتي : -

ا - النظامات البيتيه - (ب) - تنظيم الالعاب الرياضية فى المدرسة وكيفية صرف أوقات الفراغ - (ج) - الجمعيات المدرسيه - نظام الحكم الذاتى فى حكومة المدرسة بتخويل كبار الطلبة بعض الحرية فى الادارة وحفظ النظام

(٨) هل يتسنى اشتراك آباء التلاميذ فى أحوال المدرسة لايجاد رابطة بين العائلة والمدرسة دون الوقوع فى خطر تداخل الوالدين فى نظامات المدرسة أو أعمالها ؟

(٩) لأى حد وصل التعليم المدرسى الحالي بالطالب الى ادراك واجباته المدنية والوطنية ؟ وهل اختبرت تدريس الوطنية بواسطة القاء دروس خاصة موضوعة لهذا الغرض ؟

(١٠) ما هى نتائج مجهودات المدارس فى تشجيع الطلبه على الاعمال الاجتماعية وعمل الاحسان مثل الارسائيات المدرسيه ونوادى الطلبه والطالبات وجمعيات التطريز وغيرها ؟

(١١) ماهى المجهودات التى بذلتها المدارس لاعداد الطلبه لاعمالهم بعد المدرسة كأعداد الطالبات للاعمال المنزليه ؟

(١٢) هل تعتقد ان التمرينات الحربيه (الجمناستيك) هى من النظامات المدرسية المفيدة ؟

(١٣) طريقة المكافآت والعقوبات

(١٤) فوائد ومضار الجمع بين الاولاد والبنات فى التعليم وخصوصاً فى سن المراهقة وما فوقه

(١٥) العوائق الاخلاقية فى سبيل الاولاد والبنات اثناء حياتهم المدرسيه وخصوصاً فى المدارس الداخليه

ثالثاً ـ المواضيع الخاصة بمدارس المعلمين والمعلمات

(١) ماهى المجهودات التى تبذلها مدارس المعلمين والمعلمات لاعداد الطلبة والطالبات لتدريس التربية الاخلاقية ؟ والرجاء أن يذكر على الخصوص دروس علم النفس النظرية والعملية

(٢) ما الذى تعمله جمعيات التربية فى اعداد المعلمين والمعلمات لتدريس التربية الاخلاقية ؟

رابعا ـ المواضيع الخاصة بالمدارس الليلية

(١) هل يستصوب ليتمكن متخرجو المدارس العامة من الاستمرار على التعليم والدرس فى طور الشباب أن تخول الحكومة حق مراقبة [١] الاولاد والبنات من وقت خروجهم من المدارس العامة الى بلوغ سن السادسة عشر أو السابعة عشر ؟ واذا كان هذا الامر مستحسناً فما هى التعديلات الواجب ادخالها على نصوص القوانين الحالية فيما يختص بعدد ساعات العمل ؟

(٢) هل تتخذ الوسائط لجعل التدريس فى المدارس الليلية نافعاً وموصلا لفهم الوطنية وذلك مثلا بواسطة

ا ـ التربية البدنية الاجبارية وتعليم دروس حفظ الصحة

ب ـ تعليم الواجبات الوطنية والمدنية ومسئولية الانسان نحو وطنه

ج ـ جعل التعليم فى المدارس الليليه مؤهلا لفهم الطلبة حاجات الحرف

---

(١) الغرض من ذلك عدم اهمال العناية بتربية الاولاد والبنات بعد قيام الامة بتربيتهم التربية الاجبارية المجانية، بل وجوب العناية بأمرهم حتى يبلغوا سن السادسة عشر من عمرهم بايجاد تشريع لهذا الغرض ليكون خطوة للتعليم الاجبارى لهذا السن ومنع ارهاقهم

والصنايع وزيادة الروابط بين ممثلي أصحاب الاعمال ورؤساء النقابات الصناعية وبين رؤساء ومديرى المدارس الليليه

د - زيادة الروابط بين نوادى الاولاد والبنات وماشاكلها وبين المدارس الليله

خامساً - المدارس الصناعيه والاصلاحيات

(١) الى أى حد من الفائدة يؤدى الجمع بين التعليم الصناعى والتعليم العلمى العام في سبيل تهذيب وتكوين الاخلاق ؟

(٢) هل وصل التعليم العلمى العام في هذه المدارس الى درجة راقية ومفيدة ؟

(٣) هل التعليم العلمى يساعد التلميذ على الدخول فى المدارس الصناعية الراقية ؟

(٤) هل يستحسن زيادة الروابط بين المدرسة ومتخرجى الطلبه ؟ واذا كان الامر كذلك فما هى الوسائل التى ترى اتخاذها للوصول لهذا الغرض

(٥) هل الاختبارات العلميه التهذيبيه المشاهدة فى المدارس الصناعيه تدعو الى التفكير فى ادخال التغيير والتبديل على برامج المدارس الاعتيادية

الفصل التاسع عشر

« الخلاصه »

ماهى أفضل نظامات التربية الأخلاقية التي تناسب الامة المصرية

أهمية الموضوع ووجوب تبادل البحث والمناقشة فيه — لنا في اليابان مثل أعلى — نداء لزعماء وقواد الامة المصرية — خلاصة الامور المجمع عليها في التربية الاخلاقية — نظام التربية الدينية — وجوب العناية بحسن اختيار المعلمين ووضع كتب أخلاقية للمعلمين والتلاميذ — نظام التربية الادبية — شخصية المعلم ووجوب العناية بانتقاء المعلمين وسبيل زيادة كفاءتهم ومعلوماتهم

أهمية الموضوع ووجوب تبادل البحث والمناقشة فيه

لابد من التصريح في هذا المقام ان تصدى شخص بمفرده لوضع نظام لاحسن طرق التربية الاخلاقية لبلادنا المصرية، هو فوق قوة الفرد مهما كان عالماً قوياً، فكيف به اذا صدر منى أنا الشاعر بعجزى المعترف بتقصيرى وقصورى، لذلك رأيت قبل ابداء رأيى فى الموضوع الذى أعتبره أهم موضوع يجب اشتغال الامة المصرية به، بوضع أساس متين نبنى عليه تقدمنا العصرى اذا أردنا أن نطرقه من أبوابه الحقة، ورمنا السلوك فى سبيله القويم، أن أوقف القراء على ما وقفت عليه من نظامات التربية الاخلاقية المختلفة فى مشارق الارض ومغاربها فى عصرنا الحاضر، حتى يتسنى للقراء بعد ذلك الاسترشاد بنور علوم غيرنا واختباراته، فلا يكون مركزى فى هذا المقام سوى مركز داع الى التفكير والعمل

هذا ولا أعتبر ما أبديه من الآراء والافكار فى هـذا الموضوع الخطير ، سوى مجرد نظريات وآراء ، أرجو أن تكون دعوة الى زيادة البحث والمناقشة المبنية على العلم ، وسعة الصدر ، والاخلاص للوطن ، لعلنا نصل الى نتيجة يحسن العمل بها

وأرانى فى هذا المقام مضطراً لدعوة كبار العقول فى مصر ، واساطين الاخلاقيين والاخصائيين فيها الى عقد مؤتمر للتربيه لبحث هذه المسألة الهامة التى أعتقد أنها أهم المسائل المصرية ، وانى واثق اننا اذا وصلنا الى حلها حلا صحيحاً قمنا بأعظم ما يجب علينا نحو أبناء جيلنا ، وأبناء الاجيال المقبلة من المصريين ، ومهدنا السبيل الوحيد للرقى الصحيح الذى تسعى ونجد مصر للوصول اليه ، لتتبوأ مركزها اللائق بها بين الامم ، وتكون فى الشرق الادنى كالامة اليابانية الرشيدة التى تنبهت لخطورة ما نحن بصدده ، وبذلت العنايه لتذليل الصعوبة فوفقت لحلها ، كما رأينا من مقال وزير معارفها الذى سبق لنا بيانه تفصيلا

لنا فى اليابان مثل أعلى

ويخلق بنا فى هذا المقام أن نهتدى باختبار تلك الامة الشرقية العجيبة ، ونقتدى بها فى ما اتخذته من الوسائل النافعة فى الاخذ بمحاسن المدنية العصرية والابتعاد عن مفاسدها ، فقد سارت تلك الامة فى ذلك سير الحكيم العاقل ، باستقلال وتعقل ، فلم تأخذ عن الغربيين كل شىء عندهم لمجرد أنه غربى ، وبذلك أمكنها المحافظة على ما حسن من تقاليدها القوميه وأخلاقها وعاداتها الوطنيه ، كما أنها لم تتقيد بأمة غربية مخصوصة فاقتصرت على مجرد نقل قوانينها ونظاماتها الادارية وبرامجها العلميه كما فعلت مصر ، بل أعملت الفكرة فى كل أمر قبل الاقدام على العمل فنجحت فى اختيار أحسن ما فى المدنيه الغربيه دون السقوط فى مساوئها ،

فاستفادت من اختبارات غيرها ، وبذلك اقتصدت وقتاً ومالا ومجهودات ، وكللت مساعيها بالنجاح الى الدرجة التى وصلت اليها ، كما هو معلوم ومشهور اذ حاربت المدنيه الغربيه بسلاحها فغلبتها كما ظهر ذلك فى عدة أمور أشهرها بين العالمين الحرب اليابانيه الروسيه ، ثم ما قامت به من الاشتراك الفعلي فى الحرب الدوليه الاخيرة حتى انتزعت من ألمانيا أملاكها فى الشرق البعيد ، وطهرت البحار الشرقيه من بواخرها ، ثم استولت على أسواق التجارة فى الشرق بين البعيد والقريب ، حتى أصبح لها مقاماً كبيراً فى عالم التجارة والصناعة والسياسة ، ومواقف جميلة ومبادىء قويمة لانقل عما هو معروف لنا ، وان كان لا يعرفها الا من يعنى بالوقوف على تفصيلات أحوالها ، كما ظهر ذلك جلياً فى الحرب الكبرى

يهمنا فى هذا المقام درس أسلوبها فى الاخذ بالمدنيه الغربيه الذى يتبين لنا منه أنها سارت فى كل فرع من فروع النظامات والاعمال قبل وضع أو اتباع نظام فيه ، سير أفضل الامم الغربية وأرشدها ، فهى اذا همت بعمل بدأت أولا بدرسه درسا علميا وعمليا دقيقاً داخل بلادها وخارجها ، مستعينة فى ذلك بكبار الاخصائيين من الاجانب الذين تدعوهم خصيصا الى بلادها ، ولا تكتفى بذلك بل توفد أنجب أبنائها ، وأذكاهم ، وأكملهم تربيـة ، وأقومهم أخلاقا ، الى أعظم وأقوى الامم الغربيه فى أوروبا وأمريكا ، حيث يقضى كل منهم فى احدى تلك الامم سنة بل سنوات لدرس ذلك الموضوع وبحثه من كل وجوهه ، ومتى أتموا مهمتهم عادوا الى اليابان ليكونوا من مجموعهم لجنة فنية ينضم اليها الاخصائيون الغربيون ، للمناقشة فى الموضوع ، ولهم من المعلومات ولديهم من الاختبارات مايساعدهم على وضع أفضل النظامات والقوانين فيما يشتغلون فيه

لذلك يرى المتأمل فى نظاماتها ، أنها أخذت عن كل أمة من الامم الغربيه أحسن

نظاماتها ، فقانونها المدنى مأخوذ عن القانون المدنى الالمانى الذى اشتغل فى وضعه أشهر علماء المانيا وقضاتها مدة خمس وعشرين سنه ، وقانونها الجنائى عن القانون الايطالي ، وقانونها فى المرافعات المدنية والتجارية عن القانون المرافعات النمساوى

وتراها مع ذلك غير قانعة بما وصلت اليه ، بل هى دائماً أبداً في حركة واشتغال بأمر الاصلاح ، لانها علمت بالاختبار أن الوقوف على حال هو مبدأ الرجوع الى الوراء ، وأن العالم فى تقدم وارتقاء وحركة دائمة فلابد لمن أراد الحياة والارتقاء والتقدم ، أن يكون في اشتغال دائم ، مستعداً لاتباع أفضل النظامات فى كل شىء ، حتى يسير مع الزمان ويرتقى مع العالم ، والا داسته المزاحمات ، وابتلعته المطامع الاجنبية ، وبين يدى الآن تقرير وزير معارف تلك الامة اليابانية العجيبة عن السنة الدراسية سنة ١٩٠٨ المتداخلة فى سنة ١٩٠٩ يرى المطلع عليه أن جل اهتمام الادارة العمومية فى وزارة المعارف . وأن شعار تلك الوزارة بل الامة بأسرها الاصلاح ، الاصلاح ، الاصلاح ، همهم الدائم اجتناب ما أظهر الاختبار فساده وعدم نفعه ، واتباع المفيد النافع ، ليسيروا دائماً في طريق النمو المطرد ، والنجاح المتزايد

نداء لزعماء وقواد الامة المصرية

فلعل قواد الرأى العام في مصر ، ومن بيدهم أمر التعليم فى مجالس المديريات والعاصمه ، يرون فى منهج اليابان الذى أثبت الاختبار صحته ونجاحه ، سبيلا يتبعونه ولو على سبيل الاختبار ، وليس بعزيز على كل مجلس من مجالس المديريات ، أن يوفد أحد المصريين النابغين في فن التربية ، الى أوروبا وأميركا بضع شهور فى السنه ، ثم يؤلفون منهم بعد أوبتهم جمعية ينضم اليها بعض الاخصائيين من الاجانب

والوطنيين للنظر فى أمر التربية عموماً، والتربية الاخلاقية خصوصاً، لعلهم يوفقون لوضع نظام عام، فنجنى بذلك نتيجتين تكفلان لنا النجاح والفلاح، أولهما الوصول الى أحسن حل لهذه المسألة الهامة، وثانيهما توحيد التربية الاخلاقية فى جميع المدارس والكتاتيب، فينشأ أبناء الاجيال المقبلة كرجل واحد، على مبادىء أخلاقيه، واجتماعيه، ووطنية واحدة، فيزول ذلك التنافر والتباغض الذى سجل علينا ذلك القول المأثور، «اتفق المصريون أن لا يتفقوا»! ومتى تمت لنا الوحدة في النظر الى أمورنا الاجتماعيه والاقتصاديه والوطنيه، فككنا من عقالنا، وتيسر لنا النجاح اليوم كافراد، فتنجح جمعياتنا، وأحزابنا وشركاتنا الاقتصاديه، والماليه، والزراعيه، والصناعيه، فلا يمضى على ذلك زمن طويل حتى تصبح مصر يابان ثانيه متمتعة بالحرية الحقيقية في جميع أحوالها الاجتماعيه، والاقتصاديه، والزراعيه، والصناعيه، ومتى تم لنا ذلك، نظرت الينا أوروبا بغير العين التى تنظر الينا بها اليوم، وخففت من غلوائها، وفقنا الله الى مافيه نجاحنا وتقدمنا، ووفق تعالى المشتغلين بالامور العامة، والمتصدرين لقيادة الرأى العام، فيضمون أصواتهم القوية الى صوتنا الضعيف لهذا المسعى الجليل

على أن هذا النداء والرجاء لا يمنعنى من ابداء رأيى، الذى أطرحه كمجرد اقتراح، مسترشداً بما سبق لي ذكره وماطالعته عن النظامات المختلفة، واختبارات الامم المتعددة فى مشارق الارض ومغاربها فى هذا الموضوع الخطير

خلاصة الامور المجمع عليها فى التربية الاخلاقية

وأرى من الصواب قبل ابداء اقتراحاتى أن ألفت نظر القارىء الى المبادىء والامور المتفق عليها بين العلماء وكبار الاساتذة فى موضوع التربيه الاخلاقيه وهى كما يأتي :-

أولا ان التربية الدينية لازمة لترقية الفضائل الفردية وانماء الاخلاق الذاتيه

ثانياً ان نظامات التربية الدينية وطرق تعليم الدين كما هو الآن فى مدارس أغلب الامم لم توفق للدرجة المطلوبة فى سبيل الاخلاق لانها تسير فى تلقين المبادىء الدينيه كعلم من العلوم المدرسيه حتى أصبح التلميذ يتعلم المبادىء الدينية كما يتلقن قواعد النحو والجبر فلا تتأثر نفسيته به، وقد سبق ذكر أقوال بعض أكابر المصريين والالمان فى هذا الصدد، والنتيجة التى نستفيدها من ذلك هى وجوب اصلاح نظام التعليم الدينى المتبع الآن

ثالثاً ان مادخل أخيراً على عالم الصناعة والتجارة من النظامات الحديثة الناشئة من الاختراعات والمبادىء الاجتماعيه والسياسيه الحديثه أوجبت ووجب على المدارس اعداد الطلبة للسير فى تيار هذه الاعمال، وتعليم الناشئة المبادىء الاديبه، والاجتماعيه والاخلاقيه اللازمة للسير فى هذه الحياة الجديدة

رابعاً ان الدروس الاخلاقية المؤسسة على المبادىء العلمية، والاختبارات الطبيه، أقوى بكثير من التعاليم الأخرى في اقناع الطالبة بالعدول عن الافراط فى الشهوات، وتمسكهم بالطهارة، والاعتدال، في المشرب، والمأكل، والملبس، من مجرد التعاليم الدينيه، وخصوصاً لمن لم يصل شعوره الدينى الى درجة عليا من الاختبارات الروحيه

خامساً ان الاعتماد على الدروس الاديبه أو الدينيه في غرس روح الفضائل الشخصيه والوطنية والاجتماعيه، فى قلوب التلاميذ لايأتى بالغرض المقصود، ان لم يضع الاساتذة نصب عيونهم تنبيه اذهان التلاميذ الى الفضيلة على الدوام كلما سنحت الفرصة بهذا الارشاد، سواء كان أثناء الدروس الاعتيادية، أو بمناسبة الحوادث الطارئة والاعياد الوطنيه

سادساً ان روح التربية هو شخصية المعلم وسمو آدابه ومقدرته العقليه ، ولا يمكن الاستفادة من التربية الاخلاقية والتأثير على عواطف وأخلاق الطلبة ، بدون توفر هذه الصفات فى المدارس عموماً ومدرس التربية الاخلاقية خصوصاً

سابعاً ان أخلاق الطلبة تتأثر كثيراً بالوسط المدرسى ، والنظامات المدرسيه ، وحسن تنسيق المدرسه ، وموقعها الصحى ، ونظافتها ، وجمالها ، وحسن رونقها الداخلي .

ثامناً يجب على المدرس جذب عواطف آباء التلاميذ نحو المدارس ، وايجاد الروابط المفيدة بين العائلات والمدارس ، لتعاونهما على اصلاح أخلاق الطلبة بما يقف عليه كل منهما من معلومات وآراء الآخر عن خلق الطالب وأطواره ، ليتفقا على ما يجب تطبيقه على حالته الشخصية من المبادىء الاخلاقية القوية الكافلة لتهذيب أخلاقه

تاسعاً انه يحسن بالمدارس تخويل كبار الطلبة الذين تتوسم فيهم حسن الخلق وقوة المعارضة بعض السلطة فى بعض نظام المدرسة وفصل الخصومات بين التلاميذ

عاشراً ان للجمعيات والنوادى المدرسية تأثيراً عظيما فى سبيل تكوين الاخلاق ومحافظة متخرجى الطلبة على ما أرضعتهم المدرسة من المبادىء وما نشأوا عليه من الفضائل

أما وقد وقفنا على هذا الاجماع فى هذه الامور ، وعرفنا آراء واختبارات أهل الذكر وذوى الرأى السديد فى أمر التربية فى انجلترا والمانيا وفرنسا ومصر واليابان ، فأتقدم الآن لابداء اقتراحاتى فيما أظنه أحسن نظام يجدر بنا اتباعه فى ديارنا المصريه للتربيه الاخلاقيه

نظام التربية الدينية

أولا لانزاع فى أن الدين هو روح الآداب ومنبع الاخلاق الصحيحة المنزهة عن الاغراض والمطامع الشخصية ، وهو أساس تربيتنا الاخلاقية من قرون طويلة ، كما هو حال الشرق قاطبة ، فالشرقيون يختلفون عن الغربيين في تغلب عواطفهم على عقولهم ، والدين موطنه العواطف ومركزه الفؤاد ، ولذلك كان الشرق من قديم الازمان مهبط الاديان وموطن الانبياء والرسل ، فان جاز لبعض الامم الغربية تجريد التربية الاخلاقية من روح الدين ، فلا يجوز لامة شرقية كتابية كالامة المصرية ، أن تسير على هذا المنهج لان الوازع الدينى والرجوع الى خالق قادر ، خالق لكل الكائنات واقف على السرائر المدفونة فى أعماق القلوب ، لهو أقوى عامل فى اصلاح الاخلاق

بل اننا لو رجعنا الى الامم الوثنية لرأيناها ترجع الى الوازع الدينى الذى تحترمه ، فى اصلاح أخلاق الناشئة وتربيتها ، وقد رأى المطلع فيما سبق ، أن الامة اليابانية التى جعلت أساس تربيتها الاخلاقية نظام التربية الادبية ، لم تنجح فى الاستفادة بهذا النظام الا بالرجوع الى الوازع الدينى المشخص فى الميكادو الذى ينظر اليه اليابانيون نظرة تختلف عن نظر بقية العالمين الى ملوكهم وأمرائهم ، بل يتطلعون الى أوامر الميكادو كما يتطلعون الى الاوامر الدينيه

لذلك أرى وجوب جعل التعليم الدينى من أركان تربيتنا الاخلاقية دون جعله الركن الوحيد فيها ، لما سلف وما سيأتى ذكره من الاسباب ، على ان رأيى هذا لايتعدى المبدأ ، أى اتخاذ روح التعاليم الدينية من أركان تربيتنا الاخلاقية ، ولكننى لا أرى ولا أوافق على سيرنا فى التعليم الدينى على المنهاج الذى نسير عليه اليوم ، لان نظامات التعليم الدينى المتبعة فى الكتاتيب والمدارس ، بعيدة عن تربية الاخلاق

وترقية العواطف وتهذيب النفوس بعد الارض عن السماء ؛ فيجب علينا إذن أن ندقق النظر فى برامج التعليم الدينى فى المدارس المصرية اسلامية كانت أومسيحية ؛ ونعيد النظر فيها ، ونعمل فيها أفكارنا مجردين ذاتنا عن المؤثرات الشخصية والدينية ، واضعين نصب عيوننا جوهر الدين وغرض الشارع الدينى منه ، وهو اصلاح النفوس وتقويم الاخلاق ونشر الفضيلة ،التى تظهر آثارها فى المعاملات لافي مجرد الخطابات والعبادات والنظريات ، متخذين مبدأ الدين المعاملة أساساً لتعديل برامج التعاليم الدينية ؛ فاذا اتفقنا على هـذا المبدأ ، اتفقنا على اخراج كل أنواع العبادات النظرية وكذلك المناقشات الدينية العقيمة من برامج تعاليم مدارسنا فى الدين ؛ واقتصرنا على التعاليم التى تحض على مكارم الاخلاق والفضائل الشخصية كالصدق ، والامانة ، والاستقامة ، والعفة ، ومحبة الوالدين والاخوة ، والاقرباء والاعداء ، واغاثة الملهوف ، والزكاة ، والرفق بالفقير ، والتسامح ، والاعتدال ، وهذه التعاليم لايختلف فيها الدين المسيحى عن الدين الاسلامي فى شىء اللهم الا بين المتعمقين من المشايخ والقسوس ؛ وهو من باب العبادات التى لاتهم الناس فى معاملاتهم التى يخرج بها رؤساء الدين الى حد مخالف لجوهر الدين وأوامر الله تعالى ، الذى لانخاله يرضى عن تلك المناقشات التى لايقصد بها المتنافسون الاتمجيد ذواتهم وجر المغانم لاشخاصهم

بهذا السبيل نصل الى نتيجة محمودة ، تنقل العالم المصرى والمصريين أفراداً وجماعات الى ذلك العصر الذهبى الذى يتوق اليه كل مخلص لبلاده ؛ ألا وهو تربية الناشئة على تناسى الفوارق التى يكبرها فى الاذهان ذوو الاغراض الشخصية ؛ لاننا نتمكن ، متى اتفقنا ، على قصر برامج التعليم الدينى عندنا على الفضائل الخاصة بالمعاملات ، أن نضع برنامجاً عاماً يشترك فيه المسيحي والمسلم والموسوى على السواء

فيتعلم التلاميذ أوامر الله تعالى الذى يعترف به المسيحى والمسلم والموسوى فى المعاملات الدنيوية مع طرف من تاريخ حياة الانبياء والمرسلين موضوعة فى قالب عصرى يلاحظ الغرض فى وضعه وهو تبيان ما كان عليه هؤلاء الرسل والانبياء من الفضائل الشخصيه ومكارم الاخلاق التى حدت بهم الى تضحية مصالحهم الفردية فى سبيل المصلحة العمومية ؛ حباً فى بنى قومهم وذوى عشيرتهم والناس جميعاً

اذا اتبعنا هذا النظام وقصرنا برامج التعليم الدينى على هذا القدر من المعاملات ، واهتمت وزارة المعارف ومجالس المديريات باختيار أفاضل المعلمين المنزهين عن روح الزيغ والتعصب ، وتلقى جميع الطلبة من مسلم ومسيحى ، هذه التعاليم ، ارتقت أخلاق الطلبة ، والاساتذة معاً ، وتناسى الجميع تلك الفوارق الدينية التى لافائدة فى ذكرها بين أبناء البلد الواحد سوى تفريق الشمل وتمزيق الوحده

وجوب العناية بحسن اختيار المعلمين ووضع اخلاقية للمعلمين والتلاميذ

ومن البديهى أن نجاح هـذا النظام يتوقف على كفاءة المعلم وقدرته العقليه وسمو مبادئه الاخلاقيه ؛ وسنتكلم عن ذلك تفصيلافيما يلي :

يضاف الى ذلك انه يجب لتمام نجاح مثل هذا النظام أن تؤلف لجان من أكابر الاخلاقيين والفضلاء لوضع الكتب اللازمة لمواضيع التعليم ويكون النجاح أوفى وخصوصاً فى ظروفنا الحاضرة لو وضعت كتب خاصة بالتلاميذ وأخرى أرقى منها لارشاد المعلمين

وانى على يقين انه لو عمل بهذا النظام ، واتخذت له العـدة من وجهة حسن اختيار المعلمين وتدقيق النظر فى أخلاقهم على الخصوص ؛ ووضعت الكتب الراقية فى مواضيع التعليم للمعلمين والمتعلمين ، لقطعنا شوطاً بعيداً فى سبيل الرقى العصرى والمدنية الصحيحة ؛ ولانقطع من وادى النيل كل أسباب الخصام والنزاع ؛

ولكسدت بضاعة من يصطادون فى الماء العكر ، وانى أرى اننا فى زمن نحن أحوج فيه الى شدة التفكير والبحث فى هذا الموضوع ، لان أسباب الانقسامات والمشاغبات صادرة من المتعلمين تحت نظاماتنا الحاضرة ، وأما القرويون الذين يجهلون القراءة والكتابة فبعيدون عن هذه الانقسامات والمشاغبات ، يعيشون جميعاً فى سلام تام لافرق بين العناصر المختلفة ، ولكنا مع ذلك مجدون فى نشر ذلك التعليم الناقص دون أن ننتبه الى تلافى نقائصه ، ونسعى فى وضع نظام كافل لترقية الاخلاق وتربية نفوس الناشئة على الفضائل الشخصية والاجتماعية ، مع ان الاستمرار على هذا الحال يجعل آخرتنا أضل من الاولى ، فيقضى علينا ذلك التعليم الناقص القضاء المبرم والعياذ بالله

نظام التربية الادبية

على ان اتباع ذلك النظام فى التربيه الدينيه وحده ، وان كان كفيلا بتربية الاخلاق الشخصيه ، الا انه لا يكفى لاعداد الناشئه المصريه للقيام بالواجبات الاجتماعيه والوطنيه فى العصر الحاضر ، خصوصاً والبلاد المصرية من يوم أن أعلن سمو الخديوى الاول اسماعيل باشا أنه يريد أن يجعل مصر قطعة من أوروبا ، وهى فى زيادة اتصال بأوروبا فانهمر علينا سيل الغرب الجارف ، وزاد اختلاطنا بالغربيين ، فأخذنا بظواهر مدنيتهم الخادعة دون أن نتسلح باسلحتهم الماضية ، فكنا نحن الخاسرين وكانوا هم الغانمين الكاسبين ، حتى أصبحنا فى احتلال اقتصادى واجتماعى وسياسى ، ولا وسيلة الى الاستقلال التام الصحيح الا بتعليم الناشئه أسرار المدنية الحاضرة ، وتسلحهم بالاخلاق اللازمة للجهاد فى الحياة الحاضرة ، واعدادهم لمعرفة حقوقهم وواجباتهم الاجتماعيه والوطنيه

أجل . ان من يمعن النظر فى تقرير اللجنه الانجليزيه الذي ترجمته فيما سبق

(ينظر الفصل السابق) يرى أكابر رجال انجلترا على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم الدينيه والاجتماعيه والسياسيه، قاموا وقعدوا كرجل واحد لاعداد الانجليز لمقابلة ظروف العصر الحاضر، قائلين ومدركين أن تغير الاحوال الاقتصاديه وانقلاب الافكار العصريه الناشئه عن تغلب الاشتراكيه وزيادة حقوق العمال وغيرها تتطلب من قواد الأمة إمعان النظر فى برامج التعليم، وتعديلها بما يؤهل أجيال المستقبل للقيام بالواجبات الجديدة، فجدوا واشتغلوا حتى وضعوا ذلك التقرير الضافى ونشروه مع المباحث الوافيه والمعلومات الواسعة، التى وقفوا عليها فى مجلدين كبيرين: ولم يقفوا عند هذا الحد، بل تراهم فى اشتغال دائم بالموضوع وها نحن نسمع كل صيف بمؤتمرات من هذا القبيل كمؤتمرات التربيه، ومؤتمرات الاديان، ومؤتمر الاخلاق، وغيرها التى لا يقصد بها الا مراجعة الماضى وأخذ العدة للمستقبل

فاذا كان الامر كذلك فى أوروبا التى نشأت فيها هذه النظامات فى قرون عديدة واعوام طويلة، فكيف بنا نحن المصريين؟

أجل. لو حق للغربيين التفكير فى مصير هذه الحوادث والتطورات العصريه مرة، لوجب علينا أن نفكر فيها ألف مرة، كيف لا ونحن على أبواب الدخول فى حياة مستقلة دستوريه، وننادى بوجوب نشر النقابات الصناعيه والزراعيه والتجاريه، والشركات الماليه، وقوانين حقوق العمال، دون أن نربى نشأتنا على تفهم حقوق الناخبين وواجباتهم، وما يجب على النواب التحلى به من الاخلاق الاجتماعية، والتجرد عن الاغراض الشخصيه، وقصر نظرهم على حاجات الوطن وماتتطلبه منهم؟

نعم ان العاقل البصير يرى أنه يجب علينا السعى لاعداد الناشئه لفهم هذه النظامات والتخلق بالاخلاق اللازمة لها، والشعور بالواجبات والحقوق التى تتطلبها

هذه الخطوة الحديثه فى حياتنا السياسيه

لذلك أرى انه يجب علينا ادخال نظام التربيه الاديبه والاسترشاد ببرامج التربيه الاديبه للأمتين اليابانيه والافرنسيه ، فينشأ الجيل المقبل على أخلاق اجتماعيه راقيه يشعر كل فردفيه بواجباته نحو المجموع المصرى ، ويسعى جهده فى تقديم المصلحة العامة على مصلحته الخاصه ، لادراكه ان ارتقاءه الشخصى متوقف على ارتقاء المجموع الذى يعيش فى وسطه ، فندرك حينئذ قيمة الحياة الدستوريه ، وننجح فى تولي الحكم الاستقلالي ، ولا تخيب جهياتنا ، ولا تفشل شركاتنا ومشروعاتنا ونقول حينئذ كما قال الوزير اليابانى فيما سبق لنا نقله عنه ، ان نجاحنا الوطنى راجع الى نظام تربيتنا الاخلاقيه واننا لولاه لجرفتنا المدنيه الغربيه وابتلعتنا كما ابتلعت هنود أمريكا وسكان جنوب أفريقيا وأهل أوستراليا الاصليين

ولابد لي فى هذا المقام من الفات النظر الى وجوب اشتمال التربية الادبية على دروس أخلاقيه فى الطهارة الجنسية (العفاف) والاعتدال ، مبنية على القواعد الصحية والحقائق الطبية ، لما ظهر لها من النفع الجزيل ، حتى وضعت لها بعض المدارس الغربية برامج خاصة فنجحت نجاحاً باهراً فى نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة ووضع القوانين الشديدة ضد المسكرات والموبقات حتى حرمت الولايات المتحدة الامريكية المسكر من بلادها ومنعتها منعاً باتاً بفضل تأثير تلك التعاليم على أبناء البلاد . فطاردت كل بائعى الخمور وصادرت تجارتهم الفاسدة وسنت القوانين الصارمة ضد بائعى المسكرات وشاربيها

شخصية المعلم ووجوب العناية بانتقاء المعلمين وسبل زيادة كفاءتهم ومعلوماتهم

لافائدة في قوانين بدون رجال أكفاء لتنفيذها . لانها تصبح حبراً على ورق بل ربما طبقت أسوأ تطبيق فيصبح ضررها أبلغ من فائدتها . وقد عرف الغربيون وخصوصاً الامة الانجليزية السكسونية هذا المبدأ . فسارت في أعمالها على مبدأ

انتقاء الرجال قبل وضع القوانين . فنجحت وتقدمت وسادت على العالم . ولذلك ترى العدالة فى المحاكم الانجليزية أضمن فيها من أى مملكة أخرى مع ان قوانينها مشتتة غير مرتبة

وهـذا هو رأى القوم أيضاً فى التربية عموماً . والتربية الاخلاقية خصوصاً كما لاحظ القراء فيما نقلناه من تقرير اللجنة الانجليزية عن أهمية شخصية المعلم . والداً كان أو مدرساً . وتأثيره العظيم فى تكوين أخلاق الطفل الصغير فى المدارس الاولية والابتـدائية . والطالب فى المدارس الابتدائية العالية والمدارس الثانوية والعالية

لذلك عقدت هذ القسم خصيصاً بهذا الموضوع . لاننا من أحوج الامم الى المعلمين الاكفاء الحاصلين على قسط وافر من العلم . ورجاحة العقل . وسمو الاخلاق وذلك لاسباب كثيرة أهمها احتقار حرفة التعليم الشريفة بيننا الى أمد قريب . مع عدم التعويض عن ذلك بوفرة مكاسبها المادية

لهذا ترى المقبلين على حرفة التعليم لدينا . قليلين جداً حتى وصل بنا الحال فى هذا الصدد الى اضطرار وزارة المعارف المصرية لقفل أبواب مدرسة المعلمين العالية مع انها واحدة فقط . وذلك لعدم تقـدم طالب اليها . حتى اضطرت الوزارة أن تستخدم الحاصلين على شهادة الدراسـة الابتدائية للتدريس فى المدارس . وسعت بعد ذلك جهدها الى ترغيب التلاميذ فى مدارس المعلمين . وتسهيل الدراسـة فيها فهبطت بمستوى التدريس . وأوجدت قسم المعلمين الابتدائى يدخله الحاصلون على شهادة الدراسـة الابتدائية . ورفعت مرتبات المعلمين . وقررت اعانات شهرية لمن يلتحق بمدرسة المعلمين العالية بعد حصولهم على الشهادة الثانوية . وبذلك استطاعت اعادة قسم المعلمين العالي . ومع هذا فنسبة المقبلين عليه أقل بكثير من المدارس العالية

الاخرى . حتى اضطرت أن تضيق وتشدد فى شروط القبول بالمدارس العالية الاخرى حتى يتحول الطلبة الى مدرسة المعلمين اضطراراً

لذلك أرى انه من الصعب ان لم يكن من المستحيل رفع مستوى التربية الاخلاقية الى تلك الدرجة السامية التى سبق لنا ذكرها بواسطة مثل هؤلاء المعلمين . فيجب علينا والحالة هذه أن نجزل العطاء لافراد هذه الحرفة الشريفة . حتى نستطيع جذب الطبقة الراقية من الشبيبة المصرية الى الاندماج فى سلك المعلمين والاساتذة . ونقدم لهم مايجب علينا من الاحترام والتكريم والعطاء الجزيل .

على انه لايحسن بنا فى هذه الفترة أن نقتصر على ذلك الى أن يتوفر لنا العدد الكافي في المستقبل من المعلمين الراقين . بل يجب علينا أن نسعى جهدنا فى ترقية مدارك المعلمين الموجودين بالمدارس الآن . فنفسح لهم من الوقت مايساعدهم على التحصيل . ويلقى عليهم فى أوقات معينة دروس فى آداب المعاشرة . والتربية النفسية . والفلسفة الادبية . وطرف من تاريخ حياة مشاهير الاخلاقيين والاجتماعيين والفلاسفة . ويحسن أن يدعى كبار الاخلاقيين والاخصائيين فى فن التربية وعلم النفس والفلسفة العقلية لالقاء محاضرات على المعلمين . فتتسع مداركهم . وتسمو حرفتهم فى نظرهم . ويشعرون بشرف خدمتهم للمجموع . ويحسن فوق ذلك عمل امتحانات سنوية فى فن التربية . وتخصيص بعض الكتب الاخلاقية الراقية كل سنة ليدرسوها درساً جيداً . تكون ضمن موضوعات المناقشات فى الامتحانات كما انه يجب انشاء المدارس الصيفية فى القاهرة والاسكندرية مدة الصيف . لترقية مدارك المعلمين وتوسيع اطلاعهم . ووضع الكتب اللازمة لارشادهم فى القيام بتدريس العلوم المكلفين بتدريسها

هذا ولا يخفى أن خلق المعلمين وسمو آدابهم الطبيعى والمكتسب معاً . من

أوجب الواجبات للقيام بالتعليم الدينى والتربية الادبية . لان نجاح هذه التربية يتوقف على القدوة أكثر منه على مجرد الارشاد والنصح . فان تأثير القدوة أقوى بكثير من بلاغة اللسان وقوة الاستمالة والبيان . وخصوصاً فى المدارس الابتدائية حيث يتأثر الاطفال وصغار التلاميذ بما يشاهدونه بعيونهم أكثر مما يسمعونه بآذانهم ويدركونه بعقولهم

للمؤلف

رسالة اجتماعية في الغرض من الحياة

» قانونية في التزاحم بين المرتهن الحيازى والمرتهن العقارى

○○○○○

تحت الطبع

شرح قانونى مطول في التعهدات

كتاب اجتماعى دينى فى الحياة بعد الموت

370.1
H15tA

31 Aug 65

JAFET LIB.
14 FEB 1996
Circulation Dept.

JAFET LIB.
20 JAN 1993

JAFET LIB.
15 SEP 2007
Circulation Dept. 3

370.1:H15tA:c.1
حكيم، ابادير
التربية الاخلاقية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01021310